الباب الأول

اتصال اليهود بالأديان الوثنية

ويشتمل على فصلين(*):

الفصل الأول: الأديان الوثنية المعاصرة لليهود في تاريخهم القديم.

الفصل الثاني: قنوات الاتصال التاريخية بين اليهود وأصحاب الأديان الوثنية.

(*) اشتمل الباب الأول في أصل الرسالة على ثلاثة فصول بدلًا من فصلين حيث كان هناك فصل كامل ومطول عن "تاريخ اليهود القديم" بدءًا بعصر الآباء الأولين ومرورًا بعصر موسى ويشوع وعصر القضاة وعصر المملكة الموحدة وعصر الانقسام وانتهاءً بعصر المكابيين.
وقد رأيت حذف هذا الفصل رغم أهميته عند نشر الكتاب نظرًا لطوله ورغبة في التخفيف عن القارئ على أمل أن يصدر في كتاب خاص بعد زيادة وتنقيح. إن شاء الله.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

الأديان الوثنية القديمة المعاصرة لليهود في تاريخهم القديم

ويشتمل على تمهيد وأربعة مباحث:

تمهيد: في الحديث عن الشرق الأدنى القديم وهجرات الساميين.

المبحث الأول: أديان بلاد الرافدين.

أ ـ دين السومريين.

ب ـ دين الأكديين.

جـ ـ دين البابليين.

د ـ دين الأشوريين.

المبحث الثاني: أديان بلاد سورية.

أ ـ دين الأموريين.

ب ـ دين الكنعانيين.

ج ـ دين الآراميين.

المبحث الثالث: ديانة مصر القديمة.

المبحث الرابع: ديانات الفرس واليونان والرومان.

obeikandl.com

obeikandl.com

الأديان الوثنية المعاصرة لليهود في تاريخهم القديم

تمهيد:

ينبغي علينا ـ قبل الحديث عن الأديان الوثنية التي عاصرت اليهود منذ نشأتهم وعلى امتداد تاريخهم القديم ـ أن نشير إلى المنطقة التي كانت مسرحا لتلك الأديان وشهدت انبعاث وتدفق الموجات المتتابعة من هجرات الساميين وغيرهم من الشعوب الذين أسسوا هذه الأديان.

الشرق الأدنى القديم:

يذكر موسكاتي أن بلاد العرب، وسوريا وفلسطين، وأرض الرافدين، تؤلف معًا وحدة جغرافية كانت في زمانها مسرحًا لحدث هام في رواية الإنسانية[١].

ويضيف ول ديوارانت إلى هذه المناطق: مصر وجميع بلاد آسيا الجنوبية الغربية الممتدة جنوب الروسيا والبحر الأسود وغرب الهند وأفغانستان، ويطلق عليها جميعًا: بلاد الشرق الأدنى القديم[٢].

وعلى ذلك فإن الشرق الأدنى القديم يشتمل على مصر وبلاد العرب، وبلاد الشام وأرض الرافدين وبلاد فارس (إيران القديمة)[٣].

---

(١) راجع الحضارات السامية القديمة صـ٣٤ ترجمه وزاد عليه د/ السيد يعقوب نشر دار الرقى بيروت طبعة ١٩٨٦م.

(٢) قصة الحضارة الجزء الثاني من المجلد الأول (الشرق الأدنى) صـ٩ ترجمة محمد بدران: لجنة التأليف والترجمة والنشر طبعة ١٩٧٢م.

(٣) راجع د/ أحمد فخري: دراسات تاريخ الشرق القديم صـ١٧ الطبعة الرابعة ١٩٨٤ مكتبة الأنجلو المصرية، وقارن د/ فيليب حتى موجز تاريخ الشرق الأدنى صـ٧ ترجمة د/ أنيس فريحة دار الثقافة بيروت.

obeikandi.com

وتعبير الشرق الأدنى القديم تعبير اصطلاحي تأثر إلى حد ما بالتعبير الأوروبيThe Amcient Near East وقد امتدت معالم الحضارة القديمة فيه امتدادًا عميقًا واسعًا، على الرغم من غلبة الطابع الصحراوي على معظم أراضيه[1] الأمر الذي جعله يحتل مرتبة فريدة من حيث تاريخه المدون، ومن حيث عميم فضله وعطائه نحو تقدم الإنسان ورقيه، ويرجع ذلك إلى ما تميز به هذا الإقليم من عوامل طبيعية واستراتيجية[2].

بالإضافة إلى أنه ـ أي إقليم الشرق الأدنى القديم ـ قد تخلله منحى ثابت من التفكير حدد موقفه من الوجود: هذا المنحى هو غلبة الدين على بقية عوامل الحياة جميعًا، مما طبعها بالطابع الديني فاتخذت من الدين مصدرًا مشتركًا للإلهام[3].

هجرات الساميين:

شهد الشرق الأدنى القديم منذ آلاف السنين اندفاع موجات متعاقبة من هجرات الساميين حيث انتقلت من مناطق الجدب فيه إلى حيث الخصب والنماء.

---

(١) د: عبدالعزيز صالح: الشرق الأدنى القديم الجزء الأول (مصر والعراق) صـ٥ مكتبة الأنجلو المصرية الطبعة الرابعة ١٩٨٤م.

(٢) من هذه العوامل:

أ ـ وقوعه في مركز متوسط بين العالم القديم مما سهل اتصاله بغيره من الأقاليم فأمكن انتقال المؤثرات الحضارية منه وإليه بسهولة.

ب ـ وجود أنهار عظيمة ومجاري مائية دائمة في مختلف أقطاره مما أدى إلى استقرار الجماعات البشرية التي سكنت قريبًا منها وأتاح لها فرصة النهوض والترقي.

ج ـ سهولة اتصال أجزاء هذا الإقليم فيما بينها لعدم وجود فواصل طبيعية مانعة تحول دون ذلك حيث أتيحت لها فرصة الاحتكاك بعضها بالبعض فانتشرت مظاهر حضارية مختلفة.

(راجع في ذلك د/ فيليب حتى: موجز تاريخ الشرق الأدنى صـ١١٢٧، الشرق واليونان القديمة صـ ٣٥، ٣٧ وهو المجلد الأول من تاريخ الحضارات العام تأليف أندريه إيمار، جانين أوبواية ترجمة فريد م. داعز، فؤاد ج. أبو ريحان منشورات عويدات: بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٩٦٤، د/ إيفار ليسنر: الماضي الحي صـ١٩ ترجمة شاكر إبراهيم سعيد: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨١م. د/ محمد أبو المحاسن عصفور: معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم صـ٤٥ـ٤٦: النهضة العربية بيروت الطبعة الثالثة ١٩٨٤م.

(٣) موسكاتي: الحضارات السامية القديمة صـ٢٢٦.

الساميون:

الساميون: نسبة إلى سام بن نوح الذي ورد ذكره في صحيفة الأنساب الواردة في الإصحاح العاشر من سفر التكوين[١].

"وهذه مواليد بني نوح: سام وحام ويافث[٢]، وبعد أن عدد الإصحاح أبناء يافث[٣] ذكر أن بنى حام هم: كوش ومصرايم وفوط وكنعان[٤] وبنى سام هم عيلام وأشور وارفكشاد ولود وأرام[٥]، ثم ذكر أبناء هؤلاء جيمعًا[٦] وقال في نهاية الإصحاح "هؤلاء قبائل بني نوح حسب مواليدهم بأممهم، ومن هؤلاء تفرقت الأمم في الأرض بعد الطوفان[٧].

ففي هذه الصحيفة أو هذا الجدول من الأنساب نجد قائمة أبناء سام تضم أرام وأشور وعبر أي الآراميين والأشوريين والعبريين، ولهذا استعمل العلماء الأوربيون قرب نهاية القرن الثامن عشر لفظ الساميين اسما مشتركًا لتلك المجموعة من الشعوب[٨] وذلك اعتمادًا على القرابة اللغوية

---

(١) وهو إصحاح يسجل الصلات بين الشعوب المختلفة التي كان يعرفها كاتبه وسجلها في صورة سلاسل أنساب تنحدر من أبناء نوح.

(٢) تكوين ١٠ : ١.

(٣) ١٠ : ٢ـ٥. (٤) ١٠ : ٦.

(٤) ١٠ : ٢١.

(٥) تكوين ١٠ : ٣٢.

(٦) راجع الإصحاح كله ومعه الإصحاح الحادي عشر من نفس السفر: ١١ـ٢٦.

(٧) ١٠ : ٣٢.

(٨) استعمل لفظ السامي "مطبوعًا لأول مرة عام ١٧٨١ على يد المستشرق الألماني سلوتسر في مقاله عن الكلدانيين الذي أورده إيشهورن في فهارس الأدب الشرقي والتوراتي المجلد الثامن صـ١٦١ إذ قال: "من البحر المتوسط إلى الفرات ومن أرض الرافدين حتى بلاد العرب جنوبًا، سادت كما هو معروف، لغة واحدة، لهذا كان السوريون والبابليون والعبريون والعرب شعبًا واحدًا، وكان الفينيقيون (الحاميون) أيضًا يتكلمون هذه اللغة التي أود أن أسميها (اللغة السامية)، وقد تولى إيشهورن بعد ذلك نشر هذا الاصطلاح والدفاع عنه وإن ادعاه لنفسه، ومنذ ذلك الحين أصبح عند العلماء والباحثين في موضوع لغات الشرق الأدنى علما للمجموعة المذكورة من الشعوب.
(راجع د/ السيد يعقوب بكر هوامش الحضارات السامية القديمة صـ٢٣٩. =

بينهم[1].

ولكن هناك من يرى أن هذه التسمية الشائعة غير موفقة ولا صحيحة[2] ولا تؤيدها الأبحاث العلمية الحديثة[3] حيث إنها تسمية لغوية فقط[4]، ولأن القرابة الواردة في التوراة، وذلك التقسيم المذكور فيها للبشر، لا يستندان إلى أسس علمية أو عنصرية صحيحة بل بنيت القراية ووضع ذلك التقسيم على اعتبارات سياسية وعاطفية، وعلى الآراء التي كانت شائعة عند شعوب العالم في ذلك الزمان عن النسب والأنساب وتوزع البشر[5].

وبالرغم من ذلك فإن تعبير الشعوب السامية أو (الساميون) مقبول على أساس شيوعه للدلالة على شعوب ربطت بين أهلها روابط التشبه في الملامح العامة وروابط التشبيه في تأثيرات البيئة والمناخ، وروابط اللغات، ثم روابط العقائد والتقاليد والتخيلات، نتيجة التشابه في الأسس التي قامت عليها والظروف التي أوحت بها، وينطلق ذلك بأطرافه على شعوب الشرق، بدوله العربية في شبه الجزيرة العربية والشام والعراق ومصر والدول العربية الإفريقية[6].

= جواد على: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام الجزء الأول ص٢٢٣.

د/ حسن ظاظا: الساميون ولغاتهم صـ ٥ـ٦.

الشيخ نسيب وهيبة الخازن: من الساميين إلى العرب صـ٩، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت بدون تاريخ.

(١) لمعرفة خصائص اللغات السامية وتقسيمها راجع موسكاتي في كتابه السابق صـ٤٤ـ٤٨ هوامش المترجم صـ٢٣٩ـ٢٤٦، أو لبرايت: آثار فلسطين صـ١٧٢ـ١٧٤ ترجمة د/ زكي اسكندر، د/ محمد عبدالقادر محمد إصدار المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٧١م.

(٢) د/ طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة الجزء الأول ص٦٥ نشر دار البيان بغداد طبعة ١٩٧٣م.

(٣) د/ فيليب حتى: تاريخ العرب الجزء الأول صـ٩ طبعة ١٩٤٩ دار الكشاف للنشر والتوزيع.

(٤) نفس المؤلف: تاريخ سورية جـ صـ٦٦ـ٦٧.

(٥) د/ جواد علي: المفصل في تاريخ العرب جـ١ صـ٢٢٣، ٢٢٤، راجع أيضا إسرائيل ولفنسون: تاريخ اللغات السامية صـ٢ـ٣.

(٦) د/ محمد بيومي: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم الجزء الثامن صـ٥٠٥.

وكما يقول سبتينو موسكاتي "إن الشعوب السامية تؤلف في لغتها كتلة واحدة، لا باجتماعها في صعيد جغرافي واحد والتحدث بلهجات لغة واحدة فحسب، ولكن باشتراكها في أصل حضاري تاريخي واحد أيضًا، ومن هنا يجوز لنا ألا نقصر الصفة السامية على الميدان اللغوي وأن نتحدث أيضًا عن الساميين وعن الشعوب والحضارة السامية[١].

وقد اختلفت أقوال العلماء وتشعبت آراؤهم في تحديد المواطن الأصلي للشعوب السامية.

فهناك من يذهب إلى أنه أفريقيا[٢] بينما يرى فريق آخر أنه أرمينية[٣] على أن هناك فريقًا ثالثًا قد تبني ما ترويه التوراة من أن مهد الساميين كان في أرض بابل (بلاد ما بين النهرين)[٤].

لكن جمهور العلماء يذهبون إلى أن بلاد العرب (شبه الجزيرة العربية) كانت الموطن الأصلي للشعوب السامية[٥].

---

(١) راجع الحضارات السامية القديمة صـ٤٨ـ٥٠، ٢٢٤ـ٢٢٥، ومع ذلك فهناك من يرى أن السامية ليست جنسا بالمعنى المفهوم من الجنس عند علماء الأجناس، أي أنها ليست جنسا له خصائص جنسية وملامح خاصة تميزه عن الأجناس البشرية الأخرى راجع موسوعة تاريخ العالم الجزء الأول صـ٥٢.

راجع قول العالم الفرنسي هبري فليسن في كتاب د/ حسن ظاظا: الساميون ولغاتهم صـ٦.

(٢) يسمى هؤلاء أصحاب المذهب الأفريقي، ولمعرفة أدلة هذا المذهب والرد عليها راجع حامد عبدالقادر: الأمم السامية دار نهضة مصر القاهرة ١٩٨١.

(٣) أصحاب المذهب الأرمينى وفي مقدمتهم أرنست رينان (راجع مذهبهم والرد عليهم في المصدر السابق صـ٥٤ـ٥٥ ود/ السيد يعقوب بكر: هوامش موسكاتي صـ٢٤٦ـ٢٤٧.

(٤) ويزعم إسرائيل ولفنسون أن البحوث التاريخية أثبتت أن أرض بابل هي المهد الأصلي للحضارة السامية، وأيد العالم جويدي هذا الرأي ولكن نولدكه عارضه معارضة شديدة وانتهى فيليب حتى إلى فساد هذا الزعم تاريخ العرب جـ صـ١٠، جرجي زيدان: تاريخ العرب قبل الإسلام صـ٤١ـ٤٢ طبعة دار الهلال (راجع تاريخ اللغات السامية صـ٤ـ٥) د/ فليب حتى: بدون تاريخ، د/ حسن ظاظا: الساميون ولغاتهم صـ٩ـ١١، د/ يعقوب بكر هوامش موسكاتي صـ٢٤٧ـ٢٤٨).

(٥) راجع موسكاتي: الحضارات السامية صـ٥٢ـ٥٣، ول ديوارنت: قصة الحضارة مجلد ١ صـ٢ صـ٣٠٩، بريستيد: العصور القديمة صـ١١٤ـ١١٥، د/ فيليب حتى: تاريخ العرب جـ١ صـ١٠ وقد أورد جميع هؤلاء العلماء في الصفحات التالية صـ١١ـ١٤.

وتدفقت هجرات الساميين من قلب هذه الجزيرة العربية "ذلك الخزان البشري الشهير الذي لم يتوقف عن أن يقذف ـ كإقليم طرد وكصحراء فقيرة ولكنها "ولود" ـ يقذف بالموجة تلو الموجة إلى منطقة الهلال الخصيب[١] المتاخمة والجذابة[٢].

ويبدو أن تدفق هذه الموجات قد حدث منذ أقدم الأزمنة ولذلك فإنه لا يعرف على وجه التأكيد بداية ذلك التدفق[٣].

وإن كان موسكاتي يرى أن أقدم الهجرات للشعوب السامية التي سجلها لنا التاريخ تمت منذ الألف الثالث ق.م، وكانت في اتجاه وادي الرافدين، واستمرت بعد ذلك من حين إلى حين، وأدت إلى تكوين دول سامية قوية واسعة النطاق[٤].

---

(١) يطلق مصطلح "الهلال الخصيب" على منطقة غربي آسيا وبالتحديد على الجزء المحصور بين الجبال في الشمال والصحراء في الجنوب، وذلك لأنه يكون شكلا نصف دائري على وجه التقريب، ويرتكز طرفه الغربي في جنوب شرقي البحر المتوسط، ووسطه فوق شبه جزيرة العرب، ويرتكز طرفه الآخر عند الخليج الفارسي، وخلف ظهر هذا الهلال تقوم الجبال المرتفعة، وعلى ذلك تكون فلسطين عند نهاية الجزء الغربي منه وبلاد بابل في الجزء الشرقي بينما تكون بلاد أشور جزءًا كبيرًا من وسطه.
وأول من استعمل هذا المصطلح المؤرخ الأمريكي جيمس هنري برستيد، ثم شاع استعماله بين العلماء بعد ذلك (بريستيد: انتصار الحضارة صـ١٤٣ ترجمة د/ أحمد فخري مكتبة الأنجلو المصرية الطبعة الأولى ١٩٥٥م، العصور القديمة ترجمة داود قربان مؤسسة عز الدين بيروت ١٩٨٣م، ويذكر الدكتور أحمد سوسه أن الهلال الخصيب يشمل سورية ولبنان وفلسطين وشرقي الأردن والعراق وبعضهم يدخل الجزء الشمالي من وادي النيل ضمن الهلال الخصيب (تاريخ حضارة وادي الرافدين جـ١ صـ١١٧ بغداد ١٩٨١م).

(٢) راجع قصة الحضارة مجلد ١ جـ٢ صـ٢٠٩ بريستيد: انتصار الحضارة صـ١٤٧ـ٢٤٨، د/ جمال حمدان: اليهود انثروبولوجيا صـ٨ دار الكاتب القاهرة ١٩٦٧م.

(٣) يرتفع بعض المؤرخين بأول فوج من هذا الموجات إلى القرن الثلاثين ق. م (عباس العقاد ـ إبراهيم أبو الأنبياء منشورات المكتبة العصرية بيروت ـ صيدا ١٩٨١ صـ١٢٠، ويذكر الدكتور نجيب ميخائيل أنها بدأت منذ حوالي خمسة وعشرين ألف عام: مصر والشرق الأدنى القديم: الجزء الثالث: الشرق الأدنى القديم سورية صـ١٢٦ ط٢/ ١٩٦٤ ويذهب بعض العلماء إلى أن الفترة بين الموجة والتي تليها كانت تبلغ زهاء ألف عام (ونيكلر نقلًا عن د/ مهران جـ١ إسرائيل صـ٥١٠، حامد عبدالقادر: الأمم السامية صـ٦٦.

(٤) الحضارات السامية صـ٦١، ويذهب الدكتور ظاظا إلى أن الهجرات المذكورة تاريخيًا حدثت خلال الألف الرابع ق.م (الساميون ولغاتهم صـ٣٩).

وكذلك كانت بلاد سورية محطًا لهذه الهجرات، وكانت بوتقة انصهرت فيها الحضارة والبداوة، ولكن حصتها من موجات الساميين كانت أكثر من غيرها، حيث تعرضت لخمس هجرات منها على الأقل حتى غدت مهدًا للهجرات السامية الفرعية إلى نواحي الشرق الأدنى القديم[1].

هذا وقد اختلطت في منطقة الشرق الأدنى ـ نتيجة هذه الهجرات ـ شعوب سامية عديدة، واتصلت هذه الشعوب بغيرهم من غير الساميين، فتكونت بذلك ديانات كثيرة ومتنوعة، ظلت هذه الديانات قائمة، وبقى تأثيرها مستمرًا حتى عاصرها اليهود منذ نشأتهم وعلى امتداد تاريخهم القديم.

ونظرًا لكثرة تلك الديانات، فإنني آثرت أن أضعها تحت هذا التقسيم في أربعة مباحث:

١ـ ديانات بلاد الرافدين.
٢ـ ديانات بلاد سورية.
٣ـ ديانات مصر القديمة.
٤ـ ديانات الفرس واليونان والرومان.

(١) د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى الجزء الثالث: سورية صـ٧ ولكن ليست لدينا معلومات أكيدة عن أول توغل للشعوب السامية في سورية (موسكاتي: الحضارات السامية صـ١٢٢، وإن كان بريستد يرجح أنها قد بدأت في عام ٣٠٠٠ ق.م (انتصار الحضارة صـ١٤٧).

obeikandl.com

المبحث الأول: ديانات بلاد الرافدين

ظفرت بلاد الرافدين[1] بعناية من المؤرخين الدينيين، وعلماء المقارنة بين الأديان، لم يظفر بها قطر آخر، ذلك لأنها ميدان للبحث لا يضارعه ميدان آخر في اتساعه، وامتداد تاريخه، وتعدد أقوامه، وقد تيسر البحث فيه لنوعين من المقارنة يندر جدًا أن يتيسر في رقعة أخرى من الكرة الأرضية، هذان النوعان هما: مقارنة الأديان ومقارنة الأجناس في وقت واحد[2].

---

(١) تسمى هذه البلاد بأرض الرفدين أو ما بين النهرين والمقصود بهما نهر دجلة والفرات، وأطلق عليهما ولا يزال حتى الآن اسم العراق.
وكلمة "ما بين النهرين" ترجمة للكلمة الإغريقية "ميزوبوتاميا" وأصبحت الآن تدل على كل البلاد بعد أن كانت في أصلها تدل على بابل وأشور فقط، ولذلك يفضل البعض استعمال "بين النهرين: بدلًا من "ما بين النهرين".
وأما كلمة عراق فقد اختلف في أصلها فقيل إنه عربي الأصل بمعنى الشاطئ، وقيل إنها من أصل فارسي وتعني الساحل أو السواد، وقيل إنها ترجع إلى تراث قديم، وربما ظهر اسم العراق لأول مرة في القرن الخامس ق. م حيث أطلقه الفرس، وكان العرب يطلقون على القسم الجنوبي من البلاد اسم أرض السواد أو العراق أما القسم الشمالي فكان يعرف باسم الجزيرة.
(راجع تفاصيل ذلك في: د/ فيليب حتى: تاريخ سورية وفلسطين جـ صـ١٤٨، طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة الجزء الأول صـ٧ـ١٣. د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى الجزء الخامس صـ١١ـ١٢ وادي الرافدين الطبعة الأولى ١٩٦٣ دار المعارف د/ عبدالعزيز صالح: الشرق الأدنى القديم والجزء الأول مصر والعراق صـ٣٧٤، ٤٩٥ـ٤٩٦، د/ تقي الدباغ: البيئة الطبيعية والإنسان ضمن سلسلة حضارة العراق الجزء الأول دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٨٥ د/ سامي سعيد الأحمد: السومريون صـ٣ـ٤ من منشورات الجمعية التاريخية العراقية بغداد ١٩٧٥م.
(٢) لأن مراجع الأديان الكتابية تبتدئ فيها منذ عهد إبراهيم الخليل إلى عهد الشريعة الموسوية، وشريعة حمورابي إلى عهد السبى البابلي، واختلاط بني إسرائيل بالبابليين والفرس، واقتباسهم ما اقتبسوه منهم في العرف الديني والشعائر التي لها اتصال بمراسم العبادة.
(عباس محمود العقاد: إبليس دار نهضة مصر للطبع والنشر القاهرة طبعة ١٩٨٥م).

obeikandl.com

وديانات بلاد الرافدين كثيرة ومتنوعة بيد أن الديانات الرئيسية تتركز في ديانات كل من السومريين، والأكاديين، والبابليين، والأشوريين.

وقبل أن نتحدث عن المظاهر العامة والملامح البارزة لهذه الديانات ينبغي أولًا أن نتعرف على هؤلاء الأقوام أصحاب تلك الديانات.

١ـ السومريون:

بدأت خصائص العصور التاريخية[١] في بلاد الرافدين في فترة ما تراوحت تقديرات المؤرخين بشأنها بما بين أوائل القرن الثلاثين ق.م وبين القرن الثامن والعشرين ق.م[٢]، وتعددت مراكز التجمع والتحضير حينذاك في النصف الجنوبي من سهول النهرين[٣]، هذه السهول ذكرتها نصوص القرن الخامس والعشرين ق.م باسم "سومر" أو "شومر"[٤] وهو اسم ليس من المستبعد أنه كان يجري على ألسنة

---

(١) اصطلح العلماء على ما يسمى بالعصور التاريخية وعصور ما قبل التاريخ، والمقصود بما قبل التاريخ كل الأزمنة السحيقة التي سبقت عصور اهتداء الأمم القديمة إلى الكتابة وإلى تكوين الوحدات السياسية المستقرة والقوميات الكبيرة (د/ عبدالعزيز صالح: الشرق الأدنى القديم جـ١ صـ١٩).

(٢) وهناك آراء تذكر أن السومريين بدأوا حياتهم في إقليم ما بين النهرين عام ٣٥٠٠ ق.م (الماضي الحي صـ٢٠) وأخرى تعود بها إلى عام ٤٠٠٠ ق.م (موسوعة تاريخ العالم جـ١ صـ٥٢) وإن كان صموئيل نوح كريمر يرجع بها إلى أبعد من ذلك إلى عام ٥٠٠٠ ق.م (من ألواح سومر صـ٢٣ ترجمة طه باقر، مكتبة الخانجي القاهرة).

(٣) من هذه المراكز المدن السومرية المطمورة وهي: أريدو (أبو شهرين الحديثة) وأور (المقبرة الحديثة) وأوروك المسماة المسماه (أراك) في التوارة جـ٢ صـ١٣ والمعروفة الآن باسم الوركاء ولاسا (المسماة في التوراة باسم الاسار، والمعروفة الآن باسم سنكره (قصة الحضارة الشرق الأدنى مجلد ١ جـ٢ صـ١٣.

وكانت أرض السومريين تمتد من الخليج الفارسي جنوبًا حتى بغداد الحديثة شمالًا (الماضي الحي صـ٢٠).

(٤) كلمة سومر تعني حرفيًا ـ حسب كتابتها السومرية بلاد سيد أحراش القصب (هذا السيد هو الإله أنكي)، وربما تكون مأخوذة من اسم أول مدينة سومرية في بداية تاريخها.

(طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات الجزء الأول صـ٩، ٥٨ د/ سامي سعيد الأحمد: السومريون صـ٤١.

أصحابه قبل ذلك بزمن طويل، ثم شاع فيما بعد أكثر مما سواه والتصق بأهله الذين عرفهم التاريخ باسم السومريين[١].

ولقد ظل العالم يجهل كل شيء عن السومريين حتى منتصف القرن الماضي (أي حوالي عام ١٨٥٠م)[٢]، إذ تم اكتشافهم، وتتابعت الأبحاث والدراسات عنهم.

ولكن بالرغم من إثبات العلماء أن السومريين هم أحد شعوب الشرق الأدنى القديم وتمكنوا من معرفة كثير من حضارتهم وديانتهم، إلا أنهم لم يصلوا حتى الآن إلى الوقوف على جنسهم، ونوع لغتهم، وموطنهم الأصلي الذي هاجروا منه إلى وادي الرافدين[٣].

وجل ما يمكن قوله بهذا الصدد أن السومريين لم يكونوا من الأقوام السامية، ولغتهم غريبة لا تشبه اللغات السامية، وأنهم ازدهروا بثقافتهم في القسم الجنوبي من العراق، ومهما كان مهدهم الأصلي الذي نزحوا منه، فالمعروف بين جمهور الباحثين أن الحضارة السومرية نشأت وترعرعت في بلاد الرافدين، وأنهم عاشوا مع الساميين، ولكنهم ـ على ما هو مجمع عليه ـ هم المؤسسون الأوائل لمقومات الحضارة والعمران، ومنهم اقتبس الساميون في العراق أصول حضارتهم[٤].

---

(١) د/ عبدالعزيز صالح: الشرق الأدنى القديم جـ١ مصر والعراق صـ٣٨٧.

(٢) صموئيل كريمر: من ألواح سومر صـ٢٤، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم الجزء الخامس صـ٤١.

(٣) تفاصيل ذلك واجتهادات العلماء في تحديد أصولهم: قصة الحضارة المجلد الأول: الجزء الثاني (الشرق الأدنى) صـ١٤ـ١٥، بريستد: العصور القديمة صـ١٢٠ـ١٢١ طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة الجزء الأول الخاص بتاريخ وادي الرافدين صـ٥٦ـ٦٤، د/ سامي سعيد الأحمد: السومريون وتراثهم الحضاري صـ٤١ـ٤٥، د/ عبدالعزيز صالح: الشرق الأدنى القديم الجزء الأول صـ٣٨٨ـ٣٩١. د/ نجيب ميخائيل مصر والشرق القديم الجزء الخامس صـ٤١ـ٤٣.

وإن كان الدكتور فاضل عبدالواحد يرى أنه ليس هناك ما يبرر الافتراض القائل بهجرة السومريين من بلد آخر إلى جنوب وادي الرافدين، ويذهب إلى أنهم امتداد لأقوام عصور ما قبل التاريخ في وادي الرافدين (راجع السومريون والأكاديون) ضمن كتاب العراق في التاريخ صـ٦٣ـ٦٨ بغداد ١٩٨٣.

(٤) صموئيل كريمر: من ألواح سومر صـ٨ـ٩، هـ.ج. ويلز: معالم تاريخ الإنسانية ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد المجلد الأول والكتاب الثالث صـ١٥٩ طبعة ١٩٦٩ لجنة التأليف والترجمة، صموئيل هنري هوك: منعطف المخيلة البشرية ترجمة صبحي حديدا نشر دار الحوار: سورية الطبعة الأولى ١٩٨٣.

وبالرغم من أن اليهود لم يعاصروا السومريين، إلا أن التعرف على ديانتهم وذكرها ضمن الديانات التي عاصرها اليهود من الأمور اللازمة حيث إن هذه الديانة ظلت باقية ومؤثرة في حياة البابليين والأشوريين اللذين اختلط بهما اليهود.

٢ـ الأكديون:

من أشهر هجرات الساميين من الجزيرة العربية إلى بلاد الرافدين كانت هجرة الأكديين أو الآكاديين، فهم الساميون الأول الذين استوطنوا العراق القديم بل إن الدكتور حسن ظاظا يذهب إلى أنهم أول شعبة سامية تظهر على مسرح التاريخ[١].

وقد قامت على يد هؤلاء الأكديين الدولة الأكدية المشهورة، إذ أنهم عاشوا أولًا مع السومريين جنبًا إلى جنب وتفاعلوا معهم[٢]، ثم بدأوا يحاربونهم ويغيرون عليهم حتى ظهر فيهم سرجون الأول[٣] فوحدهم وهزم السومريين وفرق شملهم واستولى على دولتهم، وأسس إمبراطورية كبيرة جعل عاصمتها مدينة أكد[٤]، وعرفت بالإمبراطورية الأكدية.

---

(١) الساميون ولغاتهم صـ٢٦ وراجع أيضًا د/ فرج بصمجي: أقوام الشرق وهجراتهم صـ٩٢ مجلة سومر المجلد الثالث ١٩٤٧م.

(٢) د/ فاضل عبدالواحد: السومريون والأكديون ضمن العراق في التاريخ صـ٧٢.

(٣) ويلز: العالم تاريخ الإنسانية المجلد الأول الكتاب الثالث صـ١٦٠.

واسم سرجون في اللغة الآكدية "شرو ـ كينو" ومعناه حرفيًا الملك المكين، أو الرئيس القوي، أو الملك الشرعي، ولعله يقصد بذلك إثبات شرعيته إذ أنه لم يكن من أبناء الملوك فلم يعرف التاريخ له أبا، وإنما كانت أمه عاهرة من عاهرات المعابد، ولكنه استطاع الوصول إلى العرش بقيامة بثورة مسلحة ضد الملك (راجع أندريه بارو: سومر فنونها وحضارتها ترجمة د/ عيسى سليمان وسليم طبعة دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٧٨ صـ٢٢١، ديورانت: قصة الحضارة مجلد١ جـ٢ صـ١٨، د/ ظاظا: الساميون صـ٣٤ د. عبدالعزيز صلاح: الشرق الأدنى جـ١ صـ٤١٨، ويقول عنه بريستيد... كان سرجون أول قائد عظيم في تاريخ الجنس السامي، وأول ملك أنشأ أمة عظيمة في آسيا الغربية، وكان لفتوحاته الباهرة تأثير شديد في نفوس سكان ما بين النهرين لم يمحه مر السنين وتراخي الحقب (راجع العصور القديمة صـ١٣٣ـ١٤٤ وراجع أيضا د/ حتى: موجز تاريخ الشرق صـ٣٧، الماضي الحي ٣٢.

(٤) مدينة أكد هي التي انتسب إليها الأكديون وهي مدينة قديمة في أرض شنغار وفي مملكة بابل وتذكر في سفر التكوين ١٠:١٠ جنبا إلى جنب مع بابل كجزء من مملكة نمرود بن كوش، وقد جعلها سرجون الأول عاصمة الإمبراطورية حوالي عام ٢٤٠٠ ق.م وربما كان موقع هذه المدينة بقرب "أبي هبة" على نهر الفرات شمال بابل (قاموس الكتاب المقدس صـ٩٧).

وكان تأسيس هذه الإمبراطورية في الألف الثالث ق.م[1].

هذا وبالرغم من غلبة الأكاديين على السومريين، إلا أنهم اندمجوا فيهم، وتأثروا بحضارتهم، وتبنوا ديانتهم واقتبسوا منها الكثير كما سنرى.

٣ـ البابليون:

أطلق اسم البابليين على عدد من الدول التي تأسست في بلاد بابل على مدى تاريخها الطويل، ويهمنا في هذا الفصل أن نشير إلى دولتين من هذه الدول أو إلى عصرين من عصور البابليين:

١ـ العصر البابلي القديم (دولة بابل الأولى) (٢٠٠٦ـ١٥٩٥ ق.م):

يرجع البابليون القدماء في أصلهم إلى العموريين أو الأموريين[2]، الذين استولوا على مدينة بابل[3] الصغيرة في نهاية الألف الثالث ق.م، والتي لم تكن في ذلك العهد

---

(١) يتفق المؤرخون على أن حكم سرجون كان في الألف الثالث ق.م ويتفقون أيضًا على أنه حكم حوالي خمسة وخمسين عامًا وإن كانوا يختلفون في تحديد بداية ونهاية هذه الفترة (راجع جورج رو: العراق القديم ترجمة حسين علوان وزارة الثقافة بالعراق ٩٨٤م أندريه بارو: سومر صـ٢٢١، د/ فاضل عبدالواحد: السومريون والأكديون صـ٧٥).

د/ محمد أبو المحاسن عصفور: معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم من أقدم العصور إلى مجيء الإسكندر: دار النهضة العربية بيروت الطبعة الثالثة ١٩٨٤م.

(٢) كلمة آموريين منقولة عن الاصطلاح السومري "مارتو" ومنه الكلمة الأكدية "أمورو" وسماهم السومريون "أهل مارتو" أي أهل الغرب، ثم سماهم الأكديون بالأموريين (د/ حتى: تاريخ سورية جـ١ صـ٧٠، د/ عبدالعزيز صالح: الشرق الأدنى جـ١ صـ٤٤٧.

والأموريون أو العموريون هم الموجة الثانية من موجات الهجرة السامية إلى بلاد الرافدين وكانوا قد أقاموا أولًا في شمال سورية (موسوعة تاريخ العالم جـ١ صـ٥٢).

(مارسون أو رسيل: الفلسفة في الشرق ـ٣٣ـ٣٤ ترجمة محمد يوسف موسى (صموئيل هوك: منعطف المخيلة البشرية صـ١٥ـ١٦).

(٣) جاء اسم بابل من لفظ "باب ايلو" من اللغة الأكدية ومعناه "باب الله" ونفس اللفظ ترجمة للكلمة السومرية "كادنجرا" د/ عبدالعزيز صالح: مصر والعراق صـ٤٦٠، وتظهر أهمية بابل في العصور القديمة من ورود ذكرها في الكتاب المقدس أكثر من مائتي مرة وقد وردت في سفر التكوين ١٠:١٠/ ١٤ : ١ على أنها العاصمة العظيمة لمملكة بابل القديمة "شنغار".

وقد أطلق هذا الاسم أيضًا على أهل المدينة وعلى البابليين جميعًا (ملوك ثان: ١:٢٤/ ٢٧:٥/ مزمور ١:١٣٧) قاموس الكتاب المقدس صـ١٥٢.

وقيل إن اسم بابل لم يطلق على كل البلاد البابلية إلا في عهد الفرس ثم انتقل هذا الاستعمال منهم إلى اليونان (ولفنسون: تاريخ اللغات السامية صـ٢٥).

إلا قرية على الفرات لا شأن لها ولا خطر، ثم أخذوا يغيرون على سومر وأكاد طمعًا في الاستيلاء عليهما[١].

ويبدأ هذا العصر بسيطرة الأموريين فعلًا على ممالك سومر وأكاد، إذ أنهم قاموا بتوحيد البلاد وأسسوا ما يسمى بسلالة بابل الأولى[٢]، وكان من أشهر ملوك هذه السلالة الملك حمورابي[٣].

الذي دام ملكه أكثر من أربعين عامًا[٤] ولا ترجع شهرته إلى عبقريته العسكرية وانتصاراته الحربية فقط، وإنما إلى القانون الذي يعرف به (قانون حمورابي).

---

(١)برسيتيد: العصور القديمة صـ١٣٨ـ١٣٩ منعطف المخيلة البشرية صـ١٥ـ١٦ د/ حتى: موجز تاريخ الشرق الأدنى صـ٤٢.د/ طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات الجزء الأول صـ٤٠٤ـ٤٠٥/ ٤٢٤ـ٤٢٨ د/ سامي سعيد الأحمد: العصر البابلي القديم ضمن كتاب العراق في التاريخ صـ٨٣ـ٨٨.

(٢)د/ طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات الجزء الأول صـ٤٠٤ـ٤٠٥/ ٤٢٤ـ٤٢٨ د/ سامي سعيد الأحمد: العصر البابلي القديم ضمن كتاب العراق في التاريخ صـ٨٣ـ٨٨.

(٣)اسم حمورابي مركب من كلمتين "حمو" وهم اسم إله سامي غربي من الآلهة الشمسية كما يدل على ذلك اسمه الذي يعني الحرارة، وكلمة "رابي" ومعناه عظيم أو كبير، ويجوز قراءتها "رافئ" بمعنى "مكثر" ويسمى أيضًا عمورابي.

(د/ طه باقر: المصدر السابق صـ٤٢٩، د/ سامي سعيد الأحمد المصدر السابق صـ٨٨).يكاد المؤرخون يجمعون على أن فترة حكم حمورابي كانت في القرن الثامن عشر ق.م ولكنهم يختلفون في تقديرها بالتحديد وأرجح الأقوال أنها (١٧٩٣ـ١٧٥١) ق.م.

(راجع الحديث عن حمورابي وعصره في بريستيد العصور القديمة صـ١٣٩، وما بعدها وج. دي بورج: تراث العالم القديم جـ١ ترجمة زكي سوس صـ٤٠ نشر دار الكرنك القاهرة ١٩٦٥م، جورج رو: العراق القديم صـ٢٦٧ وما بعدها، أندريه بارو: سومر فنونها وحضارتها صـ٣٠٩ د/ سامي سعيد الأحمد: العصر البابلي القديم ضمن العراق في التاريخ صـ٨٨ وما بعدها، د/ فرج بصمجي: أقوام الشرق القديم صـ٩٢ـ٩٣، د/ عبدالعزيز صالح: مصر والعراق صـ٤٦٢.

(٤)يكاد المؤرخون يجمعون على أن فترة حكم حمورابي كانت في القرن الثامن عشر ق.م ولكنهم يختلفون في تقديرها بالتحديد وأرجح الأقوال أنها (١٧٩٣ـ١٧٥١) ق.م.

(راجع الحديث عن حمورابي وعصره في بريستيد العصور القديمة صـ١٣٩، وما بعدها وج. دي بورج: تراث العالم القديم جـ١ ترجمة زكي سوس صـ٤٠ نشر دار الكرنك القاهرة ١٩٦٥م، جورج رو: العراق القديم صـ٢٦٧ وما بعدها، أندريه بارو: سومر فنونها وحضارتها صـ٣٠٩ د/ سامي سعيد الأحمد: العصر البابلي القديم ضمن العراق في التاريخ صـ٨٨ وما بعدها، د/ فرج بصمجي: أقوام الشرق القديم صـ٩٢ـ٩٣، د/ عبدالعزيز صالح: مصر والعراق صـ٤٦٢.

ب ـ العصر البابلي الحديث (دولة بابل الأخيرة) (٦٢٦ـ٥٣٩ ق.م):

في هذا العصر قامت الدولة البابلية الأخيرة على أيدي الكلدانيين[١] بقيادة ملكهم الأول نبوبولاصر (٦٢٦ـ٦٠٤ق.م) الذي ثار على حكم الأشوريين وقضى على دولتهم[٢].

وبلغت هذه الدولة أوج مجدها في عهد ابنه بنوخذ نصر (بختنصر) والذي دام حكمه مدة طويلة بدأت من ٦٠٤ إلى ٥٦٢ ق.م.

وقد اعتبر المؤرخون هذه المدة من أزهى الفترات التي عاشها الساميون ـ على امتداد التاريخ القديم ـ في العراق عسكريا وحضاريا[٣]، ولكن أهمية وخطورة هذه الفترة تتمثل فيما يعنينا ـ بوقوع الأسر البابلي لليهود فيها، وقيام بختنصر بتدمير أورشليم[٤].

هذا وقد تعاقب على عرش هذه المملكة بعد نبوخدنصر عدد من الملوك، ولكنهم

---

(١) ما يزال معرفة أصل الكلدانيين موضع جدل للصعوبات التي تكتنفه وندرة المصادر عنه (د/ سامي سعيد الأحمد: بابل الحديثة ضمن العراق في التاريخ صـ١٦٣ بغداد ١٩٨٣)، وإن كان هناك من يذهب إلى أنهم فرع من الأراميين (د/ عبدالعزيز صالح مصر والعراق صـ٥٤٨ـ٥٥٠)، ويذكر كل من بريستيد وويلز أنهم قوم من الساميين الرحل زحفوا من الجنوب الشرقي وأنهم آخر من تسلطوا على بابل من الساميين، وقد أعادوا بنيان مدينة بابل بعد تدميرها على يد الأشوريين وجعلوها عاصمة مملكتهم، ولكنهم دعوا البلاد كلها باسمهم فصار اسمها كلدية وكانت تشتمل على جميع أراضي الهلال الخصيب (العصور القديمة صـ١٨٠ معالم تاريخ الإنسانية مجلد ١ كتاب ٣ صـ١٦٣.

وقد ورد في قاموس الكتاب المقدس أن الكلدانيين كانوا يسكنون كلديا في جنوب بابل وكانوا هم الجنس الغالب في بابل، وكانوا يشغلون كل مناصب السلطة والسيادة فيها، وملأوا كل مناصب الكهنوت في العاصمة بحيث أصبح كلداني مرادفًا لكاهن الإله البابلي (قاموس صـ٧٨٥).

(٢) لمعرفة مزيد من التفاصيل عن هذا الملك وثورته وتوسعه فى الحكم راجع طه باقر: مقدمة فى تاريخ الحضارات ج ١، ص ٥٤٦، د/ سامى سعيد الأحمد: سلالة بابل الحديثة ضمن العراق فى التاريخ ص ١٦٤.

(٣) راجع جورج رو: العراق القديم صـ٥٠٥ـ٥١٠، بريستيد: العصور القديمة صـ١٨١ دي بورج: تراث العالم القديم جـ١ صـ٤٣، طه باقر: المصدر السابق صـ٥٤٦ـ٥٤٧ د/ سامي سعيد الأحمد: المصدر السابق صـ١٦٤/ ١٦٥، د/ حسن ظاظا: الساميون ولغاتهم صـ٥١.

(٤) تفصيل ذلك في الفصل الخاص بفترات السبي والاضطهاد التي تعرض لها اليهود.

obeikandi.com

لم يكونوا في درجة قوته، ولذلك فإنها أخذت في الضعف والانهيار حتى سيطر عليها الفرس عام ٥٣٩ ق.م.[١].

٤ـ الأشوريون:

الأشوريون[٢] هم أحد الشعوب السامية التي نزحت إلى الهلال الخصيب وقد استقروا في القسم الشمالي من العراق، ربما منذ مطلع الألف الثالث ق.م[٣].

ونظرًا لطول تاريخهم، وتعدد مراحله، فقد درج المؤرخون وعلماء الآثار على تقسيمه إلى العصور التاريخية التالية:

١ـ العصر الأشوري القديم (٢٠٠٠ـ١٥٠٠ ق.م).

٢ـ العصر الأشوري الوسيط (١٥٠٠ـ٩١١ ق.م).

٣ـ العصر الأشوري الحديث (٩١١ـ٦١٢ ق.م)[٤].

ويهمنا من هذه العصور بوجه عام العصر الأشوري الحديث[٥] الذي شهد قيام إمبراطوريتين:

---

(١) راجع د/ طه باقر: المصدر السابق صـ٥٥٠ وما بعدها.

(٢) اسم الأشوريين مأخوذ من النسبة إلى أشور، وقد اشترك في اسم أشور كل من الأرض والعاصمة والمعبود الأكبر للأشوريين بجانب سكانها الأوائل مع تحويره في التشكيل والنطق بين كل حالة وأخرى ووردت تسمية آشور في بعض النصوص الأرامية بلفظ آثور وذكرتها النصوص المصرية باسم "اسر" وأسور (طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات جـ١ صـ٤٧١ـ٤٧٢، د/ عبدالعزيز صالح: مصر والعراق صـ٥٠٠، ولفنسون: تاريخ اللغات السامية صـ٣٠ (وردت كلمة أشور في العهد القديم للدلالة على اسم ثاني أبناء سام وإلى الأشوريين وللدلالة على بلادهم أيضًا (تكوين ١٤:٢/ ١٠:٢٢ أشعيا ٨:٣١).

(قاموس الكتاب المقدس صـ٧٨ دائرة المعارف للبستاني مجلد ٣ صـ٧٠٩).

(٣) أندريه بارو: بلاد أشور: نينوي وبابل: وزارة الثقافة بغداد ١٩٨٠ صـ١٧، ويلز: معالم تاريخ الإنسانية مجلد ١ ك٣ صـ١٦٢، د/ عامر سليمان: العصر الأشوري ضمن كتاب العراق في التاريخ صـ١١٩، د/ حسن ظاظا: الساميون صـ٤٥ـ٤٦.

(٤) طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات جـ١ صـ٤٧٥ وما بعدها.

(٥) لقد تميز هذا العصر على مدى قرونه الثلاثة ـ بتعاظم قوة الأشوريين وبازدهار حضارتهم وامتداد نفوذهم حتى شملت حدود دولتهم جميع بلاد الشرق الأدنى القديم، فكانت أعظم إمبراطوريات الشرق القديم.

راجع طه باقر: المصدر السابق صـ٤٩٧ـ٤٩٨.

obeikandl.com

أ ـ الإمبراطورية الأشورية الأولى (٩١١ـ٧٤٤ ق.م).

ب ـ الإمبراطورية الأشورية الثانية (٧٤٤ ـ ٦١٢ ق.م).

ويهمنا بوجه خاص عهد الإمبراطورية الثانية التي اتصل اليهود بها اتصالًا مباشرًا وقضت على مملكة إسرائيل بعد أن احتلت عاصمتها السامرة، وقامت بسبي أهلها بما عرف بالسبي الأشوري[١].

صعوبة التمييز بين ديانات بلاد الرافدين:

يعسر على الباحث الوقوف على أصول ديانات بلاد الرافدين، أو معرفة بدايتها الأولى، ويرجع ذلك إلى تعدد الشعوب التي توافدت عليها، واختلاف الأجناس التي قطنت بها، فأحدث ذلك نوعًا من الامتزاج الحضاري والاختلاط الديني بين هذه الشعوب وتلك الأجناس.

وكل ما يمكن قوله في هذا الشأن أن ديانة السومريين كانت هي الأساس الأول والمشترك فيما يرى المؤرخون[٢] لديانات الساميين في بلاد الرافدين، إذ أن الساميين قد وفدوا عليهم، فذابوا في حضارتهم، واندمجوا في ديانتهم.

يقول موسكاتي "وطابع التوفيق بين الأشياء المختلفة الذي يميز حضارة أرض الرافدين لا يتجلى في شيء كما يتجلى في نظمها الدينية، فآلهتها السامية هي إلى حد كبير آلهة سومرية تقبلها الغزاة المنتصرون مع بعض التعديل"[٣].

وقد عبدت هذه الآلهة السومرية من قبل السومريين والساميين لأكثر من ثلاثة آلاف عام ولعبت المعتقدات الدينية السومرية في هذه الفترة دورًا غير اعتيادي في توجيه مناحي الحياة العامة والخاصة لسكان وادي الرافدين[٤].

---

(١) تفصيل ذلك في الفصل الخاص بقنوات الاتصال التاريخية، وفي الفصل الخاص بفترات السبي والاضطهاد.

(٢) راجع الفلسفة في الشرق صـ٦٦، ٦٧، معالم تاريخ الإنسانية مجلد١ ك٣ صـ١٦٠.

(٣) الحضارات السامية صـ٧٥.

(٤) جورج رو: العراق القديم صـ١٢٨ بل إن صمويل كريمر يذهب إلى أن آراء ومعتقدات السومريين أصبحت فيما بعد عقائد ومبادئ أساسية لكثير من شعوب الشرق الأدنى القديم.
(من ألواح سومر صـ١٥١ـ١٥٢).

obeikandl.com

إذ كان استيعاب الساميين لعناصر الحضارة السومرية متصلًا واسع النطاق إلى حد صارت معه جوانب عدة من الحضارات السامية تعتمد اعتمادًا مباشرًا على تلك العناصر[١].

ونتيجة ذلك أصبح ولا يزال من العسير أن نحدد في الدين (السومر أكادي) ما يرجع أصله إلى العنصر السامي من السكان وما هو من أصل سومري حيث استقرت العقائد الأصلية واستمرت اللغة السومرية مستخدمة في ممارسة العبادة، وأداء الطقوس، حتى بعد اختفاء السومريين[٢].

وكذلك الأمر فيما يتعلق بديانتي البابليين والأشوريين، فكما يقول ول ديورانت "كل ما في وسعنا أن نقوله، إن حضارتي البابليين والأشوريين مستمدتان من سومر وأكد، أو أن سومر وأكد لقحتا الحضارتين البالية والأشورية بلقاحهما، ذلك أن آلهة بابل ونينوي[٣] وأساطيرهما الدينية، ليست في كثير من الأحوال إلا آلهة وأساطير سومرية طرأ عليها التحوير والتطوير[٤].

الخصائص العامة لديانات بلاد الرافدين[٥].

ولذلك فإنني إذ أتحدث عن الخصائص العامة والصفات البارزة لديانات بلاد الرافدين نجد أن أول صفة من هذه الصفات صفة:

---

(١) موسكاتي: الحضارات السامية صـ٧٣ـ٧٤.

(٢) ل. ديلابوت: بلاد ما بين النهرين (الحضاراتان البابلية والأشورية) صـ ١٦٥ ترجمة محرم كمال، ملتزم الطبع والنشر مكتبة الآداب القاهرة، تحت رقم (٣٥) من سلسلة الألف كتاب، بدون تاريخ. راجع أيضًا د/ عبدالمنعم أبو بكر: العراق القديم ضمن كتاب حضارة مصر والشرق القديم صـ٢٩٨، ٣٠١ مكتبة مصر القاهرة بدون تاريخ.
هذا وقد عاش الشعبان السومري والأكادي مختلطين بعضهما ببعض إلى حد كبير، فكانت حضارة أرض الرافدين وتاريخها نتاج شعب مركب يستحيل في كثير من الأحيان التمييز في وضوح بين العنصرين الأساسيين الذين يتألف منهما (راجع موسكاتي صـ٦٦، وول ديورانت: قصة الحضارة مجلد جـ٢ صـ١٩٠).

(٣) هي عاصمة الأشوريين بعد مدينة أشور.

(٤) قصة الحضارة مجلد١ جـ٢ صـ٤٢ـ٣٤ راجع لانجر: موسوعة تاريخ العالم جـ١ صـ٥٥.

(٥) بناء على ما رأينا من امتزاج واختلاط الديانات المختلفة رأيت أن من الأفضل الاكتفاء بذكر الخصائص العامة والصفات البارزة لديانات بلاد الرافدين.

أ ـ الاستمرارية:

والمقصود بالاستمرارية هو أن الطقوس والمعتقدات والآلهة ظلت محافظة على جوهرها خلال العصور التاريخية المختلفة، وهذا يعكس طبيعة الديانة العراقية القديمة في الاستمرار والتواصل وبأنها ديانة جميع الأقوام التي عاشت في بلاد الرافدين في الفترات الزمنية المختلفة[١].

ب ـ التشبيه:

ومن أبرز الخصائص العامة في ديانات بلاد الرافدين شيوع صفة التشبيه ووجود مذهب المشبهة أو مبدأ التأنس، والمقصود بذلك أن تنسب إلى الآلهة صفات البشر الروحية والمادية كالصورة والأعضاء والفكر كما عند الإنسان غير أنها كانت تتميز عنهم بصفة الخلود[٢].

فقد نقل السومريون ومعهم الساميون إلى آلهتهم جميع الأفعال التي يمارسها البشر في حياتهم الخاصة والعامة، فهي تعيش وتأكل وتتزاوج وتلد، وتسكن في بيوت (هي المعابد المشيدة لها، وفيها خدمها وطهاتها وكهنتها، ولكل إله زوج أو زوجات، وسراري ومعشوقات، وله بنون وبنات[٣]، وهم يرتدون لباسًا كلباس

---

(١) راجع طه باقر: ديانة البابليين والأشوريين صـ٢ـ٣ مجلة سوتر العراقية المجلد الثانية سنة ١٩٤٦م، راجع أيضًا د/ عامر سليمان: جوانب من حضارة العراق القديم ضمن كتاب العراق في التاريخ صـ٢١٠ـ٢١١.

(٢) وقد يحدث أن يموت بعض الآلهة مثل الإله الذي يمثل فصل الربيع، ويكون ذلك لأمد محدد ويفسر الموت بالذهاب للعيش في العالم الأسفل (راجع جورج رو: العراق القديم صـ١٣٠، طه باقر: ديانة البابليين صـ٥ مجلة سومر ١٩٤٦م).

(٣) ديلابورت: بلاد ما بين النهرين صـ١٦٦، كريمر: من ألواح سومر صـ١٥٤، ١٦٩، طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات جـ صـ٣٢٩ـ٣٣٠ ديانة البابليين صـ٤ـ٥ مجلة سومر، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الجزء السادس (حضارة العراق القديمة صـ١٠٩ـ١١٠ الطبعة الثانية ١٩٦٧ دار المعارف، د/ عامر سليمان: جوانب من حضارة العراق القديم ضمن العراق في التاريخ صـ٢١١. =

البشر، ولكن ثياب الآلهة كان أبهى من ثياب الأمراء كان يصدر عنها بريق يخطف الأبصار[١].

وتقع أيضًا من هذه الآلهة كل أخطاء ونزوات البشر، فأفكارها قابلة للنضوب رغم علمها وثقافتها الواسعة، وهي معرضة للنزق والطيش والظلم رغم اشتهارها بالعدالة، وهي تتخاصم وتتحارب وتتألم، ويمكن أيضًا أن تجرح، وبإيجاز، فقد كانت آلهة بلاد الرافدين تمثل أفضل جوانب الطبيعة البشرية وأسوأها[٢].

جـ ـ الحيوية:

ومن الخصائص العامة أيضًا وجود مبدأ الحيوية[٣] وهو الاعتقاد بوجود قوى أو أرواح في جميع الظواهر الطبيعية.

فالآلهة السومرية والسامية في الأصل ما هي إلا تجسيم أو تمثيل للظواهر البارزة في هذا الكون، ولا سيما القوى التي كانت تؤثر في حياة القوم كالكواكب والظواهر الجوية المختلفة وفي مقدمتها القمر[٤]،

= ويقول ول ديورانت: "ولم يكن الآلهة بمنأى عن الأهلين، فقد كان معظمهم يعيشون على الأرض في الهياكل، يأكلون الطعام بشهية قوية، ويزورون الصالحات من النساء في أثناء الليل فيستولدونهن أطفالًا" قصة الحضارة مجلد١ صـ٢١٤.

(١) موسكاتي الحضارات السامية صـ٧٥.

(٢) راجع جورج رو: العراق القديم صـ١٣.

وتقرأ في أدب وأساطير بلاد الرافدين تصوير كيد الأرباب بعضهم لبعض، وإسفاف بعضهم مع بعض، وشيوع البغاء والمضاجعة والحسد في مجتمعهم.

(راجع كريمر: من ألواح سومر صـ١٤٥، ١٨٦).

د/ عبدالعزيز صالح الشرق الأدنى القديم جـ١ مصر والعراق صـ٤٤٦.

(٣) راجع طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات جـ صـ٣٣٠ ديانة البابليين صـ٤ مجلة سومر، د/ عبدالعزيز صالح: مصر والعراق صـ٣٩٨ـ٣٩٩، د/ عبدالحميد زايد: الشرق الخالد دار النهضة العربية صـ١٤٨، ١٣٨.

(٤) يأتي إله القمر قبل إله الشمس في ترتيب الآلهة بناء على ما اعتقدوه من أن إله الشمس ابن لإله القمر، وقد اشتهر إله القمر باسم (سين) وهو اسم سومري نقله الأكديون عن السومريين، وله نظائر سامية لدى الأراميين والأموريين، وله أيضًا أسماء آخر منها (ننا) بمعنى رجل السماء وحرفه الأكديون إلى (ننر) أي المنير "سين" هو سيد الشهير، وكان خسوف القمر يمثل أهول الظواهر =

والشمس[1] والصواعق والعواصف[2].

= وأشدها روعًا، وكان ينسب إلى هجوم على الإله "سين" من سبع أرواح شريرة في السماء، وكانت صورة الكارثة تختلف حسب الشهر الذي يقع فيه الخوف، فكانت ترسل الدعوات إلى الإله، وتقدم إليه القرابين، حتى لا يولد من جديد أشد بهاء من ذي قبل منتصرًا على الظلمات والموت.

وكان لهذا الإله زوجة تسمى "ننجل" وقد أنجبا كما يزعمون الإله "شمش" إله الشمس والآلهة "عشتر" واعتبروا "نسكو" إله النار ابنا لها في بعض الأحيان.

وكانت مدينة أور مركز عبادة هذا الإله "سين" وزوجته وابنهما نسكو وزوجته، وانتقلت عبادة هذه الآلهة إلى حران (في آرام) في الشمال، وانتشرت عبادة إله القمر من أور إلى كل أرجاء بابل ومن حران إلى سوريا وفينيقية.

راجع د. السيد يعقوب بكر: ناقلًا عن مصادر أجنبية: هوامش موسكاتي صـ ٢٥٤ـ٢٥٥ الماضي الحي صـ٢٦ـ٢٧، ول ديورانت: قصة الحضارة مجلد١ جـ٢ صـ٢٩، طه باقر: ديانة البابليين مجلة سومر صـ، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق جـ٦ صـ١٢٤ـ١٢٦.

وعن كيفية ولادة إله القمر من الإله أنليل توجد أسطورة سومرية تبرز تصور السومريين للآلهة كيف تتزوج ويتصل ذكرها بأنثاها ثم يحدث الإنجاب.

راجع هذه الأسطورة من ألواح سومر صـ١٦٥ـ١٦٩.

(١) إله الشمس (شمش) يأتي في مرتبة الآلهة بعد أبيه إله القمر، وذلك لاعتقادهم أن النهار يتولد من الليل فالشمس بنت القمر، وكان السومريون يسمونه أوتو، وكان يرمز به بقرص ذي جناحين، ومن ألقابه "نور العالم" و"نور الآلهة" وهو الذي يطارد الظلمات، ويقصر النهار ويطيل الليل كما يشاء، وحياة العلم متوقفة عليه، فهو الذي يهب الحياة، وهو الذي يحي الموتى وكان له زوجة تسمى "ايا" وكان له أبناء ومستشارون يعاونونه في القضاء، وكانت له عدة مراكز هامة للعبادة منتشرة في البلاد وبالرغم من تخصص عبادته هو وإله القمر "سين" في هذه المراكز إلا أنهما كانا بسبب طبيعتهما من المعبودات الجماهيرية حيث كانوا يطلقون ذلك عليهما.

(راجع جورج رو: العراق القديم صـ١٣١، د/ السيد يعقوب بكر: هوامش موسكاتي صـ٢٥٥ـ٢٥٦، طه باقر: مجلة سومر صـ١٧ـ١٨، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى جـ٦ صـ١٥٨ـ١٥٩.

(٢) اتخذ أهل الرافدين آلهة للعواصف والقواصف وكان من أبرزها الإله أدد "وكان يسمى لدى السومريين (اشكر) ويرمز إليه في كتابتهم بالرمز ومعناه "الريح".

وكانت لأدد مكانة رفيعة في البلاد حين قامت الدولة البابلية الأولى، وفي قانون حمورابي يذكر أنه هو الذي يغرق الحقول ويحرق المحاصيل إذ أنه كان يمثل العاصفة سواء في مظهرها اللين السخي من مطر وفيضان أو في مظهرها العنيف المدمر من برق وإعصار فقد كان قوة مدمرة وسخية في نفس الوقت، وكان له زوجة تسمى "شلا"، وكان يعبد في مدينة (شور منذ بداية الإمبراطورية الأشورية) ويعد فيها ابنا لإله السماء (أن).

وبجانب هذه الآلهة كان يوجد الإله ننجرسو على أنه إله العاصفة.

(راجع موسكاتي صـ٧٥، د/ السيد يعقوب بكر: هوامش موسكاتي صـ٢٥٧ـ٢٥٨) ناقلًا عن مصادر أجنبية، طه باقر: ديانة البابليين والأشوريين مجلة سومر صـ١٨ د/ نجيب ميخائيل جـ٦ صـ١٣٥ـ١٤٠.

د ـ التعدد:

ومن هذه الخصائص أيضًا بل من أبرزها وضوحًا شيوع مبدأ "تعدد الآلهة[1] وانتشار صفة الشرك في ديانة بلاد الرافدين، شأنها في ذلك شأن سائر الديانات الوضعية القديمة.

ويرجع ذلك إلى أن هذه الآلهة ـ كما ذكرت آنفًا ـ كانت فى أصلها تمثل الظواهر الطبيعية المختلفة، ولما كانت هذه الظواهر كثيرة، وتكاد تكون غير محدودة، فإن الآلهة قد ازدادت بزيادتها وتعددت بكثرتها، حتى وصل عددها إلى الآلاف[2].

مجمع الآلهة:

ولكن عندما تدرج القوم، وارتفع مستواهم الاجتماعي، وتكونت المدن المعظمة، وتوحد القطر، وانتقل من عهد دويلات المدن إلى دور الإمبراطوريات الكبيرة ولد كل ذلك الحاجة إلى عملية الانتخاب من بين هذه الآلهة الكثيرة.

وتم انتخاب عدد كبيرمنها ـ مع تمييز بين الأهم والمهم من بين الظواهر الطبيعية التي تمثل الآلهة ـ وتنظيمها في مجاميع، وتحديد صفاتها ووظائفها، وعلاقتها بعضها بالبعض وبالبشر، مما كون لديهم لاهوتًا منظما، ونتج من هذا الانتخاب مجموعة كبيرة من الآلهة أطلق عليها "مجمع الآلهة" وكثيرًا ما

---

(١) راجع ألواح سومر: صـ١٧٠ـ١٧١، طه باقر: ديانة البابليين مجلة سومر صـ٤ـ٥ د/ عبدالعزيز صالح: مصر والعراق صـ٣٩٨، د/ محمد جابر عبدالعال: في العقائد والأديان صـ٦٨ـ٧١ الهيئة العامة المصرية للتأليف والترجمة ١٩٧١م.

(٢) إن الآلهة على كثرتها قد بلغت الألوف عدا توشك أن تملأ قاموسًا كبيرًا "أو مجلدًا ضخمًا" وقد ألفت فعلًا عدة قواميس لهذه الآلية.

يذكر العقاد أن أهل الرافدين قد ارتفعوا بعدد الآلهة إلى أربعة آلاف وقرنوا بها أندادًا لها من الشياطين والعفاريت تبلغ هذا العدد أو تزيد (الله صـ٢٠ الطبعة السادسة ١٩٦٩ دار المعارف).

ويقول ول ديورانت: "إن الآلهة قد كثرت لأن أهل الرافدين كان لهم في خلقها خيال واسع لا ينضب معينه، وقد أحصى عدد الآلهة إحصاء رسميا في القرن التاسع ق.م فكانوا حوالي خمسة وستين ألف إله (قصة الحضارة مجلد١ جـ٢ ص٢١٣.

obeikandl.com

كانوا ينظمون آلهة هذا المجمع إلى مجموعات[1] صغيرة تحتوي كل منها على عدد من الآلهة يبلغ ثلاثة أو أربعة وعلى رأس تلك المجموعات تقف تلك المجموعة الرباعية المكونة من هؤلاء الآلهة: آنو[2]، إنليل[3]، إنكي[4]،

---

(١) راجع كيفية تكوين هذه المجموعات وقيام الآلهة بوظائفها في إطار تلك المجموعات: أرنولد توينبي: تاريخ البشرية الجزء الأول صـ٨٠ـ٨١ ترجمة نقولا زيادة بيروت ١٩٨٥ جورج رو: العراق القديم صـ١٣٠ـ١٣٥، صمويل كريمر: من ألواح سومر صـ١٥٥ـ١٥٦ موسكاتي: الحضارات السامية صـ٧٥، لانجر: موسوعة تاريخ العالم جـ١ صـ٥٤، طه باقر ديانة البابليين مجلة سومر صـ٥، د/ عبدالمنعم أبو بكر: العراق القديم ضمن كتاب حضارة مصر والشرق القديم صـ٣٠٢.

(٢) آنو أو (أن) أو (أنوم) هو إله السماء كان يعتبر الإله الأعظم على مدى عصور التاريخ القديم فهو يتصدر دائمًا قوائم الآلهة، وتعتبره الآلهة أبا لهم جميعًا، وكان له السلطة العليا التي تجعلهم خاضعين له، فكان يفصل في منازعاتهم، وقراراته مطلقة لا تقبل الرد ولا الاستئناف، وكان له زوجة تسمى "انتوم" (ديلايورت: بلاد ما بين النهرين صـ١٦٨، جورج رو: العراق القديم صـ١٣٣، د/ السيد يعقوب بكر: هوامش موسكاتي: صـ٣٥٢ـ٢٥٣، طه باقر: ديانة البابليين سومر صـ١٥، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق جـ٦ ص١٣٣ـ١١٥، د/ فوزي رشيد: المعتقدات الدينية ضمن كتاب حضارة العراق الجزء الأول صـ١٤٩ـ١٥٢ العراق بغداد ١٩٨٥م.

(٣) إنليل: (إله الجو والهواء) والمعنى الأصلي لاسمه المركب (إن ـ ليل) هو "سيد الريح" والريح تهب في اعتقاده من الجبل، ولهذا لقلب نليل بـ"الجبل الكبير" في السومرية.

وبالرغم من أنه يأتي في المرتبة بعد "آنو" لأنه أحد أبنائه ـ إلا أنه نجح في اغتصاب حق "آنو" والاستحواذ على السيادة المطلقة على كافة الآلهة (وهو الذي أحدث الطوفان في اعتقادهم، وكانت له زوجة تسمى "ننليل" واسمها مأخوذ من اسمه، وله سبعة أولاد (جورج رو: العراق القديم صـ١٣٣، ديلايورت: بلاد ما بين النهرين صـ١٦٩، د/ رشيد الناضوري: المدخل في التطور التاريخي للفكر الديني صـ٥٦ بيروت ١٩٦٩م، د/ فوزي رشيد/ المعتقدات الدينية (حضارة العراق جـ١ صـ١٥٢ـ١٥٤ ولمعرفة نموذج من أعمال هذا الإله، وكيفية خلقه للصيف والشتاء وفصله بينهما في تصورهم ـ راجع من ألواح سومر صـ٩٨ـ١٠٣ د/ عبدالعزيز صالح: مصر والعراق صـ٣٩٩.

(٤) إنكي: هو الاسم السومري القديم ويعني "سيد الأرض" ولأن الأرض لا تثمر بدون الماء فقد سار "إنكي" إله المياه وأصبح اسمه "إيا" أي بيت الماء، ويطلق على مملكته ألـ "إيسو" مسكن المعرفة، وبجانب ذلك فهو إله السحر والمعوذ بين الآلهة حيث إن الماء كان يستعمل في التطهير والقضاء والتنبوء (ديلايورت: بلاد ما بين النهرين صـ١٦٩، د/ السيد بكر: هوامش موسكاتي صـ٢٥٣ـ٢٥٤، د/ نجيب ميخائيل جـ٦ صـ١١٧ـ١٢١.

ولمعرفة مزيد من أعماله التي تنسب إليه راجع من ألواح سومر صـ١٧٨ـ١٨٢ د/ عبدالعزيز صالح: مصر والعراق صـ١٥٥ـ١٥٨.

ننخرساك[1]، وتعتبر آلهة هذه المجموعة من الآلهة العظام ـ في تصورهم ـ التي عمت عبادتها وتقديسها جميع أنحاء البلاد، واستمرت عبادتها وتقديسها أيضا في جميع أدوار التاريخ[2].

عقيدة التفريد و"الآلهة القومية"

هذا ولم تعرف ـ حسب معلوماتنا ـ[3] عقيدة التوحيد الخالص في ديانة بلاد الرافدين، وإنما وجد لديهم ما يسمى بعقيدة "التفريد" وهي لا تعني توحيدًا خالصًا، وإنما تعني إفراد إله واحد بالتقديس، والاقتصار عليه في العبادة، من بين هذه الآلهة المتعددة وتفضيله عليها، وهم في ذلك لم يتخلصوا من الوثنية، بل بقيت عالقة في تصوراتهم الوثنية لهذا الإله، وما يضفون عليه من خرافات، وما ينسبونه إليه من أعمال بشرية، وما يصفونه به من أوصاف آدمية.

وهم في نفس الوقت لا ينكرون وجود بقية الآلهة، وإنما يعتقدون بوجودها ولكنها منهزمة ومستسلمة لإلههم القومي الكبير، أو أنهم ليسوا سوى مظاهر لهذا الإله.

ويمكن لنا أن نضرب لذلك مثلين، أو نأخذ نموذجين من الآلهة القومية ممثلين في عبادة كل من البابليين والأشوريين، إذ كان لكل منهما إله قومي الطابع، أفردوه بالعبادة والتقديس.

البابليون وإلههم القومي (مردوخ) أو "مردوك":

لم يبلغ إله من آلهة الشرق القديم مثل ما بلغه مردوك[4] من شيوع ونفوذ إذ أنه قد

---

(١) ننخرساك أو ننخرساج هي الآلهة الخالقة (الآلهة الخالقة (الآلهة ـ الأم) وتعرف باسم ننماخ أيضًا (أي السيدة المعظمة وباسم "ننتو" (أي السيدة التي تلد أو السيدة (الوالدة" وقد قامت بدور هام ـ حسب أساطيرهم ـ في خلق الإنسان.

(٢) راجع حول ذلك في كتاب صمويل كريمر: من ألواح سومر صـ١٨٣ـ١٨٤.

(٣) راجع حول ذلك موسكاتي: الحضارات السامية صـ١٧١، طه باقر: ديانة البابليين والأشوريين صـ٤ مجلة سومر.

(٤) معنى مردوخ بالسومرية "عجل إله الشمس" وينطق أيضًا "ماردوكو" و"مارتو كو" بمعنى ابن الإله وكان له زوجة هي الإلهة صربانيتم ومعناها "الفضية" وينادونها في الطقوس "يا سيدتي" كما ينادونه "يا سيدي". =

ارتبط مصيره بمصير مدينة بابل[١]، فكان في أول أمره إلهًا محليًا وعبادته محصورة في تلك المدينة[٢] وظل الشعب البابلي يقدم عبادته وولاءه لآلهة السومريين القديمة ولكن ما أن تفوقت بابل سياسيًا، وسيطرت على البلاد، حتى تبوأ مردوخ المقام الأول بين الآلهة، وحل محل الإله إنليل كبير الآلهة السومرية[٣].

وأخذ أهل الرافدين يبجلونه هو وزوجته، حتى عندما فتح ملوك أشور أرض بابل، أبدوا ولاءهم لآلهتها، وفي مقدمتها مردوك وزوجه.

وفي عصر الدولة البابلية الأخيرة بلغ مردوك وزوجه ذروة مجدهما، وبعد أن فتح كورش الفارسي بابل بقيت لمردوك وابنه مكانتهما بل ظلا موضع الإجلال بعد ذلك أيام السلوقيين سواء في الحياة الخاصة أو الاحتفالات الرسمية[٤].

هذا وقد شغل البابليون بتمجيد إلههم القومي هذا منذ بداية الألف الثاني ق.م وساعدهم الكهنة في ذلك، إذ أعادوا صياغة قصة الخلق السومرية حتى جعلوه هو الخالق الأول[٥] واستمرت عبادته حتى تحدث عنه أرميا عندما سقطت بابل[٦].

الأشوريون وإلههم القومى "أشور":

اتسمت الحضارة الأشورية بالتفوق الحربي والنفوذ العسكري، ولم يكن للدين

= راجع هوامش موسكاتي صـ٢٦٣، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق جـ٦ صـ١٤٩ـ١٥٢ د. فوزي رشيد: المعتقدات الدينية ضمن حضارة العراق جـ١ صـ١٦١ـ١٦٢.

(١) د/ السيد يعقوب بكر: هوامش موسكاتي صـ٢٦٠، د/ نجيب ميخائيل جـ٦ صـ١٤٩.

(٢) طه باقر: ديانة البابليين مجلة سومر صـ١٦.

(٣) ديلابورت: بلاد ما بين النهرين صـ١٧٢، لانجر: موسوعة تاريخ العالم جـ١ صـ٥٦، بريستيد: العصور القديمة صـ١٤٥.

(٤) د/ السيد يعقوب بكر: هوامش موسكاتي صـ٢٦٣، طه باقر: ديانة البابليين سومر صـ١٦.

(٥) تفاصيل ذلك عند الحديث عن تأثر اليهودية بالديانات في قصص الخلق والطوفان في الباب الثالث. وسبحان الله وتعالى عما يشركون.

(٦) أريما ٥٠:٢/ ٥١:٤٤، ولمعرفة مزيد من التفاصيل راجع هوامش موسكاتي صـ٢٦٠، د/ نجيب ميخائيل جـ٦ صـ١٤٩ـ١٥٢.

obeikandi.com

سلطان مطلق على حكام أشور بقدر ما كان له في بابل، إذ كان يتم تكييفه وتعديله بما يوافق حاجات الملوك وأذواقهم، وبما يلائم عبقرية الشعب الحربية[١].

ومع ذلك ـ ولشدة انشغالهم بالفتوحات والحروب ـ فقد تبنوا ديانة بلاد الرافدين وثقافاتهم بوجه عام[٢]، ولم يضيفوا إليها شيئًا، وإنما تلقوها بقبول شديد، وكان لهم دور كبير في حفظها وصيانتها[٣].

وبالرغم من أنهم كانوا يقدسون جميع آلهة بلاد الرافدين تقريبًا[٤] إلا أنهم ظلوا متمسكين بإله قبيلتهم القديم أشور[٥] وجعلوه إلههم القومي، وأحلوه محل الإله البابلي مردوخ فاغتصب الاختصاصات التي كان مردوخ قد سلبها من انليل كبير الآلهة السومرية[٦].

وهكذا استطعنا التعرف إلى حد ما على ديانات بلاد الرافدين، وإذا كنت قد حاولت ـ بصعوبة كبيرة وفي إيجاز شديد ـ أن أبرز الملامح الرئيسية لهذه الديانات، فإن صورتها العامة ستتضح لنا أكثر من ذلك عند بيان تأثر اليهودية بها من نواحيها المختلفة وجوانبها المتعددة.

---

(١) راجع في ذلك ديلابورت: بلاد ما بين النهرين صـ٣٨١، ول ديورانت: قصة الحضارة مجلد١ جـ٢ صـ٢٧٥ـ٢٨٣، د/ عبدالمنعم أبو بكر: العراق القديم ضمن حضارة مصر والشرق صـ٣٤٣.

(٢) أندريه بارو: بلاد أشور: نينوي وبابل صـ١٧ـ١٨.

(٣) راجع الفلسفة في الشرق صـ١٨١، موسوعة تاريخ العالم جـ١ صـ٥٧.

(٤) ديلابورت: بلاد ما بين النهرين صـ٣٨٢.
طه باقر: ديانة البابليين والأشوريين سومر صـ١٩.
د/ عبدالمنعم أبو بكر: العراق القديم ضمن حضارة مصر والشرق صـ٣٢٤.

(٥) أشور: بتشديد الشين أو تخفيفها هو الإله القومي للأشوريين، وكبير آلهتهم حتى نهاية إمبراطوريتهم، وكانوا ينطقون اسمه بسين مشددة (هوامش موسكاتي صـ٢٦٤، د/ ميخائيل جـ٦ صـ١٥٤ـ١٥٥.

(٦) ومن ذلك أنهم جعلوه هو الخالق في قصة الخلق الأشورية، ونسبوا إليه زوجة انليل وسموها بعشتار الأشورية.
راجع بريستيد: العصور القديمة صـ١٦٢، ديلايورت: بلاد ما بين النهرين صـ٣٨١ـ٣٨٢، هوامش موسكاتي صـ٢٦٤، د/ ميخائيل جـ٦ صـ١٥٥ـ١٥٧ د/ فوزي رشيد: المعتقدات الدينية ضمن حضارة العراق جـ١ صـ١٦٣ـ١٦٤.

المبحث الثاني: ديانات بلاد سورية

إذا ذكرت سورية في التاريخ القديم فلا يقصد بها سورية بحدودها السياسية الحالية، وإنما تعني المنطقة التي عرفها اليونان بهذا الاسم[١] وسماها العرب ببلاد الشام[٢]، وأطلق عليها العهد القديم بلاد آرام[٣].

وتشتمل الآن على الوحدات السياسية الثلاث: الجمهورية السورية، ولبنان، وفلسطين[٤].

وكانت سورية ـ بموقعها الاستراتيجي[٥] ـ ملتقى مدنيات وديانات كثيرة اختلطت فيها مع الديانات والحضارات السامية القديمة، وكانت معينا استقت منه

---

(١) سورية كلمة يونانية منقولة محرفة عن أصل سامي قديم، ومنذ العهد اليوناني استخدم ـ اصطلاح سورية وظل استعماله ساريا حتى العصور الحديثة. (راجع عباس العقاد: الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونان ص١٢ـ٢٢ الهيئة المصرية للكتاب ١٩٨٥م، د/ محمد عبدالقادر محمد: الساميون في العصور القديمة ص١٨٧ دار النهضة العربية ١٩٦٨ القاهرة د/ نجيب ميخائيل جـ٣ صـ٧.

(٢) أطلق عليها العرب اسم الشام وتعني اليسار أو الشمال بالمقابلة مع اليمين بالنسبة لأهل الحجاز (المصدر السابق صـ٧ د/ ميخائيل، د/ عبدالحميد زايد/ الشرق الخالد صـ٢٣٥.

(٣) قاموس الكتاب المقدس ص٤٩٢.

(٤) د/ فخري: دراسات في تاريخ الشرق القديم صـ٥٢.

(٥) تمتد بلاد سورية من صحراء العراق شرقًا ومن ساحل البحر الأبيض المتوسط غربًا، ويحدها من الشمال جبال طوروس في جنوبى الأناضول، ومن الجنوب صحراء شبه الجزيرة العربية، وبهذا الموقع كانت سورية حلقة الاتصال فيما بين القارات الثلاث الرئيسية في العالم القديم، وكان لها أهميتها التجارية والثقافية (راجع موسكاتي ص٣٦، ٣٩، ١٢٢، د/ محمد أبو المحاسن عصفور: معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم صـ٢٦٤ ود/ محمد عبدالقادر محمد: الساميون في العصور القديمة د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق جـ٣ صـ٧ـ٨.

obeikandl.com

مدنيات البحر الأبيض المتوسط، وعلى أرضها وتحت سمائها نشأت ديانات وأساطير كان لها الأثر الأكبر على الفكر الإنساني فيما تلا ذلك من عصور[1].

وقد سبق أن أشرت إلى أنها كانت محطا لهجرات عدد كبير من الأقوام الساميين بل إن نصابها من هذه الهجرات كان أكثر من غيرها.

ويهمنا هنا أن نتعرض لأبرز ديانات هؤلاء الساميين، والتي ظلت قائمة حتى عاصرها اليهود واختلطوا بأصحابها.

ومن هذه الأديان:

١ـ ديانة الأموريين. ٢ـ ديانة الكنعانيين. ٣ـ ديانة الآراميين.

١ـ ديانة الأموريين:

الأموريون:

الأموريون[2] هم أول شعب سامي هام أقام في بلاد سورية[3]، إذ ـ أنهم يمثلون الموجة الأولى من الموجات السامية الكبرى.

وقد استقروا أيضًا في شمال البلاد، ثم أخذوا ينتشرون في مختلف أنحائها حتى صبغوها بالصبغة السامية، ولذلك فإننا لا نعرف عن أهل البلاد الأصليين ـ قبل قدوم الأموريين إليها ـ الشيء الكثير، بل إن معلوماتنا عنهم نادرة إن لم تكن

---

(١) د/ أحمد فخري: دراسات في تاريخ الشرق القديم صـ١٢١ـ١٢٢.

(٢) أول من سماهم بهذا الاسم هم جيرانهم السوماريون فكلمة أموريين غير سليمة منقولة عن الاصطلاح السومري "مارتو" ومنه الكلمة الأكدية "أمورو" ومنه كذلك "ماري" اسم عاصمتهم، وهي تل الحريري الآن.
ومعنى الأموريين (أهل الغرب) بالنسبة للسومريين، وقد توسع البابليون فيما بعد في مدلول الاسم فصار يشمل سورية كلها وسموا البحر المتوسط "بحر أمور العظيم".
(د/ فيليب حتى: تاريخ سورية جـ١ صـ٧٠، تاريخ لبنان من أقد م العصور التاريخية إلى عصرنا الحاضر ترجمة د/ أنيس فريحة صـ٨١ بيروت الطبعة الثالثة ١٩٧٨ ود/ نجيب مخائيل: مصر والشرق جـ٣ صـ٢٨.

(٣) د/ فيليب حتى: تاريخ سورية جـ١ ص٧٠.

obeikandl.com

معدومة في بعض النواحي، ولكن العنصر الغالب عليها كان من الأموريين الذين عرفوا بتأسيس دولهم قبل الكنعانيين على أية حال[١]، فقد أسسوا في بداية الألف الثاني ق.م سلسلة من الدول في بلاد سورية وأرض الرافدين[٢].

الديانة:

لم تختلف الديانة الأمورية غالبًا عن عبادة قوى الطبيعة عند الساميين التي كانت شائعة بين الرحل في بداية الشام وبلاد العرب.

فقد كانوا يعبدون إله قبيلتهم القديم واسمه "أمورو" أو "مارتو" وعرف لديهم بأنه إله الصيد والحرب، ثم صار كبير آلهتهم، واعتقدوا أن له زوجة تسمى "عاشرة" وتتصف بحب المسرات والنشاط[٣].

وكان يوجد بجانب هذه الإله عدد من الآلهة التي لم تحدد صفاتها ويظهر كثير منها في عداد الآلهة الكنعانية فيما بعد.

وأهم هذه الآلهة الإله "حدد" بالأكادية "أدد" أو آدو المعروف أيضا باسم رمانو (صانع الصواعق) وهو إله الرعد والمطر والعاصفة، وكان يمثل نوعًا شائعًا من الآلهة في غربي آسيا، ويظهر عادة مع الثور والصاعقة ثم أصبح بعد ذلك البعل الأعظم، والإله الرئيسي فعرف باسم "مارتو"، ويوجد إله آخر ذو شأن اسمه "رشف" وهو إله النار الذي انتقلت عبادته إلى الأموريين من مصر، ثم الإله دجن أو "دجان" إله الخصب والطعام[٤].

هذا وقد عرف الأموريون أيضًا عبادة الأفعى التي كانت تتصل بمعبودة لها

---

(١) د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق جـ٣ صـ٢٧ـ٢٨.

(٢) موسكاتي: الحضارات السامية صـ١٢٣، ٢٢٥، د/ حتى: تاريخ سورية جـ١ صـ٧٢ وقد سبق أن ذكرت أن البابليين القدماء تفرعوا عنهم وأسسوا دولة بابل الأولى.

(٣) د/ فيليب حتى: تاريخ سورية جـ١ صـ٨٣، د/ نجيب ميخائيل جـ٣ صـ٢٨، د/ عبدالحميد زايد: الشرق الخالد صـ٢٣٩.

(٤) د/ نجيب ميخائيل جـ٣ صـ٢٩، د/ حتى المصدر السابق.

obeikandl.com

علاقة بالقمر ويقابل اسمها "أشيرا" بالعبرية وهي عبارة عن عمود مقدس أو جذع شجرة يستعملان في بعض الطقوس الدينية[١].

وكان هذا العمود المقدس من الطقوس البارزة التي أدخلها الأموريون في البلاد[٢].

وبجانب ذلك فقد تأثر الأموريون كثيرًا بالديانة السومرية كما أشارت إلى ذلك مختلف المصادر[٣].

٢ـ ديانة الكعنانيين الفينيقيين:

الكنعانيون الفينيقيون:

يذكر المؤرخون أن الكنعانيين الفينيقيين شديدو الصلة بالأموريين إذ ينتمي الشعبان إلى أصل سامي واحد[٤]، ويتحدثان بلغتين متشابهتين إلى حد كبير[٥].

ويبدو أن الكنعانيين الفينيقيين قد قدموا إلى بلاد سورية مع الأموريين[٦] ـ أو في

---

(١) د/ حتى: المصدر السابق د: ميخائيل جـ٣ صـ٢٨.

(٢) حتى: تاريخ سورية جـ١ صـ٨٤ د/ عبدالحميد زايد / الشرق الخالد صـ٢٣٩.

(٣) د/ ميخائيل جـ٣ صـ٢٨.

(٤) يرى المؤرخون أنه ليس هناك من فروق عرقية أساسية بين الشعبين الكنعاني والأموري، وإنما الخلاف البين بينهم ينحصر في تأثر الأموريين بحضارة وادي الرافدين، حيث استوطنوا شمالي سورية القريب منه، بينما استوطن الكنعانيون على الساحل اللبناني القريب من مصر، فكان طبيعيًا أن يتأثروا بالحضارة المصرية.
(د/ فيليب حتى: تاريخ لبنان صـ٨١ـ٨٢، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق جـ٣ صـ٣٠ـ٣١).

(٥) وقد أدى هذا التشابه إلى أن يطلق على لغة الأموريين "الكنعانية الشرقية" تمييزًا لها عن لغة الكنعانيين التي عرفت الكنعانية العربية أو الفينيقية، وذلك على أساس أن اللغتين تعدان لهجة من فروع كتلة اللغات السامية (د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق جـ٣ صـ٣٠، ٣١، د/ محمد بيومي مهران دراسات في تاريخ الشرق الأدنى إسرائيل جـ٨ صـ٥١٤).

(٦) يذهب كثير من المؤرخين إلى أن الموجة التي أتت بالشعب الأموري من الصحراء العربية إلى الهلال الخصيب هي الموجة ذاتها التي أتت بالشعب الكنعاني (د/ حتى: تاريخ لبنان صـ٨١ د/ نجيب مخائيل جـ٣ صـ٣٠، د/ محمد أبو المحاسن عصفور: معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم صـ٢٧٨).

obeikandl.com

أعقابهم مباشرة[1] ـ ومن ثم فهم الجماعة السامية الثانية التي لعبت دورًا رئيسيًا في تاريخ البلاد[2].

ولا يعرف على وجه اليقين متى دخل الكنعانيون إلى بلاد سورية، ومن المرجح أن هجرتهم قد تمت في أوائل الألف الثالث ق.م.

والسؤال الذي يتبادل إلى الذهن هو: هل هناك فرق بين الكنعانيين والفينيقيين أو ـ أنهما شعب واحد؟

والحقيقة أن المؤرخين يرون أن الكنعانيين والفينيقيين شعب واحد، ويرجعان إلى أصل سامي واحد، لكن غلبت التسمية الأولى على سكان الداخل وأطلقت التسمية على أهل الساحل[3].

وجاءت التفرقة بينهما في التسمية متأخرة عن طريق اليونان ـ إذ أن الفينيقيين أنفسهم كانوا يتسمون أولًا بالكنعانيين، كما كان اليهود يسمون الفينيقيين كنعانيين بسائر فروعهم وأنسابهم[4] ـ فقد حدث أن اليونانيين اتصلوا بالكنعانيين الذين أقاموا على الساحل اللبناني وأطلقوا عليهم اسم الفينيقيين[5].

ومنذ ذلك الحين (١٢٠٠ ق.م) صارت كلمة فينيقيا مرادفة لكلمة (كنعان) وأصبحتا تعنيان على الأغلب شيئًا واحدًا، فلقد وردت كلمة كناجي في اللغة

---

(١) يذكر كونتنتو أن موجة الكنعانيين جاءت عقب موجة الأموريين فالكنعانيون يمثلون الموجة السامية الثانية (ج. كونتنوا: الحضارة الفينيقية صـ٣٩٩ ترجمة محمد عبدالهادي شعيرة نشر إدارة الثقافة العامة بوزارة التربية والتعليم القاهرة من سلسلة المراجع الجامعية.

(٢) راجع د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق جـ٣ صـ٣٠ الطبعة الثالثة، د/ محمد بيومي مهران: دراسات في تاريخ الشرق جـ٨ صـ٥١٤.

(٣) د/ ثروت أنيس الأسيوطي: نظام الأسرة بين الاقتصاد والدين... بنو إسرائيل صـ١٢٦ دار الكاتب العربي للطبع والنشر القاهرة، الماضي الحي صـ١٠٣، موسوعة تاريخ العالم جـ١ صـ٧٢.

(٤) د/ حسن ظاظا: الساميون ولغاتهم صـ٨٥، د/ عبدالحميد زايد: الشرق الخالد صـ٢٤٢.

(٥) ولفنسون: تاريخ اللغات السامية صـ ٥٦، عباس العقاد: الثقافة العربية صـ٢٢، واسم فينيقية مشتق من الكلمات اليونانية (فونيكس) بمعنى اللون الأحمر. (راجع كونتنتو: الحضارة الفينيقية صـ٣٩١ـ٣٩٢).

الحورية وتعني اللون الأحمر وتقابلها في الأكدية كلمة كناخي وهي في الفينيقية كنيع وفي العبرية كنعان، ـ لكنها مسميات تعني الحمرة الأرجوانية[١].

وبذلك فقد اتفقت التسمية السامية القديمة[٢] (كنعان) والتسمية اليونانية (فينيقيا) في أن تربط الكنعانيين والفينيقيين باللون الأحمر، وبناء على ذلك فإن الكنعانيين هم الفينيقيون.

الديانة:

كانت الديانة الكنعانية الفينيقية ـ التي لم تكن تختلف جوهرًا عن سائر الديانات السامية[٣] ديانة تؤله قوى الطبيعة وتعبدها[٤]، ومن أجل ذلك فإنها قد ارتكزت أصلًا على مظاهر الخصب والإخصاب المتعلقة بمظاهر الطبيعة[٥].

---

(١) أطلق اليونانيون على سكان المدن السواحلية على شاطئ البحر المتوسط بما فيهم ـ الفينيقيون اسم (فونيكس) بمعنى اللون الأحمر لأنهم قد تخصصوا في صناعة نوع من الصبغة الأرجوانية كانت تستخرج من حيوانات بحرية تكثر قرب شواطئها، ومن هنا جاءت نسبتها إلى اللون الأحمر. (راجع د/ فيليب حتى: تاريخ سورية جـ١ صـ٨٦ـ٨٧، موجز تاريخ الشرق الأدنى صـ٧٧، تاريخ لبنان صـ٨٢، كونتنو: الحضارة الفينيقية صـ٣٩١ـ٣٩٢ـ، د/ محمد عبدالقادر محمد: الساميون في العصور القديمة صـ١٩١.

(٢) من المؤرخين من يرى أن كلمة كنعان مشتقة من أصل سامي (خنع ـ قنع ـ كمع) إشارة إلى الصفة، ومنها مجازًا "الأرض المنخفضة" على عكس مرتفعات لبنان فسمي هؤلاء الساميون بالكنعانيين أي سكان المنخفض (د/ محمد بيومي مهران: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم جـ٨، إسرائيل صـ٥٢٠).

ويعتقد اليهود أن الكنعانيين يرجعون إلى كنعان بن حام بن نوح (تكوين ١٠:٦، أخبار أول ١:٨). وفي الفصل الثاني من هذا الباب سأتحدث عن الكنعانيين في نظر اليهود عند بيان الصلات ـ التاريخية بينهم.

(٣) يذكر العلماء أن الكنعانيين قد استعاروا من عبادات جيرانهم وطقوسهم في بابل ومصر وأعاروا هم أيضًا، وهنا يتجلى الطابع المركب التوفيقي الذي تتسم به حضارتهم (راجع موسكاتي صـ١٢٨، ١٣٠، ١٣١)، كونتنتو: الحضارة الفينيقية صـ١٠٧. د/ حتى: تاريخ سورية جـ١ صـ١٢٥.

(٤) د/ حتى: تاريخ لبنان صـ١٦١، موجز تاريخ الشرق الأدنى صـ٨٧.

(٥) كونتنتو: الحضارة الفينيقية صـ١١٠، د/ نجيب ميخائيل جـ٣ صـ٦٤، أنيس فريحة ملاحم وأساطير من أوعاربت (رأس الشمرا) صـ٩٠ لبنان ١٩٦٦م.

ومن ثم يمكن رد الآلهة التي عبدها الكنعانيون إلى مبدأين مقدسين هما التذكير والتأنيث، أو الإله الكبير والإلهة الكبيرة، وأمثالهما معروفة في كل آسيا الغربية[١].

ويذكر موسكاتي أن الآلهة الكنعانية كانت ذات طابع غير محدد أو ثابت فكثيرًا ما تتبادل صفاتها، ووظائفها، وصلاتها، بل وجنسها أيضًا، حتى ليصعب أحيانًا أن نعرف حقيقة صفتها وصلاتها بعضها ببعض[٢].

ولكن بعد العثور على نصوص أوغاريت[٣] حديثًا تبين أن هناك مجمعًا للآلهة الكنعانية الفينيقية.

وكان على رأس هذا المجمع رب يدعى "ال" وليس هذا الاسم علمًا في الأصل، ولكنه اسم سامي عام معناه "إله" وقد استعملته شعوب كثيرة علمًا على الإله الأكبر[٤]، وكان هذا الإله يعتبر أبا للآلهة جميعًا، إذ كان يجلس على عرش الآلهة

---

(١) المبدآن كانا يعبدان في جميع أنحاء تلك الأقاليم في آسيا العربية مع اختلاف يسير في الشكل، فتارة يتخذ مبدأ التأنيث شكل إلهة شأنها التكاثر مثل عشتار البابلية أو تتخذ مبدأ التأنيث شكل الحية شأنها الإخصاب مثل اترجاتيس السورية والإلهة الكبيرة بآسيا الصغيرة.
وأما الذكر فيتمثل عادة في صورة رجل ناضج ذي لحية يمسك في يده بصاعقة ويتخذ من الثور لازمة حيوانية... (راجع كونتنو: الحضارة الفينيقية صـ١٢٨. د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق جـ٣ صـ٦٤.

(٢) الحضارات السامية القديمة صـ١٢٧.

(٣) تم العثور مصادفة على بلاطة في رأس الشمرا شمالي مدينة اللاذقية، وأدى ذلك إلى حفريات أسفرت عن اكتشاف مدينة أو غاريت بما فيها من نصوص كنعانية، وقد أدى اكتشاف هذه النصوص إلى مزيد من المعلومات عن ديانة الكنعانيين ومدى علاقتها بالديانة اليهودية. (راجع تاريخ لبنان: د/ حتى صـ١٥٣ـ١٥٤، د/ أنيس فريحة ملاحم وأساطير من أوغاريت (راس الشمرا) صـ٢٠ـ٢٦، ٨٨ـ٩٣. موسكاتي: الحضارات السامية صـ١١٦ـ١١٨.

(٤) كان هذا الإله يلقب بألقاب مختلفة واعتقد الكنعانيون أنه يسكن عند منبع النهرين ووسط مجاري المحيطين أى في أطراف العالم بعيدًا عن الآلهة والبشر، وتصوروا له زوجة تسمى "أثرت" وتلقب في نصوص أوغاريت بلقب السيدة، كما أن زوجها (ال) خالق الخلق فهي خالقة الآلهة وكان يتم =

ويرأس المجمع المقدس[١].

ويأتي بعد (ال) الإله بعل[٢]، وكان أيضًا من أبرز الآلهة الكنعانية وقد كان له ألقاب يعرف بها منها الظافر، والمنتصر، أو الشجاع في الحرب[٣] وله زوجة تسمى عشيرة[٤].

وكان من أخطر خصوم بعل ومنافسيه إله البحر والمياه والمتمردة "يم"[٥] ومن الآلهة الثانوية كان يوجد الإله أشمون والإله "موت" والإله رشف والإلهة عنات[٦].

هذا وقد قدس الكنعانيون الأشجار والجبال والمياه، وأنشأوا لآلهتهم الهياكل، وقدموا لهم القرابين فوق المرتفعات والأماكن العالية، واشتهروا بكثير من الطقوس والعادات التي تسربت إلى اليهود.

= التقرب إليها لتتدخل في التأثير على زوجها (موسكاتي صـ١٢٧، هوامش موسكاتي د/ سيد بكر صـ٢٧٢ـ٢٧٣، د/ أنيس فريحة: ملاحم وأساطير من أوغاريت صـ٤١ـ٤٣ موسوعة تاريخ العالم جـ١ صـ٧٣.

(١) ملاحم وأساطير من أوغاريت صـ٤١.

(٢) كلمة بعل اسم عام في الأصل معناه "سيد" ولهذا أمكن إطلاقه على آلهة مختلفة، وقد جرى بعض العلماء على اعتبار بعل إلهًا معينا وهذا خلط يحسن أن يزول فإن اللفظ يطلق على الآلهة بوجه عام، فيما عدا إطلاقه في نصوص رأس شمرا على الإله الأكبر بعل فيقال ما عدا هذا الاستثناء بعل هذا الإقليم أو ذاك، إذ لكل أقليم أو مدينة بعلها (أي سيدها) أو إلهها الخاص مثل بعل صور وبعل صيدًا.

راجع كونتنو: الحضارة الفينيقية صـ١٠٤، ١١٩ـ١٢٠.

ول ديورانت: قصة الحضارة مجلد١ صـ٣١٥، الماضي الحي صـ١٠٧، موسكاتي صـ١٢٨.

(٣) ملاحم وأساطير من أوغاربت صـ٤٧.

(٤) د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق جـ٣ صـ٦٣.

(٥) وكان هذا الإله يلقب بقاضي النهر إذ أن الكنعانيين كانوا قد تخيلوا نهرا يحيط بأقاصي المعمورة، وعنده ينتهي العالم العلوي ليبدأ العالم السفلي وعنده تؤدي كل نفس حسابها قبل دخول عالم الأموات وبما أن سيد العالم السفلي هو "يم" فكان على كل إنسان أن يؤدي حسابه له فهو قاضي الأموات عند النهر، ملاحم وأساطير صـ٥٣.

(٦) المصدر السابق صـ٤٠ـ٤١، كونتو صـ١٠٨، تاريخ لبنان صـ١٦٤.

obeikandl.com

٣ـ ديانة الآراميين:

الأراميون:

يشكل الأراميون[١] الموجة الثالثة[٢] من موجات الساميين إلى بلاد سورية[٣] وكانوا في بداية أمرهم مجموعات من قبائل البدو والرحل أطلق عليهم أسماء مختلفة[٤].

وقد اختلف في تحديد موطنهم الأصلي[٥] ولكن المرجح أنهم ـ كغيرهم من الساميين نزحوا من الجزيرة العربية[٦].

ويؤكد المرخون العرب أن القبائل الآرامية ترجع إلى الأصل العربي فهي والعرب البائدة أو العاربة من أصل واحد، ولذا كانوا ينسبون شعوب العرب البائدة جميعًا إلى أرم ويسمونها بالأرمان[٧].

---

(١) تسمية آرام معناها سكان البلاد المرتفعة أو العالية، وورد في قاموس الكتاب المقدس أن لفظ آرام في الأكادية "أرامو" وأن الإراميين يرجعون في نسلهم إلى آرام بن سام بن نوح (تكوين ١٠:٢٢، ٢٣، أخبار أول ١:١٧)، وقيل إن هناك صلة بين الأرامين وبين كلمة "إرم ذات العماد" الواردة في القرآن الكريم (سورة الفجر). وقد ذهب بعض اللغويين إلى أن أصل الاسم "آرام" مشتق من كلمة أن ع أم ون أي ـ مخلوقات أو كما فسره أحد العلماء بأنه اسم أو لقب آله ولكن (كريلنج) يرجع اسم آرام إلى اسم لشعب وليس لمنطقة (راجع قاموس الكتاب المقدس صـ٤٣)، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة: طه باقر جـ١ صـ٤٩١، د/ بولس عياد: الأراميون في مصر صـ٨ مطبعة دار العالم العربي القاهرة ١٩٧٥م.

(٢) بعد الأموريين والكعنانيين.

(٣) د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق جـ٣ صـ٣١ـ٣٢، د/ عصفور: معالم تاريخ الشرق الأدنى صـ٢٨٢.

(٤) وقد أطلق عليهم اسم "السوق والحوتي والإخلامو أو الأخلاموا الأراميين (د/ بولس عياد: الأراميون في مصر صـ٧، د/ نجيب ميخائيل جـ٣ صـ٣١.

(٥) (د/ بولس عياد: المرجع السابق صـ٧ ويرجح أن موطنهم الأصلي هو الصحراء السورية العربية.

(٦) راجع د/ محمد مهران: دراسات في تاريخ الشرق الأرني جـ٨، إسرايل صـ٥٢٢.

(٧) عباس العقاد: الثقافة العربية صـ١٤ـ٢٠، راجع د/ أحمد سوسه: مفصل العرب واليهود في التاريخ صـ٧٣ـ٧٤.

obeikandl.com

وفيما يتعلق بمعرفة بداية ظهورهم في المصادر التاريخية، فقد ثبت الآن أن الآراميين يرجعون إلى أزمنة موغلة في القدم[١] ومهما يكن من أمر فإن الآراميين لم يبلغوا أقصى أهميتهم السياسية في تاريخ الشرق الأدنى إلا في القرنين الحادي عشر والعاشر ق.م حيث أسسوا عددا من الدويلات في سورية وأرض الرافدين، وكان أعظمها دولة دمشق[٢].

الديانة:

يبدو أن الآراميين لم يكن لهم ديانة خاصة أو حضارة مستقلة وإنما تأثروا ـ بحضارات وديانات البلاد المحيطة بهم، فقد كتب عليهم أن يكونوا أداة استيعاب ونقل، ـ واشتهروا كتجار ووسطاء في نقل الحضارات.

وقد تجلى هذا الطابع البارز في مظاهر حضارتهم ـ تجلى قبل كل شيء في دينهم فهو نتاج الأثر الذي أحدثته في تراثهم القومي تأثيرات قوية من الحضارات والديانات المجاورة وكما يقول موسكاتي فالدين الآرامي كان يتبع الخطوط العامة للفكر الديني السامي، ويمثل نباتا مركبا ركبت في جذعه المحلي فروع مشتقة من الحضارات المجاورة في أرض الرافدين وآسيا الصغرى وكنعان[٣].

ومع ذلك فقد اشتهر عنهم أنهم كانوا يعبدون إلهًا ـ وإن كان مستعارًا من الأموريين والكنعانيين ـ إلا أنه صار خاصًا بهم وكان الإله الرئيسي في

---

(١) كان الاعتقاد السائد من قبل أن نقوشا أشورية ترجع إلى القرن الرابع عشر ق.م تحتوي على أقدم إشارة إلى الآراميين ولكن ثبت الآن أن الآراميين يرجعون إلى أزمنة موغلة في القدم فقد عثر على نقش يرجع إلى القرن الثالث والعشرين ق.م يشير إلى إقليم يدعى آرام (موسكاتي صـ١٧٦ـ١٧٧، د/ أحمد فخلي: دراسات في تاريخ الشرق القديم صـ١٠٢، د/ محمد عبدالقادر محمد: الساميون في العصور القديمة صـ٢٠٠ـ٢٠١ د/ محمد مهران جـ٨ صـ٥٢٥.

(٢) د/ فيليب حتى: موجز تاريخ الشرق صـ٨٢، طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات جـ١ صـ٤٩٤، د/ نجيب ميخائيل جـ٣ صـ٣١٣.

(٣) الحضارات السامية القديمة ١٨٣ـ ١٨٤ راجع معه أيضًا د/ فيليب حتى: موجز تاريخ الشرق الأدنى صـ٨٨، الشرق واليونان القديمة صـ٢٦٤.

ديانتهم وأهم المعبودات لديهم[1] هذا الإله هو "هدد" ويمثل لديهم رمز الإخصاب والمنفعة[2].

وكانت له معابد كثيرة ـ منتشرة في البلاد ولكن معبده الرئيسي كان في مدينة هيرابوليس[3].

ولأن هدد اشتهر بعد ذلك بأنه إله السماء قبل كل شيء ـ في نظر الآراميين ـ دخل دين اليونان والرومان على أنه إله الشمس فاعتبروه نظير زيوس وجوبيتير[4].

---

(١) راجع موسكاتي صـ١٨٣، د/ أحمد فخري: دراسات في تاريخ الشرق صـ١٠٥، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق جـ٣ صـ٤٤٢.

(٢) الإله هدد أو "حدد" وهو نظير الإله أدد عند البابليين والأشوريين وكان في الأصل إله العاصفة، يتجلى في البرق والريح والمطر السخي ثم اشتهر بأنه إله الأمطار وما يصاحبها من زوابع وروعود وبروق، وهو نافع حين يرسل الماء الذي يفيد الزراعة وهو مهلك أن أرسله سيولًا جارفة، ومن هنا جاء لقبه "رمون" أو "رمان" أي المرعد مثير العواصف، وقد صوره الآراميون في تماثيلهم ممسكا بالبرق في إحدى يديه وبالفأس في يده الأخرى، كما يظهر أيضًا واقفًا على ظهر ثور رمزًا للإخصاب والقوى المولدة، راجع موسكاتي صـ١٨٣، هوامش موسكاتي صـ٣٤٦ـ٣٤٧، د/ نجيب ميخايل جـ٣ صـ٤٤٢ـ٤٤٣ ولعل اسم الإله هدد مشتق من مادة هدد التي تدل فى العربية على الهدم الشديد والكسر والصوت المدوي ومن مشتقاتها الهادة أي الرعد، انظر كوك صـ١٦٤ نقلا عن هوامش موسكاتي صـ٣٤٧.

(٣) ذكرت هذه المدينة في المصادر العربية باسم فيبح فرقميش، وسميت بهذا الاسم في العصور اليونانية، وكان هدد يعبد أيضًا في سمأل وحلب، ومن دراسة الآثار السورية نعرف أن الإله "هدد" كان المعبود الأكبر في منطقة حلب وقد اشتهرت ـ عبادته منذ منتصف الألف الثاني ق.م، وكان يقصد هذا المعبد جميع سكان المناطق المجاورة التماسًا للمشورة.
وكذلك كان يعبد في مدينة دمشق حيث اتخذ ثلاثة من ملوكها اسمًا مشتقًا من اسمه (بر هدد) ابن هدد، وكان هؤلاء الملوك من الذين اتصلوا بمملكتى اليهود في القرنين العاشر والتاسع ق.م والحديث عنهم بالتفصيل في الفصل الثاني.
(راجع موسكاتي صـ١٨٣ـ١٨٤، هوامش موسكاتى صـ٣٤٧ـ٣٤٨، د/ أحمد فخري: دراسات في تاريخ الشرق صـ١٠٥ـ١٠٦، د/ عبدالحميد زايد: الشرق الخالد صـ٣٦٨ـ٣٧٠.

(٤) زيوس هو إله اليونان وجوبيتر هو إله الرومان وسأتحدث عنهما قريبًا، وقد انتقل هدد إلى اليونان والرومان واعتبروه نظيرًا لهما، وهذا يفسر إطلاق اسم هليوبوليس "مدينة الشمس" على مدينة بعلبك التي كانت مركزًا كبيرًا لعبادة هدد في وادي البقاع (الذي يفصل جبال لبنان عن جبال لبنان الداخلة)، هذا وقد انتشرت عبادة الإله هدد بعد إطلاق اسم جوبيتر عليه في كافة أنحاء العالم الروماني (موسكاتي صـ١٨٤، هوامش موسكاتي صـ٣٤٨، د/ نجيب ميخائيل جـ٣ صـ٤٤٣، الشرق الخالد صـ٣٧٠.

وكان للإله هدد زوجة تسمى أترجاتيس وهي تمثل الأمومة وتصور لابسة تاجًا وبصحبتها أسد في بعض الأحيان وتجمع في رمزها بين الهلال وقرص الشمس، وكانت تعبد مع هدد في معبده الرئيسي وإن انتشرت عبادتهما معًا في جميع أنحاء سورية[1].

وكان هناك إلى جانب "هدد" وزوجته "أترجاتيس" آلهة آخرون أقل شأنا، استعارهم الآراميون أيضا من الشعوب المجاورة واعترفوا بهم، وقد كان للآلهة الكنعانية المكان البارز بينهم، بجانب آلهة وادي الرافدين[2].

وليس لدينا سوى إشارات قليلة يمكن اتخاذها أساسًا للحكم على أشكال الطقوس، ويبدو أنها كانت شبيهة بأشكال الطقوس لدى الكنعانيين أيضًا[3].

---

(١) الاسم اترجاتيس مكون من كلمتين هما أترأى عشتر وجاتيس أي الآلهة الكنعانية القديمة (عنت) وهذا الاسم المركب يدل على اندماج الآلهتين السماويتين الكبيرتين، بعضهما في بعض، وكان الأسد والحمامة الحيوانين المقدسين للإلهة ارتجاتيس، كما كان الثور الحيوان المقدس لزوجها هدد، وقد انتشرت عبادتها مع زوجها في كافة أنحاء الإمبراطورية الرومانية.
(موسكاتي صـ١٨٤، هوامش موسكاتي صـ٣٤٩). د/ فخري: دراسات في تاريخ الشرق صـ١٠٦. د/ نجيب ميخائيل: مصرو والشرق جـ٣ صـ٤٤٣. د/ عبدالحميد زايد: الشرق الخالد صـ٣٦٨.

(٢) راجع موسكاتي صـ١٨٤، أندرية إيمار: الشرق واليونان القديمة صـ٢٦٤.
جورج رو: العراق القديم صـ٣٧١. د/ أحمد فخري: دراسات في تاريخ الشرق صـ١٠٦. د/ نجيب ميخائيل: جـ٣ صـ٤٤٣. هوامش موسكاتي صـ٣٤٩ـ٣٥٢.

(٣) موسكاتي: صـ١٨٤.

openkandl.com

المبحث الثالث: ديانة مصر القديمة

تقسيم تاريخ مصر:

كانت كلمة مصر تعني في اللغات السامية "الحد" وعرفها الآشوريون باسم "مصر" والآراميون باسم "مصرين" والعبرانيون باسم "مصرايم"[١] والعرب باسم مصر.

وأطلقت هذه الشعوب السامية على أهلها اسم المصريين، أما المصريون القدماء فقد عرفوا مصر تحت اسم "كمت" أو "كيمة" أي الأرض السوداء أو السمراء[٢]، مفرقين بذلك بينها وبين الصحراوات، وكثيرًا ما عبروا عنها باسم "تاوى" أي الأرضين: أرض الدلتا وأرض الصعيد[٣].

وقد اصطلح المؤرخون على تقسيم مراحل التاريخ المصري القديم إلى إحدى وثلاثين أسرة متبعين في ذلك تقسيمًا قدمه المؤرخ المصري مانيتون[٤]، ويسمى هذا

---

(١) يذكر سفر التكوين أن مصرايم هذا ابن حام بن نوح (تكوين ١٠:٦).

(٢) إشارة إلى سمرة تربتها الطينية وخصوبتها.

(٣) وأما كلمة Egypt فهي أصلًا Egyptey وهي كلمة سمعها اليونان في مصر محرفة من نطق أشوري للفظ مصري قديم هو "حت كبتاح" كان يطلق على معبد الآله بتاح أكبر معبودات المصريين في منف ثم أطلقه المصريون على المدينة نفسها ثم على القطر نفسه، كما يطلق اسم مصر اليوم على البلاد كلها، وعلى العاصمة وحدها كذلك، وقيل أنه تحرف في أصله عن آجيه المصري بمعنى أرض الفيضان. (راجع د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم الجزء الأول صـ١ـ٣ الطبعة الثانية ١٩٥٧ الإسكندرية، راجع أيضًا د/ عبدالعزيز صالح: الشرق الأدنى القديم الجزء الأول، مصر والعراق ص٣٥.

(٤) مانيتون أو مانيتو كان سمنودي عاش في القرن الثالث ق.م (راجع مرجريت مري: مصر ومجدها الغابر ترجمة محرم كمال سلسلة الألف كتبا (١٠٠) ١٩٥٧ لجنة البيان العربي.

obeikandl.com

بتقسيم الأسرات، ووافقه على هذا التقسيم كل من خلفه من المؤرخين حتى المحدثين منهم[١].

وإذا كان هناك من يوجه النقد إلى هذا التقسيم[٢] إلا أنه صالح بوجه عام، واصبح متأصلًا في الدراسات كلها، ولا يوجد تقسيم آخر أصلح منه[٣] ويحتوي هذا التقسيم على تلك العصور:

١ـ عصر ما قبل التاريخ.

٢ـ عصر بداية الأسرات[٤] (أو العصر العتيق) حوالي ٣٢٠٠ـ٢٧٨٠ ق.م (ويشمل الأسرتين الأولى والثانية).

٣ـ عصر الدولة القديمة: (٢٧٨٠ـ٢٢٨٠ ق.م) (من الأسرة الثالثة حتى نهاية الأسرة السادسة).

٤ـ عصر الفترة الأولى أو (الاضمحلال الأول) (٢٢٨٠ـ٢٠٥٢ ق.م) (من الأسرة السابعة إلى الأسرة العاشرة).

٥ـ عصر الدولة الوسطى (٢٠٥٢ـ١٧٧٨ ق.م) (الأسرتان ١١، ١١٢).

٦ـ عصر الفترة الثانية أو (الاضمحلال الثاني) (١٧٧٨ـ١٥٧٠ ق.م) (من الأسرة ١٣ إلى الأسرة ١٧).

٧ـ عصر الدولة الحديثة (١٥٧٠ـ١٠٨٥ ق.م) (من الأسرة ١٨ إلى الأسرة ٢٠).

---

(١) بريستيد: تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسي صـ٧ ترجمة د/ حسن كمال الطبعة الولى وزارة المعارف العمومية ١٣٤٧هـ ١٩٢٩م.

(٢) د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم الجزء الأول صـ٣٤.

(٣) د/ أحمد قخري: مصر الفرعونية صـ٦٢ ملتزم الطبع والنشر مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٣.

(٤) هناك اختلاف بين علماء الدراسات المصرية القديمة في تحديد بدء الأسرة الأولى، على أن أحدث الآراء تميل إلى ما أخذت به (راجع الماضي الحي صـ٤٥ـ٤٦) (د/ أحمد فخري: مصر الفرعونية صـ٤٨).

٨ـ العصر المتأخر (١٠٨٥ـ٣٣٢ ق.م) (من الأسرة ٢١ إلى ٣١)[١].

ويضاف إلى هذه العصور: الإسكندر الأكبر ٣٣٢ ق.م ـ العصر البطلمي ٣٣٢ ـ ٣٠ ق.م ـ العصر الرومان ٣٠ـ٣٩٥م ـ العصر البيزنطي ٣٩٥ـ٦٣٨م الفتح الإسلامي ٦٤٠م.

الديانة:

يقول ول ديورانت "لقد كان الدين في مصر من فوق كل شيء ومن أسفل منه، فنحن نراه فيها في كل مرحلة من مراحله[٢]، وفي كل شكل من أشكاله، ومن الطوطم[٣] إلى علم اللاهوت، ونرى أثره في الأدب، وفي نظام الحكم وفي الفن وفي كل شيء"[٤].

فلم تكن هناك قوة في حياة الإنسان القديم عامة ـ وفي مصر خاصة ـ يسيطر

---

(١) اعتمدت في نقل هذا التقسيم على المصادر الآتية: بريستيد: تاريخ مصر منذ أقدم العصور إلى العصر الفارسي صـ١٢ـ١٣، مرجريت مري: مصر ومجدها الغابر صـ٤١، د/ أحمد فخري: مصر الفرعونية صـ١٧ـ٣، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم الجزء الأول صـ٣٤ـ٣٥، د/ عبدالعزيز صالح مصر والعراق صـ٣٥ـ٣٧. ولا شك أن إثبات هذا التقسيم هنا يفيدنا في التعرف على تحديد الفترات التي تم فيها الاتصال بين اليهود وبين المصريين خاصة وأن الصلة قديمة بين مصر وبين العبريين منذ عصر سيدنا إبراهيم الخليل إلى عصر المسيح عليهما السلام.

(٢) في كلامه إشارة إلى مذهب التطور في الأديان، وهو مذهب مرفوض في التصور الإسلامي، إلا أنني أميل إلى إمكان تطبيقه على الديانات الوضعية على أساس أنها من فكر الإنسان ونتيجة لرأي البشر، ولا شك أن أفكار وآراء البشرية خاضعة لسنة التطور.

(٣) تطلق كلمة "توتم" أو طوطم التي تنسب إليها العقيدة "التوتمية" أو الطوطمية على كل أصل حيواني أو نباتي تتخذه عشيرة ما رزمًا لها، ولقبًا لجميع أفرادها، وتعتقد أنها تؤلف معه وحدة اجتماعية، وتنزله وتنزل الأمور التي ترمز إليه منزلة التقديس، ويقصد من التوتم الحيواني أو النباتي الفصيلة العامة التي ينتمي إليها الحيوان أو النبات لا فرد معين أو أفراد معينون من أفراد التواتم الحيوانية أكثر عددًا وأوسع انتشارًا من التواتم النباتية. (راجع د/ علي عبدالواحد وافي كتاب الطوطمية أشهر الديانات البدائية صـ٧ـ٨، صـ١٣ـ١٤ دار المعارف سلسلة اقرأ ٩٤ فبراير ١٩٥٩ وكتابه غرائب النظام والتقاليد والعادات صـ١٩، ٣٤ نهضة مصر القاهرة ١٩٨٤م.

(٤) قصة الحضارة مجلد١ جـ٢ صـ١٥٥ (وقد ذكر المؤرخون أن المصريين القدماء كانوا من أشد الأمم تدينًا، وأكثرهم ورعًا واهتمامًا بالدين ـ حتى ولو كان فاسدًا) راجع هيرودت في مصر صـ٤٧ في القرن الخامس ق.م نقله من اليونانية وهيب كامل ملتزم ـ الطبع والنشر دار المعارف بمصر.

أثرها على نشاطه ـ فيما يرى برستد ـ كما يسيطر الدين، ذلك لأن الدين كان منفذًا للخيالات، ومحاولة لتفسير الظواهر المحيطة بالإنسان، والحياة لا تتأثر بالدين فحسب، بل تختلط وتمتزج به امتزاجًا يتأثر بالانطابعات الخارجية[١].

ولسنا نجد في بلد من البلاد ـ إذا استثنينا بلاد الرومان والهند، ما نجده في مصر القديمة من الآلهة الكثيرة[٢]، فعندما يتصل المرء لأول مرة بعالم الآلهة فيها، فإنه يقع في شيء من الحيرة أمام هذه الوفرة من المعبودات المختلفة التي تتخذ أشكالاً متنوعة، ويدور في خلد المرء تجاه مثل هذا الخليط المتراكم من الأوصاف والنعوت والعشارات المميزة في حدود متفاوتة أن يفكر في ديانات مصرية متعددة لا ديانة واحدة[٣].

فقد أخذت الديانة المصرية حين نشأتها، وفي مراحل طويلة بتعدد المعبودات[٤]، شأنها في ذلك شأن مثيلاتها من الديانات الوضعية القديمة.

ولكنها ظلت أغنى من غيرها في وفرة نصوصها، ووضوح قضاياها، وثباتها على مبادئها[٥] إذ كان المصريون يعبدون آلهة لا عدد لها، فكان لكل منطقة ـ منها كانت صغيرة على طول نهر النيل إله أو أكثر، ولقد دونت أسماء ما يربو الألفين من هذه

---

(١) د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى الجزء الرابع صـ١٤٩.

(٢) ول ديورانت: قصة الحضارة مجلد١ جـ٢ صـ١٥٦.

(٣) فرانسود وماس: آلهة مصر صـ١٧ (ترجمة زكي سوسن سلسلة الألف كتاب الثاني برقم ١٠ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦ ويذكر فيليبحتى أن الديانة المصرية لم تكن ديانة واحدة، بل كانت تضم ديانات مختلفة، ففي سياق تطورها اقتبست بعض العناصر الدينية البدائية إلى جانب عناصر على جانب كبير من الرقي الفكري (موجز تاريخ الشرق الأرني صـ٦٠ راجع معه حول هذا الشأن د/ نجيب ميخائيل جـ٤ صـ١٥٠ـ١٥١.

(٤) لقد رد المصريون الأوائل كل ظاهرة حسية تأثرت بها دنياهم إلى قدرة علوية أو علة خفية ترحكها وتتحكم فيها، وتستحق التقديس من أجلها الأمر الذي أفضى إلى تعدد ما قدسوه من العلل والقوى الربانية المتكلفة بالرياح والأمطار وظواهر السماء، وبرجيان النيل وتعاقب الفيضانات وتجد خصوبة الأرض ونمو النبات، وخصائص الخصب النوعي، (د/ عبدالعزيز صالح: مصر والعراق صـ٣٢٩، د/ محمد جابر عبدالعال: في العقائد والأديان صـ٦٦.

(٥) د/ عبدالعزيز صالح: المصدر السابق.

الآلهة البدائية[١] ومن ثم فإن علماء المصريات حاولوا أن يقسموا تلك الآلة إلى أنواع[٢] حتى يتيسر للدارسين فهمها.

ولعل أفضل تقسيم ما انتهى إليه بول ماسون ـ أورسيل إذ يذكر أنه من الوجهة التاريخية كان هناك نوعان من الآلهة: المعبودات المحلية كالحيوانات والأشجار والجبال، والآلهة الكونيون كالسماء والأرض والكواكب والنيل، ولهذا التقسيم أهميته الاجتماعية وصبغته الطبيعية[٣].

ولعل أهم ما يعنينا أن نشير إليه في هذا الفصل من تلك المعبودات المصرية ما يسمى بالمعبودات الحيوانية، أو الحيوانات المقدسة، إذ كان هذا النوع من الآلهة أكثر ذيوعًا بين المصريين من أي آلهة أخرى بل كانت الآلهة الحيوانية من الكثرة بحيث غصت بها هياكل كأنها معرض حيوانات صاخبة"[٤].

ويذكر هيرودوت أن المصريين قد قدسوا كل الحيوانات التي كانت عندهم، سواء منها الحيوانات المستأنسة وغير المستأنسة[٥].

---

(١) د/ إيفار ليسنر: الماضي الحي صـ٦٨.

(٢) منهم من ذكر أن هناك آلهة رسمية أو الدين الرسمي وهناك العقائد الشعبية ومنهم من قال هناك آلهة رئيسية وآلهة ثانوية وهناك من قسمها إلى سبعة أقسام إلخ هذه التقسيمات الموجودة راجع على سبيل المثال د/ محمد عبدالقادر محمد: الديانة في مصر الفرعونية دار المعارف بدون تاريخ ص١٢ وما بعدها، د/ رشيد الناضوري: المدخل في التطور التاريخي للفكر الديني صـ٦٦ـ٧٢، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق جـ٤ صـ١٥٠ـ١٥١.

(٣) الفلسفة في الشرق صـ٥١ وما بعدها.

(٤) ول ديورانت: قصة الحضارة مجلد١ جـ٢ صـ١٥٨.

(٥) هيرودوت في مصر (في القرن الخامس ق.م) ص٦٥ ويذكر أدولف أرمان أن المصريين قد عبدوا في هذه المقاطعة أو تلك وفي هذا الوقت أو ذاك: العجل والتماسح والصقر والبقرة والأوزة والعنزة والكبش والقط والكلب والدجاجة والخطاف وابن آوى والأفعى، وتركوا بعض هذه الدواب تجوس خلال الهياكل ولها من الحرية ما للبقرة المقدسة في الهند حتى هذه الأيام (ديانة مصر القديمة، نشأتها وتطورها ونهايتها في أربعة آلاف سنة) "صـ٩ ترجمة د/ عبدالمنعم أبو بكر، د/ محمد أنور شكري ملتزم بالطبع والنشر مصطفى الحلبي بمصر بدون تاريخ راجع أيضًا قصة الحضارة مجلد١ جـ٢ صـ١٥٨، راجع أيضًا فيليب فاند نبرغ: لعنه الفراعنة ترجمة خالد اسعد، أحمد غسان دار قتيبة دمشق الطبعة الأولى ١٠٢هـ ـ ١٩٨٢م صـ١٧٩.

وقد بالغ المصريون في تقديسهم للآلهة الحيوانية، وتوسعوا في عبادتها وأضفوا عليها كثيرًا من الأهمية والخطورة[١].

واستمر هذا التقديس ـ الذي بدأ منذ عصر الدولة القديمة ـ حتى العصر الروماني فقد لاحظ المؤرخون أن عبادة الحيوان كانت سائدة في مختلف العصور التاريخية[٢]، وأن ـ الديانة المصرية كانت تتميز بها خاصة في أيام انحلالها، وأن هذه العبادة قد ازداد في العصور اليوناني ـ الروماني ـ حتى كاد القطر كله أن يكون مستبعدًا لجيش من القطط والكلاب والتماسيح والثعابين والعقارب والجعلان المقدسة[٣].

ومن بين هذه الآلهة الحيوانية احتلت عبادة الثور أو "عجل أبيس"[٤] أهمية خاصة ومكانة خطيرة في الديانة المصرية القديمة.

---

(١) هناك مظاهر كثيرة تصور هذا التقديس وعلى سبيل المثال: أن كل من كان يقتل حيوانًا مقدسًا حتى في حالة الدفاع عن النفس يعتبر مذنبًا بانتهاك حرمة المقدسات التي كانت عقوبتها الموت، وإذا كان من الواجب والضروري ذبح حيوان فكانت تقدم عليه القرابين السخية أولًا فقد اعتقد المصريون بإعادة التجسد للحيوانات (التقمص) أي قدرتها على الرجوع بشكل آخر بعد الموت، وخافوا من انتقام الحيوانات الأخرى للحيوان المتوفى وكان المصريون يوقفون على كل نوع من الحيوانات المقدسة أرضًا تكفي غلتها للعناية بها وتغذيتها ويذكر المؤرخون أن كثيرًا من الحيوانات الصغيرة كان تحفظ في منازل ـ خاصة وتعتبر كآلهة وتحفظ في أقفاص تشبه الكنائس الخاصة وتقدم لها الهدايا والتقاديم الأخرى، والأعجب من ذلك كما يروي هيرودوت أنه قد شب حريق ذات مرة فتنحي المصريون جانبًا وأهملوا إطفاء الحريق، ووجهوا كل اهتمامهم إلى إنقاذ القطط، ويذكر أن موت بعض الحيوانات كالقطط والكلاب كان يعقبه في مصر حداد شامل وألم عميق. راجع هيرودوت في مصر صـ٦٦، فيليب فاندبرغ: لعنة الفراعنة صـ١٧٩ـ١٨٠، د/ محمد عبدالقادر محمد: الديانة في مصر الفرعونية صـ٢٦٠ـ٢٦١، د/ محمد غلاب: الفلسفة الشرقية صـ٧١ الطبعة الثانية مكتبة الأنجلو القاهرة بدون تاريخ.

(٢) هناك من يذكر أن الآلهة المصرية القديمة بدأت على شكل حيوانات وكان لكل جماعة معبودها وحارسها (حبيب سعيد: أديان العالم صـ٣٢ صدر عن دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية القاهرة ١٩٧٧م.

(٣) راجع أدولف أرمان: ديانة مصرية القديمة صـ١٧١ـ١٧٣، ٤٦ـ٤٧، صـ٣٦٠، ٤٠٣ـ٤٠٤.

(٤) اعتقد المصريون أن عجل أبيس ينشأ من شعاع من السماء، وأنه اسود وأن على جبهته غرة مربعة، وعلى ظهره صورة نسر، وغير ذلك من الشيات، وكان إذا وجد أبيس جديدًا ـ احتفلت مصر جمعاء به في ملابس العيد، وبالأيام البهيجة. (أرمان: ديانة مصر القديمة صـ٣٧١) راجع د/ رؤوف شلبي: آلهة في الأسواق صـ٢٧٤.

إذ ترجع عبادته إلى عصور موغلة في القدم "حيث تشهد بعض النقوش على وجودها منذ الأسرة الأولى (حوالي ٣٠٠٠ ق.م)[١]، وقد استمرت هذه العبادة على مدى العصور التاريخية المختلفة، بل إنه كان أشهر المعبودات الحيوانية وخاصة في عصر الدولة الحديثة والعصر المتأخر.

ويذكر أدولف أرمان إنه كان يحتفل كل عام بعيد ميلاده سبعة أيام، وإذا مات لبست عليه النساء ثياب الحداد، "ولا يدخل أفواههن شيء غير الماء والخضر" سبعين يومًا حتى يتم دفنه، وكان المصريون يحجون إلى قبره، ويقام له شاهد يكتب عليه ما شاق من تاريخ حياة هذا العجل، وكان دفنه يقترن بكل أنواع الترف والبذخ، فالدولة نفسها كانت تعني بذلك[٢].

هذا وقد اختلف المستمصرون في تعليل عبادة الحيوانات لدى المصريين وبيان الأسباب التي حملتهم على هذا النوع من العبادة.

فذهب بعضهم إلى أن هذه العبادة كانت نوعًا من الطوطمية[٣].

وذهب البعض الآخر إلى أن المصريين لم يقدسوا حيوانًا لذاته وإنما اتخذوا تلك العبادة رمزًا للآلهة الخفية التي كانوا يقدسونها[٤].

---

(١) د/ محمد عبدالقادر محمد: الديانة في مصر الفرعونية صـ٢٤٦.

(٢) ديانة مصر القديمة صـ٣٦٠ـ٣٦٢ ويصف أدولف أرمان القواعد الوافية لمدفن أبيس في العصر الأغريقي فيذكر أن خمسة من الكهنة كان يعهد إليهم بأداء هذه القواعد، فيقومون بلف أعضائه باللفاف، ويحشو بعضها كالرأس والفم والعينين والأنف، ويغطون القرنين ويمدون الساقين، ويغسلون تجويف بطنه، ثم يقومون بحشوه أيضًا، وكانت تلي ذلك الشعائر الجنائزية الحقيقية: فكانت الجثة توسد على نعشها في داخل التابوت، بينما تنوح النائحات، وكان يستغرق هذا سبعين يومًا كانت فترة حداد وصيام لمصر قاطبة.
ديانة مصر القديمة صـ٤٢٨ـ٢٤٩.
راجع أيضًا د/ محمد عبدالقادر محمد: الديانة في مصر الفرعونية صـ٢٤٦.

(٣) راجع لعنة الفراعنة صـ١٨٠، الفلسفة في الشرق صـ٢٧.

(٤) د/ عبدالعزيز صالح: مصر والعراق صـ٣٣٠.

ويرى فريق ثالث أن المصريين قد اعتقدوا بحلول الآلهة في أجساد هذه الحيوانات[1].

أما المؤرخون القدماء من اليونان والرومان فقد اتفقوا جميعًا على أن سبب تقديس المصريين للحيوانات أمر خفي لا يجوز التصريح به من شخص يحترم الآلهة[2].

ومهما يكن من الأمر، ومهما قيل من الدفاع عن ذلك النوع العجيب من العبادة فإن عبادة الحيوانات بوجه عام وعبادة العجل بوجه خاص كانت من أشهر العبادات الوثنية لدى المصريين القدماء، ولسوف يتضح لنا أهمية هذه العبادة للبحث حينما أبين كيفية تأثر اليهود بها في الباب الثالث إن شاء الله.

(١) د/ محمد غلاب: الفلسفة الشرقية صـ٣١ـ٣٢، راجع أيضًا الشيخ محمد أبو زهرة ـ محاضرات في مقارنة الأديان القسم الأول: الديانات القديمة صـ١٥ دار الفكر العربي القاهرة بدون تاريخ.

(٢) منهم هيرودوت الذي يقول: "ولو أنني ذكرت الأسباب التي قدست من أجلها الحيوانات لاستطردت في حديثي إلى الشئون الدينية، وهو أمر أتحاشى بوجه خاص الخوض فيه، ويقول ديودورا الصقلي إن الكهنة المصريين لديهم في تقديس الحيوانات أسباب خفية ولهم حولها آراء سرية. راجع هيرودوت في مصر صـ٦٥، د/ محمد غلاب: الفلسفة الشرقية صـ٣٣، د/ محمد عبدالقادر محمد: الديانة في مصر الفرعونية صـ٢٦٠ـ٢٦٨.

obeikandl.com

المبحث الرابع: ديانات الفرس واليونان والرومان

بجانب الديانات الرئيسة التي تحدثت عنها كانت توجد ثلاث ديانات أخرى، وهي وإن لم تبلغ أهمية وخطورة الديانات السابقة في التأثير على اليهودية إلا أنها عاصرت اليهود في بعض مراحلهم التاريخية، واحتك اليهود بأصحابها احتكاكًا مباشرًا هذه الديانات الثلاث هي:

١ـ ديانة الفرس. ٢ـ ديانة اليونان. ٣ـ ديانة الرومان.

وأبدأ الحديث بـ:

١ـ ديانة الفرس

كلمة عن الفرس:

يرجع الفرس إلى الجنس الآري[١]، وهم يمثلون الموجة الثانية من الموجات الهند وأوربية[٢] التي نزحت إلى الشرق القديم، ولعل تسميتهم بالفرس راجعة إلى أن

---

(١) الآري: اسم أطلقته على نفسها مجموعة الشعوب الضاربة بقرب شواطئ بحر قزوين أو التي كان أصلها ممن يضربون بالقرب من هذه الشواطئ، أما اليوم فإن هذا اللفظ يطلق بنوع خاص على المتيانيين والحيثين والميديين ـ والفرس والهنود الفدا ـ أي على الشعبة الشرقية من الشعوب الهندوأوربية التي عمرت شعبتها الغربية بلاد أوربا (قصة الحضارة مجلد١ جـ٢ صـ٣٠١).

(٢) أطلق الباحثون في العصر الحديث اسم "الشعوب الهندوأوربية" على عدة شعوب كان موطنها الأصلي في السهول الجنوبية من الاتحاد السوفيتي (شرقي بحر قزوين) ثم هاجرت حوالي عام ٢٠٠٠ق.م إلى منطقة الشرق القديم، هاجر فرع إلى آسيا الصغرى فكونوا دولة الحيثيين وهاجر فرع آخر إلى أعال الفرات فكونوا الحوريين الذين أسسوا ـ مملكة ميتاني، وسار أكثرهم إلى بلاد الهند فأسسوا هناك عدة ممالك، وهاجر فرع رابع إلى بلاد إيران القديمة فكونوا الشعب الإيراني ثم =

obeikandl.com

ملوكهم قد أقاموا في مقاطعة باريس بأرض إيران القديمة، فأطلق عليها اليونان بارسا أو برسيس وعرفها العرب بفارس[1]، وسمى هذا الشعب الآري أو الإيراني بالفرس أو ـ الفارسيين.

وقد سكن بلاد الفرس القديمة[2] عدة أقوام إيرانيين[3]، ولا يعنينا منهم هنا سوى الإشارة إلى الفرس الأخمينيين، الذين أسسوا تحت زعامة ملكهم قورش أو "كورش" الأعظم (٥٥٨ـ٥٣٠ق.م) أكبر إمبراطوريات الشرق الأدنى القديم[4]،

= انقسم هذا الشعب إلى الميديين ـ وإلى الفرس (راجع دي بورج: تراث العالم القديم جـ١ صـ٥٢، برستيد: العصور القديمة صـ١٩٠ـ١٩٢، د/ أحمد فخري: دراسات في تاريخ الشرق القديم صـ٢٠٠ـ٢١٤، هذا وقد استعمل هذا الاسم (الهند وأوربية) كبديل عن الجنس الثالث ـ المذكور في التوراة إذ تذكر أن الشعوب الثلاثة الكبيرة هم: الساميون نسبة إلى سام، والحاميون نسبة إلى حام، واليافثيون نسبة إلى يافث أولاد نوح عليه السلام (كونتنتو: الحضارة الفينيقية صـ٣٨٥).

(١) د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى ـ القديم جـ٦ صـ٣٨١، ويذكر أن مقاطعة فارس لم تكن سوى إقليم مفرد في الإمبراطورية الإيرانية القديمة. ولكنها لما كانت موطن البيت الأخميني الحاكم فإنها قد حظيت من المجد والفخار حتى اشتمل على الإمبراطورية قاطبة.

(٢) لم تكن بلاد الفرس القديمة بعينها المعروفة لنا الآن والتي يسميها أهلها بلاد إيران ـ بل كانت هي الإقليم الأصغر المصاقب للخليج الفارسي مباشرة من جهة الشرق المعروفة لدى الفرس الأقدمين باسم بارس والفرس المحدثين باسم فارس أو فارستان وهي عبارة عن هضبة تتوسط بين منطقة الأحراش في أواسط يسيا وبين سهول غربي آسيا (راجع قصة الحضارة مجلد١ جـ٢ صـ٤٠٩. د/ أحمد فخري: دراسات في تاريخ الشرق صـ١٨٩) د/ نجيب ميخائيل جـ٦ صـ٤٠٤.

(٣) من هذه الأقوام الإيرانية القديمة: الكيمريون والإسكنيديون والميديون. (راجع ج. ب. جرندي: الفرس وإمبراطورية الشاه الأعظم ضمن المجلد الثاني من تاريخ العالم بإشراف ونشر جون ١٠. هامرتون ترجمة عبدالفتاح صدقي، وقام بنشر تاريخ العالم وترجمته إلى العربية في سبع مجلدات إدارة الترجمة بوزارة المعارف العمومية الطبعة الثانية دون تاريخ مكتبة النهضة المصرية القاهرة. راجع أيضا د/ أحمد فخري: دراسات في تاريخ الشرق القديم صـ٢١٠ـ٢١٤.

(٤) ظهر بين الفرس في منتصف القرن السابق ق.م أسرة مالكة أسسها "هاخمانيش" ومنه تحدرت السلالة الأخمينية الحاكمة، فجاء من بعد قمروش الأول (٦٤٠ـ٦٠٠ ق.م ثم قمبيز الأول الذي أنجب قورش الثاني المقلب بقورش الأكبر أو الأعظم (٥٥٨ـ٥٣٠) وهو يعتبر المؤسس الحقيقي لِرة الأخمينية (أسرة الملوك العظام) التي حكمت بلاد الفرس في أزهى أيامها وأعظمها شهرة، نظم جيشًا قويًا لا يقهر، ثم ضم إلى الدولة الفارسية كل البلاد التي كانت تحت سلطان الإمبراطوريات السابقة (أشور وبابل وليديا) وبلاد آسيا الصغرى حتى اصبحت الإمبراطورية أوسع المنظمات السياسية في العالم القديم قبل الدولة الرومانية. =

وعاش اليهود ظلالهم، فترة من الزمان بدأت من عام ٥٣٩ ق.م وانتهت عام ٣٣١ ق.م فبعد موت كورش الأكبر تولى ابنه قمبيز الثاني (٥٣٠ـ٥٢٢) ق.م ثم جاء بعده الملك دارا الأول (٥٢٢ـ٤٨٦) ق.م الذي بلغت الإمبراطورية الأخمينية في عهده أوج عظمتها ومجدها.

ثم خلف من بعده ملوك[١] لم يكونوا على نفس الدرجة من القوة، فأخذت الإمبراطورية الضعف، حتى قضى عليها الإسكندر الأكبر، وبدأ عصر الإمبراطورية اليونانية وكان ذلك في عام ٣٣١ ق.م[٢].

الديانة:

كانت ديانة الفرس القدماء في العصور السابقة على ظهور الأخمينيين ـ وقبل أن يصبحوا قوة عالمية ـ واحدة من ديانات الهند وـ أوربيين الوثنية التي تقوم على العبادات المتعددة، فكان القدماء من الإيرانيين يقدسون مظاهر الطبيعة المختلفة، وتأمرهم ديانتهم القديمة بعبادة العناصر الأربعة: النار ممثلة في كوكبيها العظيمين وهما الشمس والقمر، ثم الهواء والماء، والتراب، واتخذوا كلا من هذه العناصر آلهة لهم، يقدمون لها القرابين والأضاحي[٣].

= وسيكون لقورش الأكبر هذا ولدولته دور كبير في حياة اليهود كما سنرى في الفصل الثاني: راجع قصة الحضارة مجلد١ جـ٢ صـ٤٠٣ـ٤٠٤، دي بورج: تراث العالم القديم جـ١ صـ٤٣. د/ أحمد خري: دراسات في تاريخ الشرق القديم جـ١ صـ٤٣. د/ أحمد فخري: دراسات في تاريخ الشرق القديم صـ٤١٢ـ٢١٦، طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة جـ١ صـ٥٧٣، د/ عبدالحميد زايد: ـ الشرق الخالد صـ٥٥٩ـ٥٦٠).

(١) هؤلاء الملوك هم: اخشوير ش الأول ـ (٤٨٦ـ٤٦٥ ق.م) ارتحششتا الأول (٤٦٥ـ٤٢٤) اخشويرش الثاني (٤٢٤) ق.م دار الثاني (٤٢٤ـ٤٠٤ق.م) ارتحششتا الثاني (٤٠٤ـ٣٥٩ ق.م) ارتحشتا الثالث (٣٥٩ـ٣٣٨ ق.م) دارًا الثالث (٣٣٨ـ٣٣١ق.م).

(٢) راجع ج.ب. جرندي: الفرس وإمبراطورية الشاه الأعظم المجلد الثاني من تاريخ العالم صـ٥٤٧ـ٤٦٣، د/ أحمد فخري: دراسات في تاريخ الشرق القديم صـ٢١٦ـ٢٢٥، د/ عبدالحميد زايد: الشرق الخالد صـ٦٠٨ـ٦٤١.

(٣) راجع الفرس وإمبراطورية الشاه الأعظم ضمن المجلد الثاني من تاريخ العالم صـ٤٤١ـ٤٤٢ راجع أيضًا ج. هـ. إيليف: فارس والعلام القديم ترجمة محمد صقر خفاجة صـ٣٦ ضمن كتاب تراث فارس اشترك في كتابته وأشرف على نشره أزج. إريري راجع ترجمته د/ يحيى الخشاب: دار إحياء الكتب العربية القاهرة ١٩٥٩، راجع أيضا د/ أحمد فخري: دراسات في تاريخ الشرق القديم صـ٢٣٠، د/ نجيب ميخائيل جـ٦ صـ٤٣٢ـ٤٣٣.

ولم تمنعهم عبادة العناصر الأربعة من أن يتخذوا آلهة أخرى لكل منها اختصاص محدد مثل "اناهتيا" آلهة الماء والخصوبة التي صورت بأشكال عدة، ومثل "هومًا" الثور ـ المقدس الذي مات وبعث حيًا ووهب الجنس البشري دمه شرابًا ليسبغ عليه نعمة الخلود، وكانوا يعبدونه بشرب عصير الـ "هوما" المسكر[1].

واستمرت الديانة الفارسية القديمة على هذا الشكل حتى ظهر زرد شت[2]، فعندما ظهر أخذ يهاجمها وثار على آلهتها حتى استبدلها بدين جديد، وقد اختلف العلماء قديمًا وحديثا في ما إذا كان هذا الدين الجديد يقوم على التوحيد أم على الوثنية[3].

ومهما يكن من أمر فالقائلون بالرأي الأول وبأن زردشت كان موحدًا، قد اعترفوا بأن الزردشتية قد تحولت بعده إلى وثنية، وانقلب هذا التوحيد المزعوم إلى شرك وتعدد. إذ أن أثر الديانة القديمة كان لا يزال قائمًا بين الشعب الفارسي ولهذا فإنه لم يمض وقت طويل حتى أخذت بعض العناصر الوثنية القديمة تظهر في ديانة

---

(١) وهي عشب ينمو على سفوح جبالهم (راجع قصة الحضارة مجلد١ جـ٢ صـ٤٢٥، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم الجزء السادس الكتاب الثاني حضارة فارس صـ٤٣٣.

(٢) لقد أطلق الفرس على زردشت اسم "زرثوسترا" وسماه اليونانيون زروستر، ومسألة وجوده موضع جدل بين الباحثين، وحتى الذين يسلمون بوجوده يختلفون في زمن ظهوره لكن الرأي السائد هو أنه ولد في القرن السابق ق.م وتوفى في القرن السادس ق.م، وقد أحيطت حياته منذ مولده إلى مماته بهالة من الأساطير والخرافات. (راجع حول ذلك بالتفصيل في: قصة الحضارة مجلـ١ جـ٢ صـ٢٤٢ـ٤٢٥، تراث العالم القديم جـ١ صـ٥٤، أ.و.ف توملين: فلاسفة الشرق ترجمة عبدالحميد سليم صـ١٤٥ـ١٤٨ دار المعارف بمصر ١٩٨٠، حامد عبدالقادر: زرداشت الحكيم صـ٢٤ـ٢٧ مكتبة نهضة مصر القاهرة ١٩٥٦، راجع أيضا لنفس المؤلف (حامد عبدالقادر) قصة الأدب الفارسي الجزء الأول صـ٣٦ نهضة مصر ١٩٥١م.

(٣) ليس هناك رأي قاطع في تحديد ديانة زردشت بين التوحيد والوثنية، فالنصوص التي وردت عنه تحتمل الأمرين معًا، إذ يذكر في موضع أن أهورامزدا هو الذي خلق النور والظلمة معًا، وفي موضع آخر يذكر أن العالم يحكمه إلهان: إله الخير وإله الشر. راجع الشهرستاني: الملل والنحل جـ١ صـ٢٣٧ مكتبة مصطفى الحلبي تحقيق محمد سيد كيلاني ١٩٧٦م. د/ أحمد فخري: دراسات في تاريخ صمر القديم صـ٢٣٠. د/ بركات عبدالقادر دويدار: الوحدانية مع دراسة في الأديان والفرق صـ٥٥ مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٧م. حامد عبدالفتاح: زارادشت الحكيم صـ٧٩ـ٨٦ قصة الأدب الفارسي جـ١ صـ٣٠ـ٣٦. وراجع أيضا الحديث عن الزردشتية في الفصل الخاص بالتأثير المجوسي من كتابي غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام صـ٥٥٩، ٥٦١.

زردشت في شكل أو آخر[1] فنجد مثلًا منذ عهد "ارتخششتا الثاني (٤٠٤ـ٣٩٥ ق.م) أن إله الشمس "مترا" يظهر إلى جانب "أهورامزدا" إله زردشت كإله للعدل والإخلاص، ويظل تقديسه شائعًا ومستمرًا بين الإيرانيين بعد زردشت بمدة طويلة[2].

٢ـ ديانة اليونان

الشعب اليوناني

ينقسم الشعب اليوناني أو الإغريقي القديم إلى أربع قبائل وهي: الدوريون، والأيوليون، والآخائيون، والأيونيون.

وبالرغم من اختلاف هذه القبائل في لهجاتها وفي الكثير من عاداتها إلا أنها ترجع إلى أصل واحد، وتجمع بينها لغة واحدة وعادات وعقائد متشابهة.

وقد أدركت جميعها هذه الروابط بعد احتكاكها بالشعوب الأخرى، فعرفت أنها أمة واحدة، واتخذت لنفسها اسم "الهلنيين" بينما أطلقت على كافة الأقوام الأخرى اسم "برابرة"[3].

---

(١) جاء في دائرة المعارف البريطانية "لقد أتى زرادشت بدين جديد، وليس معنى ذلك أن كل ما أتى به من ابتكاراته الخاصة، وأنه لم يتأثر بما سبقه من العقائد الوثنية الإيرانية القديمة، فالحق أن العقيدة أساسًا في الديانة القومية الآرية أو الإيرانية القديمة. نقلًا عن زرادشت الحكيم: حامد عبدالقادر صـ٢١.

(٢) راجع قصة الحضارة مجلد١ جـ٢ صـ٤٣٦ فلاسفة الشرق صـ١٦٢ـ١٦٣، الفرس ـ وإمبراطورية الشاه الأعظم ضمن المجلد الثاني من تاريخ العالم صـ٤٤٣، د/ فخري: دراسات في تاريخ الشرق القديم صـ٢٣١. والإله مثرًا من الآلهة الإيرانية القديمة، وكان أصلًا من أتباع "أهورامازدا" ثم امتزج بالشمس كلية واقترن بها، وقد ورد في بعض أسفار الأبستاق ـ كتاب زرادشت ـ المقدس ـ أن مثرا هو الحارس للمراعي اليقظ. د/ نجيب ميخائيسل: مصر والشرق والجزء السادس الكتاب الثاني حضارة فارس صـ٤٣٣ حامد عبدالقادر: زرادشت الحكيم صـ٢٠.

(٣) هناك أسطورة يونانية تذكر أن اليونانيين ينتسبون إلى "هيللين" ابن "دوقاليون" ثم كان لهيللين ولدان هما (دوروس) (أثولوي) وحفيدان هما (إيون) و(آخيئوس) ومن هؤلاء تنحدر القبائل اليونانية الأربع المذكورة (راجع ويلز: معالم تاريخ الإنسانية مجلد٢ الكتاب الرابع صـ٣٢٧٨ـ٣٢٨، راجع أيضًا: استانلي كاسون: اليونان قبيل بلوغ أوج عظمتها ترجمة عبدالحافظ معوض ضمن المجلد الثاني من تاريخ العالم صـ٣٣٠ـ٣٣٢ د/ محمد كامل عياد: تاريخ اليونان جـ١ صـ٨٦ الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ ١٩٨٠ دمشق.

obeikandi.com

ولم تكن هذه القبائل من سكان شبه جزيرة اليونان الأصليين، وإنما هاجروا إليها، وإلى شواطئ آسيا الصغرى، وانتشروا في جزر بحرايجة، عن طريق البلقان في موجات متعددة استمرت طوال الألف الثاني ق.م[1].

واشتهر بين مدن اليونان القديمة مدينتا اسبرطة وأثينا، واتصل اليونانيون بالأمم الشرقية القديمة المجاورة، واقتبسوا الكثير من حضارتهم، حتى كان غزو الإسكندر الأكبر للشرق القديم، وقضاؤه على الإمبراطورية الفارسية عام ٣٣١ ق.م[2].

الديانة:

تقوم الديانة اليونانية القديمة ـ كما تتبدى لنا في العصور التاريخية ـ على تعدد الآلهة[3]، فقد عبد اليونانيون حشدًا كبيرًا من الآلهة يشق على الإنسان

---

(١) لا يعرف بالتأكيد الموطن الأصلي الذي هاجرت منه القبائل اليونانية ولم يحدد بالضبط التاريخ الذي تمت فيه هذه الهجرة ولكن ساد بين المؤرخين أن اليونانيين من الأقوام الهندية الأوربية ـ وأنهم هاجروا إلى بلاد اليونان طوال الألف الثاني ق.م (راجع ويلز: موجز تاريخ العالم ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٨، معالم تاريخ الإنسانية مجلد٢ ك٤ صـ٣٢٧، تاريخ اليونان جت١ صـ٨٥ د/ محمد كامل عياد.

راجع أيضًا برتراندرسل: تاريخ الفلسفة الغربية: الكتاب الأول الفلسفة القديمة ترجمة زكي نجيب محمود الطبعة الثالثة صـ٢٩، ١٩٧٨م.

(٢) من هذه الأمم الشرقية التي اتصل بها اليونانيون وتأثروا بحضارتها: مصر والفينيقيون والبابليون وغيرهم، راجع العصر اليوناني المتأخر تأليف جون هامرتون ترجمة الأستاذ فؤاد أندراوس صـ١٢ـ١٣ ضمن المجلد الثالث من تاريخ العالم وقد كتب ز، رومين بارترسون دراسة عن الإسكندر الأكبر بوصفه بطلا من أبطال العالم فتحدث عن نشأته وخلقه وثقافته وعبقريته السياسية والحربية ضمن المجلد الثالث من تاريخ العالم صـ٣١ـ٦٠ـ ترجمة عبدالفتاح صدقي.

وقد عاش اليهود تحت الحكم اليوناني في حياة الإسكندر ومن بعده عاشوا تحت حكم البطالمة والسلوقيين وتفصيل ذلك في قنوات الاتصال التاريخية.

(٣) هـ.ج. روز: الديانة اليونانية القديمة ترجمة رمزي عبده جرجس الناشر دار نهضة مصر القاهرة ١٩٦٥ صـ١٩ـ٢١، فوستيل دي كولانج: المدينة العتيقة دراسة لعبادة الإغريق والرومان ترجمة عباس بيومي بك صـ١٦٢ـ١٦٤ طبع ونشر النهضة المصرية القاهرة بدون تاريخ. هـ.د. كيتو: الإغريق ترجمة عبدالرازق يسري صـ٢٥٦ـ٢٥٧ دار الفكر العربي ١٩٦٢ ويذكر أن تعدد الآلهة كان ديانة طبيعية زادها تعقيدًا تعدد تجزئة الجنس الإغريقي واندماج أنواع مختلفة من الديانات في جهات متعددة من بلاد الإغريق صـ٢٦٢ ويقول روز إن العناصر المختلفة من الديانات في جهات متعددة=

ذكر أسمائها جميعًا، ولكن أمكن تقسيمها تقسيمًا مصطنعًا إلى سبع مجموعات:

آلهة السماء، وآلهة الأرض وآلهة الخصب، والآلهة الحيوانية، وآلهة ما تحت الأرض، وآلهة الأسلاف والأبطال، والآلهة الأوليمبية[1].

وإن كان هناك من يقسم هذه الكثرة من الآلهة إلى طبقتين رئيستين فقط هما:

الآلهة الأوليمبية وموطنها الحقيقي هو السماء، والآلهة الأرضية وهم سكان الأرض[2].

بيد أن أضخم مجموعة من المعبودات اليونانية وأدومها كانت تلك المجموعة المعروفة باسم "الآلهة الإثنى عشر" الذين كانوا يعبدون سويًا في أغلب الأحيان وهؤلاء هم: زيوس، وبوسيدون، وأبولو، وآريس، وهيفا يستون، وهيرميس، ثم هيرا، وآثينا، وآرتمتس، وأفروديتي، وديميتر، وهستيًا[3].

وكما لاحظنا فإنه يقف على رأس هذه الآلهة الإثنى عشر ـ بل على رأس النظام الإلهي اليوناني كله ـ ما تصوره اليونانيون أنه رب الأرباب وهو "زيوس" العظيم[4].

= في بلاد الإغريق صـ٢٦٢ ويقول روز إن العناصر المختلفة التي تألف منها الشعب اليوناني قد أسهمت بعوامل مختلفة في تكوين الكل المعقد للديانة اليونانية (الديانة اليونانية القديمة صـ١٤).
ويذهب تيودور جيانا كوليس إلى أن تعدد الآلهة في الديانة اليونانية كان محاولة ـ لتنظيم الطبيعة التي كانت تبدو قائمة على الفوضى ـ في تصورهم طبعًا ـ ولوضع طريقة كاملة معقولة تفسر الصلة بين القوى الطبيعية بعضه والبعض الآخر وتوضح مدى أهميتها (اليونان شعبها وأرضها صـ٨١ ترجمة محمد آمين رستم مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٣).

(١) قصة الحضارة (٦) الجزء الأول من المجلد الثاني: حياة اليونان صـ٣٢١ـ٣٢٨ـ ترجمة محمد بدران الطبعة الثالثة ١٩٦٩م لجنة التأليف والترجمة والنشر.

(٢) روز: الديانة اليونانية القديمة صـ١٤.

(٣) المصدر السابق صـ٨٢.

(٤) (العظيم في نظرهم طبعًا) وتروى أساطير اليونانيين عن زيوس هذا أنه أعلن الحرب على أبيه الملك وانتزع منه حكم العالم، وعند ذلك أخذ هو وإخوته يقسمون العالم ويوزعونه فيما بينهم، فانتخب زيوس إله القبة الزرقاء وحكم الأرض والسماء وأصبح بوسا يدون ـ ربا للبحار، وهيدنير لعالم الموتى.
(راجع قصة الحضارة (٦) الجزء الأول من المجلد الثاني صـ٣٢٨ـ٣٢٩، لويس ر، فارنل: ديانة اليونانيين ترجمة دريني خشبة ضمن المجلد الثاني من تاريخ العالم صـ٧٠٠، ٧٠٦، ٧٠٧، تيودور جيانا كوليس: اليونان شعبها وأرضها ضـ٨٥.

إذ كان في تصورهم طبعًا ـ يجلس على عرش من ذهب، وإلى جانبه زوجته هيرا، ومن حولهما الآلهة العشرة الآخرون[1].

هذا وقد صور اليونانيون آلهتهم بهيئات بشرية وحسبوها ذات صفات إنسانية صالحة ورديئة، فهم في نظرهم يأكلون ويشربون، ويتناسلون وينامون، ويمشون في الأسواق، ويشغلون حيزًا من الفراغ، وتمر بهم الأزمنة وتنتابهم الأمراض، ويرتكبون الجرائم، ويقترفون أقبح الآثام، ويستسلمون لأغلظ الشهوات، ويتزوج ذكورهم بإناثهم، وقد يتصل ذكورهم بإناث البشر، وإناثهم بذكور الآدميين[2].

ومن أجل ذلك كانت الديانة اليونانية القديمة شديدة الصلة بمجريات الحياة اليومية، فلم تكن الآلهة أسيرة هياكلها، أو سماواتها أو ممالكها السفلى، بل كانت تحيا في الطرقات، وفي بيوت الناس، وتعيش معهم في منازلهم وفي حقولهم[3].

وجدير بالذكر أن الآلهة اليونانية القديمة كانت تشتمل على آلهة أجنبية استعارها اليونانيون من الأمم والدول التي استعمروها مثل آلهة المصريين والفينيقيين ـ والبابليين والآراميين[4].

---

(١) كانت عبادة هيرا تقوم على أسس كونها "عذراء" و"زوجة" و"أرملة" إذ أنها كانت آلهة للنساء، وجميع النسوة يندرجن تحت فئة من تلك الفئات الثلاث (روز: الديانة اليونانية صـ٧٤، راجع تيودور: (اليونان شعبها وأرضها صـ٨٢).

(٢) برستيد: العصور القديمة صـ٢٩٩، لويس/ فارنل: ديانة اليونانيين ضمن المجلد الثاني من تاريخ العالم صـ٧٠٥. روز: الديانة اليونانية القديمة صـ٧٤، عباس محمود العقاد: الله صـ١٠٦، د/ علي عبدالواحد وافي: الأدب اليوناني القديم ودلالته على عقائد اليونان صـ١١ دار نهضة مصر للطبع والنشر ١٩٧٩م، غرائب النظم والعادات والتقاليد صـ٣٥ـ٣٦ نهضة مصر ١٩٨٤م.

(٣) روز: الديانة اليونانية القديمة صـ١١ـ١٣. وقد كان يوضع في كل منزل مدفأة توقد فيها النار المقدسة، وكانت كل أسرة تختار عددًا من الآلهة، وتحتفظ بها لنفسها باعتبارهم حماة لها، وتسمى هذه الآلهة بالآلهة المنزلية.

روز: الديانة اليونانية صـ١١، فوستيل دي كولانج: المدينة العتيقة صـ١٦٣ وراجع في نفس المصدر الفصل الخاص بالديانة المنزلية صـ٤٠ـ٤٧.

(٤) راجع ويلز: معالم تاريخ الإنسانية مجلد ٢ك ٤ صـ٣٣٢ عباس العقاد: الله صـ١٠٥ـ١٠٦.

٣ـ ديانة الرومان:

الرومان:

يبدأ تاريخ الرومان ـ على أرجح الآراء ـ في عام ٧٥٣ ق.م حيث أسس رومولوس مدينة روما على تل البلاتين في إيطاليا القديمة[١] وكان يسكن إيطاليا في ذلك الوقت عدد من الشعوب ينتمون إلى أصول مختلفة[٢].

ويقسم المؤرخون التاريخ الروماني عادة إلى ثلاثة أقسام وهي:

(أ) عهد الملوك:

ويبدأ هذا العهد بتأسيس مدينة روما (٧٥٣ ق.م).

وينتهي بطرد آخر ملك من ملوكهم عام (٥١٠ ق.م).

(ب) عهد الجمهورية: ويبدأ من عام ٥٠٩ ق.م إلى ٢٧ ق.م.

(جـ) عهد الإمبراطورية: ويبدأ من عام ٢٧ ق.م إلى عصر ظهور الإسلام[٣].

وقد توسع الرومان في عهدي الجمهورية والإمبراطورية توسعًا شاملًا، وازداد نفوذهم ازديادًا كبيرًا، حتى خضعت لهم بلاد اليونان، وسيطروا على إمبراطوريات

---

(١) دونالد. و. دولي: حضارة روما: ترجمة جميل يواقيم الذهبي وفاروق فريد صـ٢٣، ١٨ دار نهضة مصر القاهرة ١٩٧٩م، ويلز: موجز تاريخ العالم صـ١٣٤، ويلز: معالم تاريخ الإنسانية مجلد ٢ الكتاب الخامس صـ٥٠٥، ٥٠٩. وكان تأسيس المدينة يعني تجمعًا دينيا وسياسيا بين الأسرات، والقبائل، وقيل إن رومولس هذا كان رئيسا لعصابة من المغامرين فجمعهم وبدأ ببناء بضعة أكواخ، (راجع بالنفصيل قصة بناء مدينة روما صـ١٧٦ : ١٨٧ من كتاب المدينة العتيقة فوستيل دي كولانج) وكان الرومان يحتفلون بعيد تأسيس هذه المدينة وقاموا بعبادة مؤسسها بما عرف لديهم بعبادة المؤسس (راجع المدينة العتيقة) صـ١٨٨ـ١٩٣.

(٢) دونالد. ر. دولي: حضارة روما صـ١٦ـ١٧، هـز ستورات جونز: روما وأسباب عظمتها فيما بعد ضمن المجلد الثالث من تاريخ العالم صـ٢٢٣ ترجمة عثمان نوية.

(٣) راجع ر. هـ. بارو: الرومان صـ٢٠ وما بعدها ترجمة عبدالرازق يسري سلسلة الألف كتاب (٦١٢) دار نهضة مصر ١٩٦٨، ف.م هيلر: مجمل تاريخ العالم صـ١١٥ـ١١٩ ترجمة إبراهيم ميخائيل عودة دار اليقظة العربية للتأليف والرجمة والنشر بدون تاريخ، ويلز: موجز تاريخ العالم صـ١٣٥.

obeikandl.com

الشرق القديم بما فيها بلاد سورية وعاش اليهود تحت نفوذهم فترة من الزمان، بدأت من عام ٦٣ ق.م، وانتهت عام ٧٠ق.م بتدمير أورشليم، وتشتيت اليهود وهو ما يسمى بالشتات الأخير، وبدأ ـ عهد التشرد والضياع[١].

الديانة:

قامت الديانة الرومانية ـ شأنها في ذلك شأن سائر الديانات الوثنية القديمة ـ على تعدد الآلهة.

فقد عبدالرومان آلهة كثيرة، وبلغت في كثرتها إلى الحد الذي جعل ول ديورانت يقول "إننا لا نعرف قط دينا يبلغ فيه عدد الآلهة ما بلغه عند الرومان، فقد قدرت بثلاثين ألفًا، بل إن بعض المدن الإيطالية القديمة كان فيها من الآلهة أكثر ممن فيها من الرجال[٢].

وكان هناك نوعان من الآلهة: آلهة الدولة أو الآلهة القومية الرسمية، وآلهة الأفراد أو الآلهة الشعبية[٣].

وكان أحب الآلهة القومية إلى قلوب الشعب الروماني، وأعظمها وأفضلها لديه هو الإله جوبيتر[٤]، الذي كان يمثل رقعة السماء المتلألئة وضياء الشمس والقمر، وقصف الرعد، والإخصاب، وكانت أبواب هيكله لا تفتح إلا في أيام الحرب، ليخرج منها مع جيوش روما لهزيمة آلهة الأعداء[٥].

وكان هناك إلى جانب جوبيتر آلهة أخرون برزوا ضمن الآلهة الرسمية، مثل الإله مارس الذي تروى الأساطير أنه كان أبا للشعب الروماني، وكان جبارًا في الحروب،

---

(١) تفصيل ذلك في الفصل الأول من الباب الثاني.

(٢) قصة الحضارة (٩) الجزء الأول من المجلد الثالث: قيصر والمسيح أو الحضارة الرومانية ترجمة محمد بدران صـ١٢٥ لجنة التأليف والرجمة والنشر والطبعة الثالثة ١٩٧٢م.

(٣) م.ب تشارلرووث: الإمبراطورية الروماينة ترجمة رمزي عبده جرجس صـ١٦٠ـ١٦٣ سلسلة الألف كتاب (٣٦٠) دار الفكر العربي ١٩٦١م.

(٤) لعل لفظ جوبيتر محرف عن ديسيا أو ديستير أي إله السماء.

(٥) ول وايريل ديورانت: قصة الحضارة (٩) الجزء الأول من المجلد الثالث صـ١٢٧.

مقدامًا جسورًا، يتولى حماية الجيوش الرومانية، ويحظى بالعبادة الرسمية من الفرق، والقوات الرومانية جميعها[١].

وكان هناك عدد من الإلهات[٢] منها: فستا إلهة نار الموقد التي لا تنطفئ ورمز حياة البيت والأسرة علمًا على خلود روما، ومنيرفا إلهة كل من يعملون بعقولهم أو بأيديهم[٣].

هذا بالإضافة إلى آلهة أجنبية استعارها الرمان من البلاد التي استعمروها، كآلهة اليونانيين والمصريين والفينيقيين والآراميين وغيرهم من بلاد الشرق القديم[٤].

ومما ينبغي الإشارة إليه أن الرومان ـ في أغلب الأحيان لم يتخيلوا آلهتهم في صورة بشرية كما تخيلها اليونانيون، وإنما تصوروها معنويات مجردة بالرغم من تعددها[٥].

وإن كان هذا لا يمنع من القول بأن الرومان قد رحبوا بآلهة اليونان، وأقاموا لها الهياكل، واستهواهم ما يقدم لها من مراسم وطقوس[٦].

---

(١) الإمبراطورية الرومانية صـ١٦١.

(٢) كانت إلهات روما أقل قوة من آلهتها ولكنهن كن أحب إلى قلوب الشعب من الآلهة الذكور (قصة الحضارة (٨) صـ١٢٧).

(٣) الإمبراطورية الرومانية صـ١٦١ـ١٦٢.

(٤) راجع برسيتيد: العصور القديمة صـ٤٩٤ـ٤٩٥، قصة الحضارة (٩) صـ١٢٩٥ـ١٩٨ أندريه إيمار وجانين أبوابه: روما وإمبراطوريتها ترجمة يوسف داغر، فريد داغر صـ٢٠٠، ٤٠٠، وهو الجزء الثاني من تاريخ الحضارات العالم بإشراف موريس كروزيه منشورات عويدات لبنان الطبعة الأولى ١٩٦٤م.

(٥) يبدو أنهم تصوروها في صورة أرواح تقوم على حماية الإنسان، كإله للمرض وإله الشفاء وإله النصر وإله الحظ وإله العفاف إلى غير ذلك (قصة الحضارة (٩) صـ١٤٢ـ١٢٥، سيريل بايلي: ديانة اللاتين ترجمة محمد بكر خليل صـ٣٨٣ـ٣٨٤ ضمن المجلد الثالث من تاريخ العالم.

(٦) قصة الحضارة (٩) الجزء الأول من المجلد الثالث صـ١٢٩ـ١٣٠ سيريل بايلي: ـ ديانة اللاتين صـ٤٠٢ـ٤٠٣ ضمن المجلد الثالث من تاريخ العالم.

obeikandl.com

الفصل الثاني

قنوات الاتصال التاريخية بين اليهود وأصحاب الأديان الوثنية

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: اتصال اليهود بمصر

المبحث الثاني: اتصال اليهود بشعوب فلسطين:

أولاً: العناصر السامية:

١- الكنعانيون الفينيقيون.

٢- الأموريون.

٣- الآراميون.

٤- دول شرق الأردن:

أ- الأدوميون.

ب- المؤابيون.

جـ- العمونيون.

ثانياً – العناصر غير السامية:

أ- الحيثيون.

ب- الفلسطينيون.

المبحث الثالث: اتصال اليهود بالفرس.

obeikandl.com

obeikandl.com

المبحث الأول: اتصال اليهود بمصر

تحتل مصر منزلة هامة ورقعة واسعة في تاريخ اليهود القديم على مدار مراحله المختلفة.

فالأسفار تضع المصريين ضمن قائمة الشعوب المتفرعة من أبناء نوح عليه السلام فأرجعتهم إلي مصرايم الابن الثاني لحام[1].

وورد فيها أن الخليل إبراهيم قد هاجر إلي مصر ضمن هجراته المتعددة، وذكرت قصة مجئ يوسف عليه السلام إلي مصر، ثم دعوته إلي أبيه يعقوب وأسرته للإقامة بها، وقد استوطن بنو إسرائيل في مصر – فيما تزعم الأسفار – مدة أربعة قرون[2]، حتى كان خروجهم منها على يد النبي موسي عليه السلام.

لم تنقطع العلاقة بين مصر واليهود بعد ذلك، إذ كان هناك اتصالات ومعاهدات بين فراعنة مصر وبين الإسرائيليين في عصر المملكة الموحدة والانقسام بل إن اليهود – كما سنرى من خلال أسفار العهد القديم – وكما تشير الأدلة التاريخية – كانوا كلما ضاق بهم الحال، أو حزبهم الأمر، استنجدوا بمصر أو هاجروا إليها[3].

---

(١) راجع تكوين ١٠: ٦، ١٣، أخبار الأيام الأولى ١: ٨، ١١ – ١٢، قاموس الكتاب المقدس صـ ٩٠٥

(٢) تكوين ١٥: ١٣ ويذكر سفر الخروج أنها أربعمائة وثلاثون عاماً (خروج ١٢: ٤٠).

(٣) يذهب الدكتور مصطفي عبد العليم إلي أن العلاقة بين مصر واليهود بدأت منذ عهد الأسرة الخامسة (وقد سبق أن ذكرت في تواريخ الأسر المصرية أن الأسرة الخامسة تقع ضمن أسر الدولة القديمة وتؤرخ بـ (٢٥٦٠ – ٢٤٢٠ ق. م.) وهذا لا يتفق مع ما ذهب إليه المؤرخون من أن عصر إبراهيم عليه السلام يقع – على الأغلب – بين القرنين العشرين والتاسع عشر ق. م، بالإضافة إلي أن هجرته إلي مصر تم تأريخها كما سنرى في عهد الأسرة الثانية عشرة (١٩٩١ – ١٧٧٨ ق. م).
وتاريخ اليهود يبدأ بعصر الخليل، ولم يكن لهم وجود قبله، معنى ذلك أن علاقة اليهود بمصر ترجع إلي عهد الأسرة الثانية عشر وليس إلي عهد الأسرة الخامسة. (راجع د/ مصطفي كمال عبد العليم: اليهود في مصر في عصري البطالمة والرومان صـ ٣ الطبعة الأولى ١٩٦٨ مكتبة القاهرة الحديثة.

هذا وقد اتخذت تلك العلاقات مظاهر شتى عبر القرون الطويلة السابقة للميلاد، وتلك القرون اللاحقة له، إذ اختلفت تبعاً لاختلاف موضع فلسطين بالنسبة لمصر، والصلات التي قامت بين مصر وفلسطين من ناحية، وشعوب الشرق الأدنى من ناحية أخرى[١].

هجرة الخليل إبراهيم إلي مصر:

يذكر سفر التكوين أن الخليل إبراهيم قد هاجر إلي مصر حينما حل القحط والجفاف بأرض كنعان "وحدث جوع في الأرض فانحدر إبرام إلي مصر ليتغرب هناك لأن الجوع في الأرض كان شديداً"[٢].

وكانت هجرته إليها على الأرجح المشهور إبان الأسرة الثانية عشر من ملوك الدولة الوسطي في القرن التاسع عشر ق. م[٣].

ولم تذكر التوراة شيئاً عن المدة التي قضاها إبراهيم في مصر وإن كان هناك من يقول إنها نحو سبع سنوات تقريباً[٤].

---

(١) د/ مصطفي عبد العليم: المصدر السابق صـ ٣ وبين جيمس باركس مدى ارتباط الإسرائيليين من حيث قوتهم وضعفهم بمصر فيقول "إن القبائل الإسرائيلية لم تستطع أن تقيم فيما بينها وحدة سياسية لها قيمة – في أي يوم من الأيام – إلا إذا كانت قد أفلتت من قبضة كل من مصر والعراق القديم "جيمس باركس في كتابه: تاريخ الشعب اليهودي نقلا عن مهندس أحمد عبد الوهاب: فلسطين بين الحقائق والأباطيل صـ ١٠٧ مكتبة وهبة ١٩٧٢ القاهرة.

(٢) تكوين ١٢: ١٠ سوف نتحدث عن هذه الرحلة إلي مصر بالتفصيل في بحثنا الشامل عن سيدنا إبراهيم الخليل بين أهواء العهد القديم وحقائق القرآن الكريم.

(٣) يؤرخ للأسرة الثانية عشرة بهذا التاريخ (١٩٩١ – ١٧٧٨ ق. م وهي الأسرة الثانية والأخيرة في عصر الدولة الوسطي (٢٠٢٥ – ١٧٧٨ ق. م) وقد أورد الدكتور أحمد عبد الحميد يوسف عددا من الشواهد التاريخية التي تبرهن على صحة ذلك (راجع في ذلك كاثرين هنري: التاريخ في الكتاب صـ ١٧ وهو خلاصة كتابين ألفا باللغة الإنجليزية لخصهما حبيب سعيد وصدر عن دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بمصر بدون تاريخ، د/ أحمد عبد الحميد يوسف: مصر في القرآن والسنة صـ ٢٦ – ٢٣ سلسلة اقرأ دار المعارف بمصر ١٧٩٣، د/ محمد شفيق غربال: تكوين مصر صـ ٥٢ مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٥٧م.

(٤) نقل ذلك الدكتور/ محمد أحمد محمود حسن وسجل في كتاب مصر والعرب وإسرائيل في الكتب المقدسة صـ ٧ دار المعارف بمصر ١٩٨٠م.

دخول بني إسرائيل مصر:

لقد فصل لنا القرآن الكريم قصة يوسف عليه السلام، وكيف أن إخوته كادوا له وائتمروا عليه حتى يتخلصوا منه، وانتهي الأمر بأن اشتراه عزيز مصر وحدث له ما حدث من امرأة هذا العزيز، الأمر الذي أدى إلي إدخاله السجن مظلوما ثم الخروج منه بعد استدعاء الملك له، وتمكين الله له في الأرض وتوليته الوزارة في مصر، ثم حدث أن التقى بإخوته، وانتهي بهم المطاف إلي أن يستدعيهم يوسف مع أبيهم يعقوب للإقامة بمصر وقال لهم: ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين[١].

ويعرض لنا سفر التكوين نفس أحداث القصة ولكن بكثير من الإضافات ومزيد من التفصيلات[٢] مع إغفاله لبعض الحقائق[٣] والوقوع في نوع من التناقض[٤].

---

(١) اقرأ سورة يوسف وبخاصة الآيات (٤ – ١٠١).

(٢) راجع سفر التكوين الاصحاحات ٣٧، ٣٩، ٤٥، راجع أيضاً د/ صموئيل شولتز: العهد القديم يتكلم صـ ٥٥٠ وما بعدها ترجمة أديبة شكري يعقوب نشر معهد المراسلة الدولي في بروكسل ببلجيكا طبع مطبعة السلام القاهرة ١٩٨٤، ف. ب. مايز: حياة يوسف مكتبة المحبة ١٩٧٨ ترجمة القمص مرقس داود.

(٣) على سبيل المثال انفرد القرآن الكريم بذكر دعوة يوسف عليه السلام في السجن إلي وحدانية الله، ونقده للتعدد الذي كان عليه المصريون (الآيات ٣٧ – ٤٠) وكذلك ورد في سورة غافر على لسان الرجل المؤمن من آل فرعون، "ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فمازلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولاً "وهذا يثبت إرسال الله لسيدنا يوسف بالرسالة والبينات للمصريين قبل سيدنا موسي (غافر: ٣٤).

(٤) من هذا التناقض أنه ورد في الإصحاح ٣٧ من السفر أن يهوذا هو صاحب الكلمة الأخيرة في أمر يوسف فاقترح أن يبيعوه للإسماعيليين ولكننا نقرأ في موضع آخر أن راوبين هو صاحب الكلمة الأخيرة فاقترح إلقاءه في الجب وهناك وجده تجار من مدين فلما تحدث – السفر عن بيعه إلي عزيز مصر ذكر في موضع أن المديانيين الذين باعوه وفي موضع آخر أن – الإسماعيليين هم الذي باعوه، ويرجع عصام الدين حفني ناصف هذا الاضطراب وذلك التناقض – المعهود كثيراً في الأسفار – إلي أن قصة يوسف – شأنها في ذلك شأن الكثير من قصص الأنبياء في الكتاب المقدس – مؤلفة من قصتين متباينتين مزجت كل منهما بالأخرى دون لباقة ولا انسجام فكان عقبي ذلك شيوع التناقض في أجزاء منها (راجع التكوين ٣٧: ٢٦، ٢٨، ٢١ – ٢٤/ ٣٨، ٣٦/ ٣٩: ١عصام الدين حفني ناصف: الأسطورة والوعي صـ ٧٥ – ٧٧ دار العالم الجديد القاهرة الطبعة الأولى ١٩٧٦م.

obeikandl.com

ومهما يكن من أمر فإن السفر قد صرح بقدوم إسرائيل وبنيه إلي مصر[١].

وذكر أن الفرعون[٢] قد أحسن استقبالهم[٣] وقال ليوسف "أرض مصر قدامك في أفضل الأرض أسكن أباك وإخوتك ليسكنوا في أرض جاسان[٤] وإن علمت أنه يوجد بينهم ذو قدرة – فاجعلهم رؤساء مواش على التي لي[٥].

وبين استيطانهم في مصر واستقرارهم بها فجاء في السفر "وسكن إسرائيل في أرض مصر في أرض جاسان وتملكوا فيها وأثمروا وكثروا جداً[٦].

---

(١) تكوين ٤٦: ٥ – ٧ وذكر السفر أسماء بني إسرائيل الذين جاءوا إلي مصر (بنوه وبنو بنيه وبناته وبنات بنيه وكل نسله جاء بهم معه إلي مصر) وقد بلغ عددهم حسب ما قال السفر سبعين فردا (راجع تكوين ٤٦: ٨ – ٢٧).

(٢) عرف عاهل مصر في عصورها القديمة باسم فرعون، وهو لقب اختص به كما اختص كسري عند الفرس والنجاشي عند الأحباش. وقيصر عند الروم، ولم يكن لفظ فرعون في بدايته أكثر من تعريف اصطلاحي إداري كتب في صيغته المصرية "برعو" بمعنى البيت العالي أو القصر العظيم ونقل إلي العبرانية بلفظ "فرعو" وإلي العربية بلفظ "فرعون" فكان يكني به أولاً عن قصر فرعون دون شخصه، على أن دلالة اللفظ على شخص الملك نفسه لم تثبت إلا منذ الأسرة الثامنة عشر على عهد اخناتون (١٣٧٠ – ١٣٤٩) فلما كانت الأسرة التاسعة عشرة – وهي أسرة – رمسيس الثاني وبنيه – ذاع اللقب فيما ورد عن الملك في الخبر والخطاب راجع د: عبد العزيز صالح: مصر والعراق صـ ٨١، د/ أحمد يوسف مصر في القرآن والسنة صـ ١٣٣ – ١٣٤. وعلى ذلك فإن ذكر التوراة لحاكم مصر على أنه الفرعون يعتبر خطأ تاريخيا، وتظهر دقة الإعجاز القرآني حين تحدث القرآن الكريم عن الملك في عصر يوسف دون أن يصفه بأنه فرعون وإنما بلقب الملك إذ لم يكن لقب فرعون ذائعاً في ذلك العصر ولم يكن هذا الملك أيضاً مصريا حتى يلقب باللقب الذي اختص به الملوك المصريون وحين تكلم عن حاكم مصر في عصر موسي وصفه بأنه فرعون.

(٣) تكوين ٤٧: ١ – ٤.

(٤) تكوين ٤٧: ٥ – ٧.

(٥) أرض جاسان: منطقة خصيبة في مصر كثيرة المرعى للقطعان والمواشي واقعة شرق الدلتا وهي المعروفة الآن بالشرقية الممتدة من جوار أبي زعبل إلي البحر ومن برية جعفر إلي وادي توميلات (قاموس الكتاب المقدس صـ ٢٤٢ – ٢٤٣) وجاسان التي وردت في التوراة يطلق عليها أرض جسم أو جاسام في النصوص المصرية (مصر في القرآن والسنة صـ ٦٧) وإذا أردت مزيدا من التفاصيل حول اختلاف العلماء في تحديد موقعها راجع (محمد بيومي مهران: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم الجزء السابع صـ ٢٣٢ – ٢٣٧).

(٦) تكوين ٤٧: ٢٧ – ٢٨.

عصر دخول بني إسرائيل مصر:

إن من الصعب أن نحدد بشكل قاطع تاريخ دخول بني إسرائيل إلي مصر ويرجع ذلك إلي أن الأسفار لم تعين هذا التاريخ، وكذلك لم يعثر حتى الآن في الآثار المصرية على أدنى إشارة إلي دخول بني إسرائيل وخروجهم منها[١].

ومع ذلك فإن كثيرا من علماء الآثار المصرية والمؤرخين[٢] يرجحون القول بأن بني إسرائيل قد دخلوا مصر في عهد الهكسوس[٣]، وأن ذلك الدخول تم في

---

(١) لقد وردت أول إشارة إلي إسرائيل في نقش مرنبتاح حوالي (١٢٢٠ ق. م) وهو أقدم نقش ورد فيه ذكر إسرائيل وهو عبارة عن أنشودة انتصار (هوامش موسكاتي د/ السيد يعقوب بكر صـ ٢٧٨) وأما قصة دخول بني – إسرائيل وخروجهم منها فلم يعثر عليها حتى الآن في الآثار المصرية ولعلها تكون قد سجلت ولم تكتشف أو أنها لم تسجل حيث إنها – فيما يرى المؤرخون وعلماء الآثار – تعتبر من الحوادث التافهة لدى المصريين القدماء والسبب الذي أدى إلي عدم ذكر يوسف في الآثار على الرغم من مكانته في الدولة هو أن كل عمل عظيم قام به كان ينسب إلي الملك الذي كانت النقوش تهدف إلي تعظيمه والإشادة بذكره لأن كل شيء كان من وحيه هو ولعل عدم ذكر حادث الخروج راجع إلي أن النقوش كانت تسجل الانتصارات وتغض الطرف عن الهزائم والانتكاسات ولا يخفي أن الخروج وما تبعه من غرق فرعون وجيشه يشكل انتكاسة خطيرة وفشلاً ذريعاً في الحياة المصرية ولعل هذا أيضا هو السبب في الغموض الذي ساد فترة الهكسوس حيث كان عصرهم بغيضا إلي نفوس المصريين لأنه عصر الذلة والاحتلال. (راجع سلم حسن: مصر القديمة الجزء السابع صـ ١٠٦ – ١٠٨ طبعة دار الكتاب المصرية القاهرة ١٩٥٠، شاهين بك مكاريوس: تاريخ الإسرائيليين صـ ١٠، د/ محمد بيومي مهران دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم الجزء السابع صـ ٢٥٥.

(٢) راجع وليم ف. أولبرايت: آثار فلسطين صـ ٨٦ ترجمة د/ زكي اسكندر، د/ محمد عبد القادر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٧١م، غوستاف لوبون: اليهود في تاريخ الحضارات الأولى صـ ٣٢ – ٣٣ ول ديورانت: قصة الحضارة مجلد ١ جـ ٢ صـ ٣٢٤ موريس بوكاي: دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديث صـ ٢٥٥ دار المعارف الطبعة الرابعة ١٩٧٧، حبب سعيد: أديان العالم صـ ١٧٤ – ١٧٥ دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية القاهرة ١٩٧٧، أحمد عبد الوهاب: فلسطين بين الحقائق والأباطيل ناقلا عن مصادر أجنبية صـ ١٤٢ – ١٤٥، د/ محمد أحمد حسن: مصر والعرب وإسرائيل صـ ٨ – ٩.

(٣) تعني كلمة الهكسوس ملوك البلدان الأجنبية والتفسير الشائع "الملوك الرعاة" ولا يزال أصلهم موضع خلاف، وكل ما هو مقطوع به أنهم كانو غزاة من الشرق وأنهم من عرق سامي، وأنهم من شعوب متعددة، وقد احتلوا مصر حوالي قرن كامل من الزمان تكونت منهم الأسر الثلاث (١٥، ١٦، ١٧) وكانوا في فترة من ١٦٧٥ – ١٥٧٠ ق. م راجع حول هذا الموضوع بريستيد: العصور القديمة صـ ٨٥ موسكاتي: الحضارات السامية القديمة صـ ١٢٣ – ١٢٤، د/ فيليب حتى: موجز تاريخ المشرق الأدنى صـ ١٩٥ وما بعدها، د/ أحمد فخري: مصر الفرعونية صـ ٢٤٤، وما بعدها د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق جـ ١ صـ ٣٢٤ – ٣٢٥.

منتصف القرن السابع عشر ق. م[1] واعتمدوا في هذا الترجيح على أدلة كثيرة[2] وأيا ما كان الأمر فقد عاش بنو إسرائيل في مصر، واختلطوا بالمصريين وتفاعلوا معهم ونعموا بالأمان والرفاهية في عهد يوسف عليه السلام وفي عهد الهكسوس.

يذكر سفر الخروج أن بني إسرائيل بعد أن مات يوسف وكل إخوته "أثمروا وتوالدوا ونموا وكثروا كثيرا جداً وامتلأت الأرض منهم[3].

ولكنهم بعد ذلك وكما يقول السفر قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف[4] – فأذاقهم الذل والهوان[5].

واستمر بنو إسرائيل يعانون من ذل المصريين حتى أرسل الله إليهم وإلي فرعون سيدنا موسي مع أخيه هارون عليهما السلام.

وقد وردت قصة موسي عليه السلام مع فرعون مفصلة في كثير من السور وأخذت حيزاً كبيراً من الآيات في القرآن الكريم فهي تبدأ منذ ولادته وإلقائه في

---

(١) راجع بترى نقلا عن قصة الحضارة مجلد ١ جـ ٢ صـ ٣٢٤ – ٣٢٥، أولبرايت: آثار فلسطين صـ ٨٦، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم الجزء الثالث صـ ٢٤٤ – ٢٤٥.

(٢) ومن هذه الأدلة على سبيل المثال: أن عصر الهكسوس هو من أنسب العصور لدخول الإسرائيليين في مصر لأنه عصر الاضطراب التاريخي لأنه في مثل هذا الاضطراب التاريخي فقط كان يتسنى لهم أن يلقوا ترحابا وهم الغرباء النازحون (حبيب سعيد: أديان العالم صـ ١٧٥ ومنها أيضاً استدلال البعض أن فضيحة امرأة العزيز تصور ما كان عليه مجتمع الدخلاء من حكام الهكسوس في مصر من فساد وانحلال ولأن ما حدث فيها يخالف طبيعة الأشياء ويخرج عن سليقة المصري بما ركب فيه من الأنفة والحمية والكرامة والكبرياء (د/ أحمد يوسف: مصر في القرآن والسنة صـ ٤٠ – ٥٣، ومنها أيضاً أن التوراة في سفر التكوين تروى أن يوسف كان يركب في عربة الفرعون الثانية على أساس أنه نائب الملك وفي هذا دلالة على عصر الهكسوس ذلك لأن حكام البلاد الأجنبية هؤلاء هم أول من أدخل عربة الحرب السريعة إلي مصر وأول من استعمل العربات الرسمية في المناسبات العامة في مصر (كيللر: التوراة كتاريخ نقلا عن د/ محمد بيومي مهران: دراسات في تاريخ الشرق جـ ٧ صـ ٢٥٠.

(٣) خروج ١: ٧.

(٤) خروج ١: ٨.

(٥) راجع خروج ١: ٨ – ٢١، وتفصيل الحديث عن اضطهاد المصريين للإسرائيليين في الفصل الخاص بفترات السبي والاضطهاد في الباب الثاني.

obeikandl.com

اليم[1] وتنتهي بمعجزة انفلاق البحر التي أجراها الله على يد موسي ونجاته هو وبنو إسرائيل من فرعون بعد أن غرق فرعون وجنوده[2].

وتتفق قصة سيدنا موسي وفرعون وخروجه ببني إسرائيل في التوراة مع القرآن الكريم في كثير من الأحداث وإن كانت تختلف عنها في بعض الأمور[3].

هذا وقد اختلفت الأسفار في تحديد المدة التي قضاها بنو إسرائيل بمصر: يذكر سفر الخروج أن الفترة التي قضاها بنو إسرائيل بمصر بلغت أربعمائة وثلاثين عاماً[4].

بينما أورد سفر التكوين أن الله قد وعد إبراهيم بقوله له (أعلم يقينا أن نسلك سيكون غريباً في أرض ليست لهم ويستعبدون لهم فيذلوهم أربعة مائة سنة)[5].

---

(١) مصداقا لقول الله سبحانه: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ (القصص: ٧ راجع أيضا طه: ٣٩. واليم في اللغة العربية البحر أو النهر وهو كذلك في اللغة المصرية القديمة، إذ اليم لفظة سامية عرفت في المصرية منذ الأسرة الثامنة عشر حوالي القرن السادس عشر ق. م، وكان المصريون يطلقون على البحر والنهر وما اتسع من لج الماء لفظ اليم ومنه جاء اسم منخفض الفيوم بعد إضافة فاء التعريف في المصرية القديمة. على أن الذي يستوقف النظر هنا أن اللفظ ورد في القرآن الكريم ثماني مرات لم يذكرها في أحدها في غير ما يخص مصر وليس غير، حيث ذكر بمفهوم النيل ثلاثا وأطلق على البحر الذي غرق فيه فرعون خمسا وكأنما يشير القرآن الكريم إلي موضع معلوم كما يدعوه أهله باسمه المعلوم (راجع د/ أحمد عبد الحميد يوسف مصر في القرآن والسنة صـ ٨٧، ابن منظور: لسان العرب المجلد السادس صـ ٤٩٦٦، مادة يم طبعة دار المعارف الحديثة معجم ألفاظ القرآن الكريم المجلد الثاني صـ ٧١٠ مجمع اللغة العربية ١٩٧٢.

(٢) يقول الله تعالى: ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ إلي قوله تعالى: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ﴾ يونس: ٩٠ - ٩٢.
وقال الله تعلى (ولقد أوحينا إلي موسي أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقا في البحر ييسا لا تخاف دركاً ولا تخشي. فاتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم) طه: ٧٧، ٧٨

(٣) راجع موريس بوكاي: الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة صـ ٢٥٠ - ٢٥٤.

(٤) خروج ٢١: ٤٠.

(٥) تكوين ١٥: ١٣.

خروج بني إسرائيل من مصر:

وعلى أي حال فقد تم الخروج، ولكن القرآن الكريم وكذلك التوراة الحالية لم يرد فيها تحديد أو إشارة لتاريخ الخروج.

وإن كانت التوراة ذكرت أن هناك فرعونين قد عاصرا موسي عليه السلام هما فرعون التسخير والاضطهاد وفرعون الخروج ولكن دون ذكر اسميهما[١].

ومن ثم فقد اختلفت أقوال المؤرخين وعلماء الآثار في تحديد تاريخ خروج بني إسرائيل من مصر.

فذهب فريق إلي أن خروجهم كان خلال القرن السادس عشر ق. م[٢]، ويذهب فريق آخر إلي أن خروجهم كان في عهد تحوتمس الثالث وكان في عام ١٤٤٧ ق. م[٣] بينما يرى فريق ثالث أن الخروج كان في عهد رمسيس الثاني. ١٢٨٠ ق. م أو ١٢٩٠ ق. م[٤] وبجانب هذه الآراء الثلاثة توجد آراء أخرى كثيرة[٥].

---

(١) ورد في سفر الخروج أن ملك مصر قد مات أثناء إقامة موسي في مدين "وقال الرب لموسي في مديان اذهب أرجع إلي مصر لأنه قد مات جميع القوم الذين كانوا يطلبون نفسك وحدث في تلك الأيام الكثيرة أن ملك مصر مات وتنهد بنو إسرائيل من العبودية "خروج ٢: ٣٢/ ٤: ١٩، وبالرغم من أن القرآن الكريم لا يصرح بموت فرعون الاضطهاد قبل إرسال موسي ولم يشر إلي أن هناك فرعونين إلا أن آياته الكريمة لا تمانع صحة ذلك.

(٢) يعتمد هؤلاء على ما رواه المؤرخ المصري القديم مانيثون وعلى أن الخروج قد ارتبط بخروج الهكسوس واستمر هذا هو الرأي السائد حتى القرن التاسع عشر (قاموس الكتاب المقدس صـ ٣٣٩، زكي شنودة: اليهود صـ ٢٧، راجع د/ محمد مهران الجزء السابع صـ ٣٦١ – ٣٧٦ حيث قام بتخطئة هذا الرأي).

(٣) منهم جارستانج هامش قصة الحضارة مجلد ١ صـ ٣٢٦ جـ ٢، راجع قاموس الكتاب المقدس صـ ٣٤٠ – ٣٤١، د/ – نجيب ميخائيل: مصر والشرق جـ ٣ صـ ٢٤٤ – ٢٤٥، راجع تخطئة هذا الرأي أيضا لدى د/ مهران الجزء السابع صـ ٣٧٧ - ٣٩٠.

(٤) أشهر من قال بذلك هو أولبرايت، راجع سليم حسن: مصر القديمة جـ ٧ صـ ١١٥ – ١١٧ قاموس الكتاب المقدس صـ ٣٤١ د/ محمد أحمد حسن: مصر والعرب وإسرائيل صـ ١٠. ومن العقبات التي تقف في وجه هبذا الرأي أنه يجعل رمسيس الثاني هو فرعون الاضطهاد وفرعون الخروج وهو بذلك يخالف التوراة (راجع د/ مهران الجزء السابع صـ ٤١١ – ٤١٢).

(٥) منها ما يذكره الدكتور أحمد يوسف من أن فرعون الخروج هو سيتي بن مرنبتاح (مصر في القرآن والسنة صـ ١٣٩ – ١٤٨) وما رواه موريس بوكاي عن ج. دي ميسلى من أن فرعون الخروج هو تحتمس الثاني وكان في ٩ إبريل ١٤٩٥ ق. م وكذلك ما ذكره دانييل رويس أنه امينوفيس الثاني وغيرهم (راجع موريس بوكاي: الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة صـ ٢٥٩).

لكن الرأي الذي يميل إليه جمهور الباحثين ويرون أنه أقرب الآراء إلي الصواب هو أن الخروج قد تم في عهد مرنبتاح بن رمسيس الثاني وأنه وقع في الثلث الأخير من القرن الثالث عشر أي حوالي ١٢٢٤ ق. م أو ١٢٢٠ ق. م وبناء على ذلك يكون فرعون التسخير هو أبوه رمسيس الثاني[١].

وجدير بالذكر أن عصر موسي عليه السلام – حسب ذكرنا سابقا لتاريخ مصر – يواكب عصر الدولة الحديثة[٢] في عهد الأسرة التاسعة عشرة (١٣٠٤ – ١١٩٥ ق. م) في القرن الثالث عشر ق. م.

مدى تعلق الإسرائيليين بمصر:

هذا وبالرغم من خروج بني إسرائيل من مصر إلا أن قلوبهم ظلت متعلقة بها، وبقيت نفوسهم تهفو إليها.

يدلنا على ذلك ما ورد في سفر الخروج من تذمرهم بعد شهر ونصف من خروجهم من مصر "فتذمر كل جماعة بني إسرائيل على موسي وهارون في البرية، وقال لهما بنو إسرائيل: ليتنا متنا بيد الرب في أرض مصر إذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزا للشبع، فإنكما خرجتمانا إلي هذا القفر لكي تميتا كل هذا الجمهور بالجوع[٣].

وفي سفر العدد: "فعاد بنو إسرائيل أيضا وبكوا وقالوا من يطعمنا لحما، قد تذكرنا السمك الذي كنا نأكله في مصر مجانا في مصر والقثاء والبطيخ

---

(١) ارتضى هذا الرأي موريس بوكاي وبرهن على ترجيحه بكثير من الأدلة (راجع الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة صـ ٢٦١ – ٢٧١ وكذلك فلندر بترى راجع هامش قصة الحضارة مجلد ١ جـ ٢ صـ ٣٢٤ – ٣٢٥، والدكتور فيليب حتى: تاريخ سورية جـ ١ صـ ١٩٣ موجز تاريخ الشرق الأدنى صـ ٣٤، الأب ديلي: تاريخ شعب العهد القديم صـ ١٣١، تيودور هـ. روبنسون: إسرائيل في ضوء التاريخ ترجمة د/ عبد الحميد يونس المجلد الثاني صـ ١٠٧ من تاريخ العالم نشر جون هامرتون، د/ عبد الحميد زايد/ الشرق الخالد صـ ٣٧٨، ولمزيد من التفصيلات عن ترجيح هذا الرأي راجع د/ محمد مهران الجزء ٧ صـ ٤١٣ – ٤٣٦.

(٢) يضم عصر الدولة الحديثة الأسر (١٨، ١٩، ٢٠) ١٥٧٠ – ١٠٨٠ ق. م).

(٣) خروج ١٦: ١ – ٢ راجع أيضاً عدد ٢٠: ١ – ٥.

والكـرات والبصل والثوم، والآن قد يبست أنفسنا، ليس شيء غير أن أعيننا إلي هذا المن"[١].

فهم قد ضاقوا بالمن وملوا منه وسرى فيهم الحنين إلي أطعمة مصر المتنوعة ولعل هذا هو المراد بقوله تعالى (وإذ قُلتم يا موسي لن نصبر على طعام واحد)[٢].

هذا وقد وصل الإسرائيليون إلي ذروة التذمر على موسي وقمة حنينهم إلي مصر حينما اقترحوا على أنفسهم أن ينصبوا قائدا عليهم غير موسي ويعودوا تحت زعامته إلي مصر[٣].

ومن ذلك يتبين لنا أن الإسرئيليين رغم خروجهم من مصر إلا أنهم كانوا يحنون إليها ويودون الإقامة بها مرة أخرى حتى ولو كانوا مستعبدين[٤].

مصر واليهود في عهد سليمان:

يذكر سفر الملوك أن الملك سليمان قد صاهر فرعون ملك مصر فتزوج ابنته وأتى بها إلي مدينة داود[٥]، وكان مهرها – فيما يزعم كاتب السفر – أن هذا الفرعون قد أحرق مدينة كنعانية وقتل سكانها، وأعطاها مهرا لابنته امرأة سليمان[٦].

---

(١) راجع عدد ١١: ٤ – ٩ راجع أيضاً ١١: ١٨ – ٢٠.

(٢) من الآية رقم ٦١ (سورة البقرة).

(٣) "فرفعت كل الجماعة صوتها وصرخت وبكى الشعب تلك الليلة، وتذمر على موسي وعلى هارون جميع بني إسرائيل وقال لهما كل الجماعة ليتنا متنا في أرض مصر.. أليس خيراً لنا أن نرجع إلي مصر، فقال بعضهم لبعض نقيم رئيساً ونرجع إلي مصر" راجع عدد ١٤: ١ – ٤. وحينما احتج اثنان منهم على هذا التذمر وذلك الاقتراح حكموا عليهما بأن يرجما بالحجارة (راجع عدد ١٤: ٥ – ١٠).

(٤) راجع خروج ١٤: ١٠ – ١٢.

(٥) ملوك أول ٩: ١٦، والواقع أن تحديد اسم هذا الفرعون لا يزال في مرحلة الفروض فهو قد يكون شا آمون أو بسوسينيس الثني (راجع ابتين دريوتون وجاك فانديه: مصر ترجمة عباس بيومي صـ ٥٧٦ ملتزم النشر والطبع مكتبة النهضة المصرية القاهرة سليم حسن: مصر القديمة الجزء التاسع صـ ١٣٠ مطبعة جامعة فؤاد الأول ١٩٥٢م، د/ عبد العزيز صالح: مصر والعراق صـ ٢٦٥).

(٦) ملوك أول ٩: ١٦ وهذه المدينة تسمى "جازر" وهي إحدى المدن الكنعانية القديمة واسمها الحالي "تل الجزر وتقع على بعد ١٨ ميلا شمالا غرب أورشليم (راجع قاموس صـ ٢٤٢).

مع ذلك فقد كانت مصر ملجأ للفارين من الحكم الإسرائيلي ووكراً للناقمين عليه، ورد في سفر الملوك أن أحد الثائرين على سليمان واسمه هدد الأدومي كان قد فرَّ إلى مصر هرباً من المجزرة البشرية التي أقامها يوآب قائد جيش داود إذ أنه استباح مدينة الأدوميين لمدة ستة شهور فذبح من فيها من ذكور، واستقبل هدد من فرعون مصر بكل ترحاب. بل إنه زوجه أخت امرأته، وظل مقيماً في مصر حتى علم بموت داود وهلاك يوآب – فعاد إلي بلاده ليقوم بالثورة ضد سليمان وصار من ألد خصومه[١].

مصر واليهود في عصر الانقسام:

ولقد كان لمصر أيضاً دور كبير في إحداث الانقسام الكبير الذي وقع عقب وفاة سليمان عليه السلام[٢].

إذ أن يربعام[٣] كان قد تمرد على سليمان في حياته فلما هم سليمان بقتله هرب إلي مصر فاستقبله ملكها شيشق[٤] وظل مقيما بها إلي وفاة سليمان[٥].

---

(١) ملوك أول ١١: ١٤ – ٢٢ – ومما يذكر أن هدد هذا كان من أفراد الأسرة المالكة الأدومية، والأدوميون كما سيأتي ذكرهم هم من نسل عيسو بن إسحاق، ولا يزال اسم هذا الفرعون الذي استقبله مجهولا، وإن كان هناك من يحتمل أنه هو نفس الفرعون الذي زوج ابنته لسليمان (دريوتون وفانديه: مصر صـ ٥٧٦، سليم حسن: مصر القديمة جـ ٩ صـ ١٣٠، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم الجزء الأول: الكتاب الثاني صـ ٢٦٨، ويقول جاردنر إن هذه الأحداث مذكورة فقط في العهد القديم ولا يوجد تأييد يمكن الحصول عليه من الجانب المصري، ولكن المؤرخين لا يجدون أيضا مبرراً يمنع ذلك (د/ محمد أحمد حسن: مصر والعرب وإسرائيل صـ ١٩).

(٢) يذكر المؤرخون أن السياسة المصرية في الواقع كانت في ظاهرها تدل على المصافاة والود مع ملوك اليهود لكن الفراعنة لم يتركوا أية فرصة لإضعافهم وذلك بتشجيع كل محاولة للإنشقاق عليهم دريوتون وفانديه: مصر ترجمة عباس بيومي صـ ٥٧٦ – ٥٧٧ سليم حسن: مصر القديمة جـ ٩ صـ ١٣٣.

(٣) يربعام هو أول ملوك مملكة إسرائيل.

(٤) ورد اسم هذا الفرعون في التوراة "شيشق" ويكتب بالمصرية القديمة شيشنق أو شوشنق ويطلق عليه شيشنق الأول (٩٥٠ – ٩٢٩ ق. م) حيث إنه أول ملوك الأسرة الثانية والعشرين (٩٥٠ – ٧٣٠ ق. م) دريوتون وفانديه: مصر صـ ٥٧٤، مرجريت مري: مصر ومجدها الغابر صـ ١١٧، سليم حسن: مصر القديمة جـ ٩ صـ ١٠٩.

(٥) راجع ملوك أول ١١: ٢٦ – ٤٠.

وانخرط يربعام في سلك المصريين وتفاعل معهم حتى زوجه الفرعون إحدى بناته[١] وقيل إن أمه أيضا كانت مصرية[٢].

ولما كان المصريون ينتهزون كل فرصة لتنمية روح الانقسام بين حكام اليهود فلم تلبث الفرصة أن سنحت لهم عند موت سليمان فأوعزوا إلي يربعام أن يشق عصا الطاعة على رحبعام ويؤسس مملكة إسرائيل[٣].

ولم ينته الأمر عند هذا الحد، وإنما كانت مصر أول دولة خارجية تغزو مملكة الجنوب (يهوذا) فقد قام ملكها بتخريب مدن المملكة ونهب مدينة أورشليم واستولى على كنوز الهيكل والقصر، ورد في الأسفار "في السنة الخامسة للملك رحبعام صعد شيشق ملك مصر إلي أورشليم وأخذ خزائن بيت الرب، وخزائن بيت الملك، وأخذ كل شيء وأخذ جميع أتراس الذهب التي عملها سليمان"[٤].

ويبدو أن هذا الغزو كان بإيعاز من يربعام حتى يظهر قوته على منافسه رحبعام[٥].

وإذا كانت المصادر لم تذكر اشتباك شيشق مع يربعام فإن ذلك لا يمنع أن يكون

---

(١) د/ فيليب حتى: تاريخ سورية جـ ١ صـ ٢١٥ ويلاحظ أن سليمان كان قد تزوج بنت الفرعون السابق فلم يمنع ذلك من تزويج عدوه ومنافسه يربعام.

(٢) د/ محمد بيومي مهران: دراسات في تاريخ الشرق الجزء ٨ صـ ١٩٢ ناقلا عن مصدر أجنبي وذكرت كاترين هنري أن يربعام كنان صف مصري (التاريخ في الكتاب صـ ٦٠ – ٦٦).

(٣) دريوتون وفانديه: مصر صـ ٥٧٧، كاترين هنري: التاريخ في الكتاب صـ ٦٠ – ٦٦، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى جـ ١ ك ٢ صـ ٢٦٨.

(٤) ملوك أول ١٤: ٢٥ – ٢٧ راجع أخبار ثان ١٢: ٢ – ٤، ٩ – ١٠، وكان عدد أتراس الذهب مائتي ترس من ذهب مطرق، زنة الترس الواحدة تسعمائة شاقل من الذهب وثلاثة مائة مجن من ذهب مطرق خص المجن قثلاثة أمناء من الذهب (ملوك أول ١: ١٦ – ١٨)، ويذكر العلماء أن هناك نقشا تاريخيا قد أشار إلي هذه الغزوة وأن مصر قد عاشت – ما يقرب من قرنين على هذه الغنيمة التي حصل عليها الفرعون (د/ يوتون وفانديه: مصر صـ ٥٧٧ – ٥٧٨، مرجريت مري: مصر ومجدها الغابر صـ ١١٧).

(٥) يرى كل من سيسل روث وادولف لودز وهول أن يربعام قد استنجد بملك مصر لينتصر له على (رحبعام) نقلا عن د/ محمد بيومي مهران: دراسات في تاريخ الشرق الجزء ٨ صـ ٩٥٥.

قد فرض سيادته على مملكة إسرائيل لأن يربعام كان غرسته وصنيعته وأداة من أدواته[١].

يقول الدكتور أحمد فخري "وليس هناك شك في أن نجاح يربعام كان بسبب تأييد مصر ومناصرتها له، لهذا لا نعجب إذ ظل يربعام مواليا لها، ولا نعجب أيضا إذا كان رحبعام يعتقد أن مصائبه كلها أتت من مصر"[٢].

وقد ظل ولاء مملكة إسرائيل لمصر مستمرا حتى تسبب بطريق غير مباشر في القضاء عليها من الأشوريين جاء في سفر الملوك الثاني "ووجد ملك أشور في هوشع[٣] خيانة، لأنه أرسل رسلا إلي سوا ملك مصر، ولم يؤد جزية إلي ملك أشور .. فقبض عليه وأوثقه في السجن ... وفي السنة التاسعة لهوشع أخذ ملك آشور السامرة وسبي إسرائيل إلي أشور[٤].

وأما مملكة يهوذا فإنها قد اتجهت إلي مصر وتحالفت معها ضد الأشوريين بعد زوال مملكة إسرائيل، إذا استنصر بها حزقيا[٥] ضد ملك أشور فأرسل إليه من يقول له "والآن على من اتكلت حتى عصيت عليَّ، هوذا قد اتكلت على عكاز هذه القصبة المرضوضة، على مصر التي إذا توكأ أحد عليها دخلت في كفه وثقبتها هكذا هو فرعون ملك مصر لجميع المتكلين عليه"[٦].

---

(١) محمد عزة دروزة: تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم صـ ١٧٧.

(٢) مصر الفرعونية صـ ٣٩٨.

(٣) هوشع هو آخر ملوك مملكة إسرائيل.

(٤) ملوك ثان ١٧ – ١ – ٦ ولم تعرف شخصية هذا الفرعون (سوا) حتى الآن وهناك – اجتهادات كثيرة حول هذا الشأن، وكل ما يمكن قوله إن هذا الحدث يشير أنه من ملوك الأسرة الرابعة والعشرين (راجع د/ محمد مهران الجزء الثامن صـ ٩٤٠ – ٩٤٥ د/ محمد أحمد حسن: مصر والعرب وإسرائيل صـ ٢٣.

(٥) هو الملك الثاني عشر من ملوك يهوذا.

(٦) راجع ملوك ثان ١٨: ١٧ – ٢١ وقبل إن فرعون مصر في ذلك الوقت كان يسمى (شيتكو) ثم خلفه في مساعدة يهوذا خلفه (طهرقا) وكان من ملوك الأسرة الخامسة والعشرين (د/ أحمد فخري: مصر الفرعونية صـ ٤١٤ – ٤١٥).

وكان أشعيا[1] من معارضي سياسة التقرب من مصر والاعتماد عليها واعتبر ذلك جلبا للخزي والعار[2].

وكان من أثر هذه المعارضة أن مملكة يهوذا قد اتجهت إلي بابل، وحاول ملكها يوشيا[3] أن يتقرب إلي البابليين بالوقوف في وجه مصر ففي أثناء ملكة زحف فرعون مصر "نخو[4]" لينال من البابليين فتصدى له الملك يوشيا ولكنه انهزم أمامه وقتل في المعركة، فقام اليهود بتولية ابنه يهواحاز عوضا عنه، وبعد توليه بثلاثة شهور قام فرعون مصر بأسره وحمله معه إلى مصر حتى مات بها بعد أن عين أخاه الياقيم بن يوشيا بدلا منه وغير اسمه إلى يهو يا قيم، وصار تابعا مخلصاً له، وأصبحت مملكة يهوذا خاضعة للسيادة المصرية[5].

وسقوط مملكة يهوذا والهجرة الجماعية إلي مصر:

تمكن البابليون من هزيمة المصريين وأخضعوا مملكة يهوذا لسيطرتهم، ولكن المصريين قاموا بتحريض اليهود على التمرد والثورة ضدهم فأدى ذلك إلي سقوط المملكة وتدمير أورشليم[6].

---

(١) معنى أشعيا: الرب يخلص وهو اسم النبي الكبار الذي تنبأ في يهوذا في أيام عزيا ويوثام وآحاز وحزقيا – ملوك يهوذا – ويرجح أنه عاش إلى أن الثمانين من العمر، ويعتبر أعظم أنبياء العهد القديم قاطبة (راجع الحديث عنه بالتفصيل في قاموس الكتاب المقدس صـ ٨١ – ٨٢).

(٢) ومن أقوال أشعيا على لسان يهوه "ويل للنبيين المتمردين – الذين يذهبون لينزلوا إلي مصر ولم يسألوا فمي ليلتجئوا إلي حصن فرعون ويحتموا بظل مصر، فيصير لكم حصن فرعون خجلا والآحتماء بظل مصر خزيا، فإن مصر تعين باطلا وعبثا (اشعياء ٣٠: ١ – ٧ راجع ٣١: ١ – ٣).

(٣) يوشيا: هو الملك الخامس عشر من ملوك يهوذا.

(٤) نخو هو ابن بسمتيك الأول – ويسمى "نكاو الثاني" (٦٠٩ – ٥٩٤ ق. م) وهو أحد ملوك الأسرة السادسة والعشرين (٦٦٣ – ٥٢٥ ق. م) وكان هذا الزحف من أوائل أعماله التي قام بها (دريوتون وفانديه: مصر صـ ٦٤٧ مرجريت ماري: مصر ومجدها الغابر صـ ١٢٥، د/ أحمد فخري: مصر الفرعونية صـ٤١٨، ٤٢٤).

(٥) راجع ملوك ثان ٢٣: ٢٩ – ٣٥، أخبار ثان ٣٥: ٢٠ – ٢٥ / ٣٦ : ١ – ٤.

(٦) أوقع نبوخذ مصر ملك بابل الهزيمة بالفرعون نخاو الثاني في موقعة قرقميش عام ٦٠٥ ق. م وأجلاه عن فلسطين، ولما ثارت عليه مملكة يهوذا عام ٥٩٧ق. م تمكن من إخماد ثورتهم فعادت إلي الثورة مرة ثانية (٨٨٥ – ٥٨٦ ق. م) مؤملة أن يسارع ملك مصر "ابريس" (من ملوك الأسرة السادسة والعشرين) وهو خفرع في التوراة (٥٨٩ – ٥٦٩) إلي نجدتها ولكن ملك بابل سارع إلى إخماد الثورة وتدمير أورشليم تدميراً شاملا، وكان في يهوذا في ذلك الوقت (٥٨٨ – ٥٨٦) حزبان أحدهما يميل إلي مناصرة مصر وملكها "وكانت لا تزال تداعب أحلام هذا الحزب ذكريات اليهود =

وحين حدث ذلك فزع كثير من اليهود وفروا إلي مصر خوفاً من بطش البابليين[١] غير مبالين بتحذير نبيهم ارميا[٢] وتوعده لهم بالهلاك إن هم نزحوا إليها[٣] ويبدو – أنه قد اضطر هو أيضا إلي أن ينضم إليهم ويلوذ بالفرار معهم[٤].

وفتحت مصر صدرها لهؤلاء المهاجرين، فرحب بهم ملكها، ومد لهم حبل الإقامة[٥].

= السعيدة عن مصر أرض الخصب والرخاء "وكان الحزب الآخر يري الرضوخ للبابليين (راجع ارميا ٢٨ : ١ / ٣٧ : ١ – ٥ / ٤٤ : ٣٠ / ٤٦ : ١ – ٢ راجع أيضا مرجريت ماري: مصر ومجدها الغابر صـ ١٢٦ د/ مصطفي عبد العليم: اليهود في مصر في عصري البطالمة والرومان مع مقدمة عن مصر في العصر الفرعوني صـ ٤ د/ صالح: مصر والعراق صـ ٣٠٦.

(١) جاء في سفر الملوك الثاني أن الذين نجوا من السبي البابلي وبقوا في أورشليم قتلوا من ولاه البابليون عليهم "فقام جميع الشعب من الصغير إلي الكبير ورؤساء الجيوش وجاءوا إلى مصر لأنهم خافوا من الكلدانيين (راجع ٢٥ / ٢٥ – ٢٦).

(٢) ارميا: ومعناه الرب يؤسس أو الرب يثبت وهو ابن خلقيا الكاهن وأحد الأنبياء الكبار ويطلق عليه النبي العظيم وقد تنبأ في عهد يوشيا وصدقيا وعاصر أحداث السبي البابلي وكان متهما بموالاة البابليين (راجع سفر ارميا لاصحاحات الأولى وراجع قاموس الكتاب المقدس صـ ٥٢ – ٥٣).

(٣) أخذ الشعب يلح على ارميا ويرجوه أن يسأل الرب حتى يسمح لهم بالفرار إلي مصر ولكن ارميا أخبرهم بأن الرب يعارض الفرار إلي مصر وأنذرهم بالهلاك والموت إن هم عصوا أمره ولكنهم رموه بالكذب واتهموه بالخيانة ونزحوا إلي مصر في هجرة جماعية (راجع ارميا ٤٢: ١ – ٢٢، / ٤٣ : ١ – ٧).

(٤) راجع ارميا ٤٣: ٨ – ١٣. صموئيل شولتز: العهد القديم يتكلم صـ ٤٦٥، بريستيد العصور القديمة صـ ٢٣١.

(٥) لقد صادف قدوم اليهود إلي مصر قبولا لدى ملوك العصر الصاوي – ومنهم ابريس (الذي رحب بهم) – إذ كانوا يشجعون الأجانب على المجئ إلي مصر للاشتغال بالتجارة والجندية، وقبل ابريس استخدم الملك بسماتيك الأول (٦٦٤ – ٦٠ ق. م) كثيراً من اليهود جندا مرتزقة، وكذلك بسماتيك الثاني (٥٩٣ – ٥٨٩ ق. م) كاترين هنري: التاريخ في الكتاب صـ ٩٨ – ٩٩. د/ إبراهيم نصحي: تاريخ مصر في عصر البطالمة الجزء الثاني صـ ١٤٩ طبع ونشر مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ١٩٨١م، د/ مصطفي كمال عبد العليم : اليهود في مصر في عصري البطالمة والرومان صـ ٥ – ٦، وقد جاء في سفر ارميا "الكلمة التي صارت إلي ارميا من جهة كل اليهود الساكنين في أرض مصر، الساكنين في مجدل وفي تحفنحيس وفي نوف وفي أرض فتروس .. ارميا ٤٤: ١، ويدل تشعب هذه الأماكن على وجود كثير من اليهود في مصر من قبل عصر النبي ارميا، بالإضافة إلي أننا نجد في ارميا ٢٤ : ٨ إشارة واضحة إلي وجود جماعات من أورشليم سكنت أرض مصر في عصر "صدقيا – ملك يهوذا" راجع د/ مصطفي عبد العليم: اليهود في مصر صـ ٣، محمد على هواري الألوهية عند بني إسرائيل صـ ٤٢١ – ٤٢٢.

كما رأينا، وكما – حدثتنا المصادر القديمة فإن اليهود قد انتشروا في العصر الصاوي[١] وبعده في مختلف أنحاء مصر، وأنشأوا عددا من الجاليات اليهودية بها وكانت جزيرة الفينيتين (أسوان) [٢] من أهم وأشهر المناطق التي استقرت بها هذه الجاليات.

وترجع أهمية وشهرة هذه المنطقة إلي ما عثر فيها من البرديات والوثائق الآرامية[٣].

وقد سميت هذه الوثائق وتلك البرديات بالآرامية، لأن اليهود في هذه الجزيرة قد اتصلوا بالآراميين اتصالا وثيقا، واختلطوا بهم اختلاطا شديدا حتى صار من المتعذر التفرقة بين الآراميين واليهود.

---

(١) ينسب هذا العصر إلي اسم عاصمته (صا الحجر) على فرع رشيد في غرب الدلتا وذكرت في النصوص المصرية باسم "صاو" وعاشت في هذا العصر الأسرة السادسة والعشرون (د/ عبد العزيز صالح: مصر والعراق صـ ٣٠٠).

(٢) تقع جزيرة الفينتين والمعروفة الآن باسم جزيرة أسوان على بعد يقل عن ستة أميال من الشلال الأول مقابل مدينة أسوان الحالية عبر النهر،ويعني اسمها في اللغة المصرية القديمة "فيل" والذي انتقل إلي اليونانية تحت اسم "اليفانتيين" ولذلك فإنها تسمى جزيزة الفيلة، وقد ذكرت أسوان في سفر – حزقيال ٢٩ : ١٠ / ٣٠: ٦، راجع بريستيد: العصور القديمة صـ ٢٣١، قاموس الكتاب المقدس صـ ٧٦، د/ مصطفي عبد العليم: اليهود في مصر صـ ٦، د/ مهران: الجزء ٨ صـ ١٠٨٤.

(٣) اكتشفت هذه البرديات وتلك الوثائق عام ١٩٠٣ وهي ترجع إلي القرن الخامس ق. م. وتعطينا صورة واضحة مفصلة عن حياة الجالية اليهودية في اليفتين من كافة النواحي الدينية والاجتماعية والقانونية والاقتصادية، كما أنها تمدنا ببعض المعلومات الأخرى عن أماكن أخرى استقر بها اليهود وذلك بفضل الرسائل التي كان أولئك اليهود يتبادلونها مع إخوانهم في اليفنتين، وفضلا عن ذلك فإن هذه البرديات تعتبر بمثابة سجل حافل بالأحداث التاريخية التي كانت اليفنتين بل مصر كلها إلي حد ما مسرحا لها في العصر الفارسي (٥٢٥ – ٣٣٢ ق. م) ويضم الأسر من ٢٧ – ٣١.

وقد كتب عن هذه الوثائق الدكتور مراد كامل تحت عنوان "النصوص الآرامية التي كشفت حديثا في مصر في مجلة أحاديث الثلاثاء بدار – السلام القاهرة ١٩٥٢م (راجع د/ مصطفي عبد العليم: اليهود في مصر صـ ٦ – ٧ بريستيد: العصور القديمة صـ ٢٣١، د/ عبد العزيز صالح: مصر والعراق صـ ٣١٧.

ولذلك فقد أطلق العلماء عند الحديث عنهم تسمية الجالية الآرامية اليهودية[١].

هذا وقد تعددت وجهات النظر في ظروف اتجاه هذه الجالية أو تلك الحامية اليهودية إلي أسوان، وتوقيت بداية سكناها فيها وانضمامه إلي معسكراتها[٢].

وإن كانت الآراء تكاد تتفق على أن يهود اليفنتين كانوا من سلالة الجند المرتزقة الذين عملوا في جيش بسماتيك الثاني أو من سلالة الذين نجوا من السبي البابلي بعد تدمير هيكل أورشليم عام ٥٨٦ ق. م[٣].

ولما كانت إحدى الوثائق الآرامية التي عليها في اليفنتين تشير إلي أن المعبد الذي أقامته الجالية اليهودية يرجع إلي عهد ملوك مصر فإن الرأي السائد اليوم هو أن قيام تلك الجالية يرجع إلي ما قبل الفتح الفارسي لمصر عام ٥٢٥ ق. م[٤].

---

(١) قدم الدكتور بولس عياد دراسة عن الآراميين في مصر وذكر فيها أن كلا من الآراميين واليهود قد نزحوا إلي مصر في وقت متقارب واستقروا في القرنين السادس والخامس ق. م وذكر أن من المتعذر التفرقة بينهم لأسباب كثيرة عدد منها ثلاثة عشر سببا، وكلها توضح اختلاط الأسماء الآرامية باليهودية، وأن اليهود قد تأرموا وأن كلا منهم قد استخدم اللغة الآرامية بعد أن صارت الآرامية لغة دولية، وأنهم عبدوا الآلهة الوثنية المصرية وحدث بينهم تزاوج واختلاط (راجع كتاب الآراميون في مصر صـ ٢٦ – ٣٢، راجع أيضاً د/ صالح: مصر والعراق صـ ٣٢٠.

(٢) ظهرت نظريات متعددة تشير إلي بداية تكوين الحامية اليهودية في اليفتين بلغت حوالي سبع نظريات، وقد ربطت بعضها بين لجوء اليهود إلي مصر وبين أحداث التاريخ اليهودي على فلسطين خلال القرنين السابع والسادس ق. م، والتفتت نظريات أخرى – إلي أحداث مصر نفسها ودواعي اجتذاب بعض اليهود إلي حدودها الجنوبية.

ونستطيع القول بأن غالبية هذه الآراء تكون أقرب إلي الدقة، إذ اعتبرناها إشارات إلي الفترات التي شهدت هجرات يهودية متتالية إلي أرض مصر بشكل عام.

راجع/ عبد العزيز صالح: مصر والعراق صـ ٣١٧ – ٣١٨، د/ يولس عياد: الآراميون في مصر صـ ٣٨ – ٤٠، د/ محمد بيومي مهران: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم الجزء الثامن صـ ١٠٧٨ – ١٠٨٥، محمد على حسن هواري: الألوهية عند بني إسرائيل رسالة دكتوراه بجامعة عين شمس صـ ٤٥٥ – ٤٥٩.

(٣) د/ مصطفي عبد العليم: اليهود في مصر في عصري البطالمة والرومان صـ ٧.

(٤) أي إلي أوائل القرن السابع وأوائل القرن السادس ق. م راجع د/ إبراهيم نصحى فى:- تاريخ مصر في عهد البطالمة الجزء الثاني صـ ١٥٠، د/ مصطفي عبد العليم صـ ٨.

كما يستنتج من النظريات المتعددة التي عرضها العلماء أن تكوين هذه الحامية يرجع إلي عهد الأسرة السادسة والعشرين المصرية، وأنها استمرت طوال الأسرة السابعة والعشرين الفارسية[1].

obeikandl.com

(١) د/ بولس عياد: الآراميون في مصر صـ ٤٠.

المبحث الثاني: اتصال اليهود بشعوب فلسطين

أرض فلسطين وأهميتها التاريخية:

تقع أرض فلسطين في الجزء الجنوبي من بلاد سورية القديمة[١]، وقد اشتق لفظ فلسطين من اسم الفلسطينيين، إذ أطلق أولاً على الجزء الجنوبي الغربي الذي كان يسكنه هؤلاء الفلسطينيون.

ومنذ القرن الثاني عشر ق. م أطلق اليونانيون اسم فلسطين على كل المنطقة التي كانت تسمى قبل ذلك بأرض كنعان[٢].

وكانت فلسطين – بهذا الموقع – تتمتع بأهمية كبيرة من جميع النواحي: سياسية واقتصادية، وثقافية، فهي من الناحية السياسية – فيما يذكر بريستيد – كانت هدفاً دولياً[٣] إذ أن – موقعها جعلها معتركا حربيا فتبارت على أرضها جيوش الأمم المحيطة تتقاتل وتتطاحن[٤] حتى غدت ميدانا للتطاحن العالمي – كما يقول روبنسون – فليس هناك على سطح الأرض – بقعة اقتتلت فيها الدول العظمى كما اقتتلت في فلسطين[٥].

---

(١) يمتد هذا الجزء بين البحر المتوسط والصحراء السورية من جبل حرمون حتى نهاية – البحر الميت من الجنوب (موسوعة تاريخ العالم جـ ١ صـ ٦٤ نجر).

(٢) راجع المصدر السابق، د/ فيليب حتى: تاريخ لبنان صـ ٨٢، د/ ثروت أنيس الأسيوطي: نظام الأسرة بين الاقتصاد والدين – بنو إسرائيل صـ ١٢٣، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى جـ ٣ صـ ١٥٤ – ١٥٥، راجع بالتفصيل قاموس الكتاب المقدس صـ ٦٨٥ – ٦٨٧.

(٣) فجر الضمير صـ ٣٧٣.

(٤) العصور القديمة صـ ٢٢١.

(٥) إسرائيل في ضوء التاريخ صـ ١٠٢ – ١٠٣ ترجمة د/ عبد الحميد يونس من المجلد الثاني من كتاب تاريخ العالم نشرجون هامرتون.

obeikandi.com

وقد أثر ذلك بدوره على اليهود بعد دخولهم أرضها ومحاولة استقرارهم في جزء منها.

يقول ول ديورانت "كان من حسن حظ فلسطين أو من سوء حظها أن تقع بين عواصم النيل وعواصم دجلة والفرات، وهذا الموقع قد جاء إلي هذه البلاد بالتجارة كما جاءها بالحرب. وكم من مرة ضيق على اليهود فلم يجدوا مخرجاً من ضيقهم إلا بالانضمام إلي الطرفين في الصراع القائم بين الإمبراطوريات الكبرى أو بأداء الجزية عن يد وهم صاغرون، وكم من مرة اجتاح المصطرعون بلادهم وكان من وراء التوراة، ومن وراء صراخ أصحاب المزامير والأنبياء وعويلهم وطلبهم الغوث من رب السماء، كان من وراء هذا كله موقع اليهود التي تتهدده الأخطار بين شقي الرحي من فوقهم دول أرض الجزيرة ومن تحتهم مصر[١].

ومن الناحية الاقتصادية فقد كانت فلسطين فيما يرى المؤرخون أعظم سوق دولية وأكبر مركز تجاري عالمي[٢].

وأما من الناحية الثقافية فقد امتزجت في فلسطين مدنيات مصر وبابل وفينيقية وبلاد ايجه وآسيا الصغرى على أسلوب لا مثيل له في الشرق القديم[٣].

شعوب فلسطين:

يقول أولبرايت "كما كانت فلسطين معبراً بين القارات، كان أهلها دائماً خليطاً، ولا يحتمل البتة وجود فترة ما منذ بداية العصر الحجري القديم إلا مثلت فيها بفلسطين فصائل مختلفة من النماذج البشرية واللغات المتنوعة[٤].

---

(١) قصة الحضارة مجلد ١ جـ ٢ صـ ٣٢١، ٣٢٢.

(٢) روبنسون: إسرائيل في ضوء التاريخ صـ ١٠٤، بريستيد: العصور القديمة صـ ٢٢٠ – ٢٢١ د/ فؤاد حسنين على: فلسطين العربية صـ ١٦ معهد البحوث والدراسات العربية قسم البحوث والدراسات الفلسطينية ١٩٧٣.

(٣) بريستيد: العصور القديمة صـ ٢٢١ فجر الضمير صـ ٣٧٣.

(٤) آثار فلسطين صـ ١٦٩.

obeikandl.com

وطوال العصور التاريخية أخذت أجناس شتى تستقر في فلسطين تضم عناصر سامية وعناصر أخرى غير سامية[١].

فمن العناصر السامية كان يوجد الكنعانيون والأموريون والآراميون، وبجانبهم كوكبة أخرى من القبائل السامية الصغرى كالأدوميين والمؤابيين والعمونيين.

ومن العناصر غير السامية كان يوجد الحثيون والفلسطينيون[٢].

وعلى ذلك فإن الإسرائيليين حينما دخلوا أرض فلسطين – في عصر يشوع وحاولوا الاستقرار بها في عصر القضاة، وكونوا مملكتهم الموحدة والتي انقسمت بعد ذلك – لم يكونوا من سكانها الأصليين وإنما طرأوا على هذه الشعوب السامية وغير السامية، واختلطوا بهم، وحدث بينهم صراع طويل انتهي إلي الفناء فيهم والامتزاج بهم، وكما يذكر سفر القضاة فسكنوا في وسطهم واتخذوا بناتهم لأنفسهم نساء وأعطوا بناتهم لبنيهم وعبدوا آلهتهم"[٣].

وكما يقول روبنسون "إن كل من استقر في هذه البلاد من الغزاة قد خلط دمه بدم هذا الشعب الخليط[٤].

أولا: العناصر السامية:

ومن العناصر السامية التي كونت شعوب فلسطين يعتبر الكنعانيون هم أقدم وأول من أقام بأرض فلسطين[٥].

---

(١) المصدر السابق صـ ١٧٤، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى جـ ٣ صـ ١٤٦ – ١٤٧.

(٢) راجع الأب ديلي: تاريخ شعب العهد القديم صـ ١٨٣، ١٨٥، لانجر: موسوعة تاريخ العالم جـ ١ صـ ٦٤، د/ فؤاد حسنين: إسرائيل عبر التاريخ صـ ٦٨، د/ جمال حمدان/ اليهود انثروبولوجيا صـ ١٠، وقد ذكر سفر القضاة أن هؤلاء الأمم قد تركهم الرب في البلاد ليمتحن بهم بني إسرائيل فسكنوا في وسطهم (قضاة ٣ : ١ – ٥).

(٣) قضاة ٣ : ٥ – ٦.

(٤) إسرائيل في ضوء التاريخ صـ ١٠٢.

(٥) راجع د/ فؤاد حسنين على: إسرائيل عبر التاريخ صـ ٦٨، د/ أحمد سوسة: مفصل العرب واليهود في التاريخ صـ ١١١ وزارة الثقافة والإعلام العراق دار الرشيد بغداد ١٩٨١.

١ـ اتصال اليهود بالكنعانيين:

الكنعانيون في نظر التوراة:

ينسب كتبة التوراة الكنعانيين إلى كنعان بن حام بن نوح[١] وقد تسني لهم أن يستبعدوا كنعان هذا من رحاب الأسرة النوحية بذلك الفصل الهازل الذي ختموا به سيرة أبيه ولونوا فيه اسم ذل النبي الجليل[٢].

هجرة الخليل إبراهيم إلي كنعان:

يذكر سفر التكوين أن الرب أمر إبراهيم أن يخرج من أرض حاران إلي أرض كنعان فذهب إليها بصحبة لوط ابن أخيه، وساراي امرأته، وهناك التقى بالكنعانيين[٣].

ثم حدث أن ارتحل إلي مصر[٤] ولما خرج منها عاد إلي كنعان مرة أخرى وهناك أطلق عليه لقب العبراني[٥].

وقد اختلف العلماء في تاريخ هذه الرحلة، وإن كانوا يرجحون أنها تمت في القرن التاسع عشر ق. م[٦].

---

(١) "وبنوحام: كوش ومصرايم وفوط وكنعان" راجع تكوين ١٠: ٦ أخبار الأيام الأول : ١ : ٨.

(٢) ورد في سفر التكوين أن نوحا شرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجا، فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما، ومشيا إلي الوراء وسترا عورة أبيهما ووجهاهما إلي الوراء، فلم يبصرا عورة أبيهما، فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير فقال ملعون كنعان، عبد العبيد يكون لإخوته وقال مبارك الرب إله سام وليكن كنعان عبداً لهم، ليفتح الله ليافث فيسكن في مساكن سام وليكن كنعان عبداً لهم (تكوين ٩ : ٢١ – ٢٧) ولا يخفي أن هذا الزعم وذلك التلفيق قد وضعا بعد غزوة كنعان حتى يتسني للإسرائيليين تبرير استيلائهم على الكنعانيين ومحاولة النيل منهم، وإلا فما ذنب كنعان وأبوه هو الذي كشف عورة أبيه كما يزعمون، وما ذنب نوح أيضا حتى يظهروه في ثوب السكير العربيد، ولمزيد من التفصيلات حول هذا الموضوع راجع عصام الدين حفني ناصف: محنة التوراة على أيدي اليهود صـ ١٤ – ١٥.

(٣) تكوين ١٢ : ١ – ٦.

(٤) تكوين ١٢ : ١٤ – ٢٠.

(٥) راجع تكوين ١٣ : ١ – ١٢ / ١٤ : ١٣.

(٦) يذكر ول ديورانت أن رحلة الخليل إلي كنعان كانت حوالي ٢٢٠٠ ق. م (قصة الحضارة مجلد ١ جـ ٢ – ٣٢٤، وهناك من يذهب إلي أنها تمت حوالي ١٧٥٠ ق. م (د/ أحمد شلبي: اليهودية صـ ٥٠ سلسلة مقارنة الأديان الطبعة الخامسة ١٩٧٨) والأرجح أنها تمت في منتصف القرن التاسع عشر أي حوالي ١٨٥٠ ق. م أو قبل ذلك بقليل (راجع صموئيل شولتز : العهد القديم يتكلم صـ ٤٠، جورج رو: العراق القديم صـ ٣٢٢ – ٢٢٣.

obeikandl.com

التحذير من الزواج بالكنعانيات:

وبالرغم من إقامة إبراهيم في كنعان ومعاشرته للكنعانيين إلا أنه يرفض – فيما روى سفر التكوين – أن يتزوج ابنه إسحاق من بناتهم[١] واعتبرت التوراة أرض كنعان أرض غربة له ولبنيه[٢].

وكذلك فعل إسحاق إذ دعا ابنه يعقوب وأوصاه أن لا يأخذ زوجة من بنات كنعان[٣] لأنهن شريرات في عينه[٤].

هجرة يعقوب إلي كنعان:

يقص سفر التكوين أن يعقوب بعد أن استقر في فدان أرام وتزوج وأنجب[٥] هاجر إلي أرض كنعان هو وأسرته، وأقاموا في مدينة شكيم[٦].

وهناك وقعت حادثة اغتصاب لابنته دينة من ابن رئيس شكيم[٧] وظل يعقوب وبنوه في كنعان حتى هاجروا منها إلي مصر[٨] وكان ذلك كما سبق أن أشرت في منتصف القرن السابع عشر.

---

(١) "وقال إبراهيم لعبده وكبير بيته ..... فأستحلفك بالرب إله السماء وإله الأرض أن لا تأخذ زوجة لا بني من بنات الكنعانيين الذي أنا ساكن بينهم بل إلي أرضي وإلي عشيرتي تذهب وتأخذ زوجة لابني إسحاق" تكوين ٢٤ : ٢ – ٤ راجع تكوين ٢٤ : ٢٧ – ٤١.

(٢) تكوين ٣٥ : ٢٧/ ٣٧: ١.

(٣) تكوين ٢٨: ١.

(٤) تكوين ٢٨: ٧ – ٨.

(٥) راجع الإصحاحات ٢٩، ٣٠، ٣١.

(٦) تكوين ٣٣: ١٨ ومدينة شكيم التي هي نابلس الآن تقع شمال أورشليم جنوب شرقي السامرة. (راجع قاموس الكتاب المقدس صـ ٥١٤ – ٥١٥)

(٧) يذكر سفر التكوين أن دينه بنت يعقوب خرجت لتنظر بنات الأرض، فرآها شكيم بن حمور الحوي رئيس الأرض وأخذها واضطجع معها وأذلها، ثم تعلقت نفسه بها، فأراد أن يتزوجها فذهب أبوه إلي يعقوب وعرض عليه الزواج منها فرفض يعقوب وإخوانها وقالوا إنه نجس دينة وهو أغلف فسيكون زواجه عاراً لنا، ثم وافقوا بعد أن اختتن شكيم وقومه، ولكن حدث – أن شمعون ولاوي ابني يعقوب هجما على مدينة شكيم وقتلا كل ذكر وقتلا حمور وشكيم ابنه، وأخذا أختهما دينة، ثم جاء إخوتهم معهم ونهبوا كل ما في المدينة (راجع الإصحاح الرابع والثلاثين).

(٨) تكوين ٣٧: ١/ ٤٥ : ١٧ – ١٨، ٢٥ – ٢٨ / ٤٦: ١ – ٧.

obeikandi.com

موسي وأرض كنعان:

يذكر سفر العدد أن موسي أرسل رجالا ليتجسسوا أرض كنعان، وطلب منهم أن يقدموا له تقريراً مفصلا عن أرض كنعان وعن الشعب الساكن بها[١] وعاد هؤلاء الرجال بعد أربعين يوما وقالوا إن الأرض تفيض لبنا وعسلا، ولكنهم ذكروا أن الشعب الساكن بها معتز وأن مدنها محصنة تحصينا عظيما[٢]، فأحدث ذلك التقرير تذمراً عاما بين الشعب، ورفضا كاملا لتعاليم موسي[٣]، فكان أن عاقبهم الرب وبدأت مرحلة التيه[٤].

وتذكر الأسفار أن موسي حاول بعد ذلك الدخول إلي أرض كمعان ولكن محاولاته باءت بالفشل[٥]، أو أن الرب – في زعمهم – قد غضب عليه فحرمه من دخولها، وسمح له فقط بالنظر إليها من بعيد قبل أن يموت[٦].

ولكن إذا كان موسي لم يتمكن من دخول أرض كنعان فإنه – كما زعمت التوراة الحالية – وضع للإسرائيليين خطة لغزوها وأعد لهم نظاما لتقسيمها[٧].

يشوع وأرض كنعان:

كلف الرب يشوع بن نون أن يقود الشعب للدخول في أرض كنعان[٨] فوضع نصب عينيه تلك الخطة التي وضعها موسي – حسب زعم التوراة –[٩] وجاهد في

---

(١) عدد ١٣ : ١ – ٢٠.

(٢) عدد ١٣ : ٢١ – ٣٣.

(٣) عدد ١٤ : ١ – ٤.

(٤) تفصيل الحديث عن مرحلة التيه في الباب الثاني في الفصل الخاص بفترات الاضطهاد – والتيه التي تعرض لها اليهود.

(٥) عدد ٢٠ : ١٤ – ٢٩، وراجع أيضاً الإصحاحات ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤ من نفس السفر.

(٦) تثنية ٣٣ : ٤٨ – ٢٥ / ٣٤ : ١ – ٦.

(٧) راجع الإصحاحات ٣٤، ٣٥، ٣٦ من سفر العدد.

(٨) يشوع ١ : ١ – ٧.

(٩) راجع الإصحاح السابع من سفر التثنية، والخطة كما يقول محمد عزة دروزة – توجيه نحو العدوان المباشر الهادف إلي إبادة السكان في غرب الأردن والحلول محلهم بذريعة أنهم مشركون دونما اعذار أو إنذار ولا دعوة إلي سلم أو توحيد مما لم يكد التاريخ يسجل مثيلها في الوحشية والقسوة (تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم صـ ١٠٠ – ١٠١).

obeikandi.com

تنفيذها رغم ما تحتوى عليه من قسوة ووحشية فبدأ بابادة مدينة أريحا[١] واستمر في حروبه ضد الكنعانيين حتى سقطت في يده أحدى وثلاثون إمارة لهم[٢]، ثم شرع على أثر ذلك في توزيع أسباط بني إسرائيل على الأرض المحتلة[٣]، وهو توزيع استمر مائعاً غامض الحدود إلي عهد المملكة اليهودية بعد ذلك بنحو قرنين ونصف من الزمان[٤].

وهكذا يصور لنا سفر يشوع أن الإسرائيليين بقيادة يوشع قد تملكوا كل أرض كنعان وسيطروا على جميع الساكنين بها[٥].

ولا شك أن هذا نوع من المبالغة والتزيد، أدى بكتبة السفر إلي الوقوع في

---

(١) أريحا: معناها مدينة القمر أو مكان الروائح العطرية وهي مدينة ذات أهمية عظمي تقع على مسافة خمسة أميال غربي نهر الأردن وعلى مسافة سبعة عشر ميلا شمال شرقي أورشليم وأريحا التي ورد ذكرها في العهد القديم موضعها الآن تل السلطان الذي يقع على بعد مسافة ميل من مدينة أريحا الحديثة التي تدعى الآن "الريحا" (قاموس الكتاب المقدس صـ ٥٨) وأريحا هي أول مدينة غزاها يشوع فكان المحاربون يطوفون حولها مرة كل يوم على مدى ستة أيام، وفي اليوم السابع طافوا حوله سبع مرات وضرب الكهنة بالأبواق فسقطت أسوارها وأحرقوها وحرموا ما بها وقتلوا كل من فيها سوى راحاب الزانية التي خانت قومها وكذا بيت أبيها وأسكنوها في وسط إسرائيل لأنها خبأت الجواسيس الذين كانوا قد أرسلهم يشوع للتجسس.
(راجع يشوع الإصحاحات ٢ – ٦. د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى جـ ٣ صـ ١٧٩ ٢٨٠ قاموس الكتاب المقدس صـ ٥٨ – ٥٩.

(٢) يشوع ١٢ : ٧ – ٢٤.

(٣) قام يشوع بتوزيع الأرض التي اغتصبها على أسباط بني إسرائيل ما عدا سبط رأوبين وسبط جاد ونصف سبط منسي الذين سبق لهم أن أخذوا نصيبهم في الأرض التي اغتصبها الإسرائيليون بقيادة موسي شرقي الأردن وفي الأسفار تفصيل كامل لتوزيع هذه الأنصبة
(راجع سفر يشوع ١٣ : ١٥ – ٣٣/ ١٤/ ١٥/ ١٦/ ١٧، صموئيل شولتز: العهد القديم يتكلم صـ ١٣٢ – ١٣٣، ل. توماس هولد كروفت: الأسفار التاريخية تعريب: أديبة شكري يعقوب دار الجيل للطباعة القاهرة من الدراسات الكتابية للكنيسة الرسولية ١٩٨٥، زكي شنودة : اليهود صـ ٥٤ – ٥٨.

(٤) د/ حسن ظاظا: الساميون ولغاتهم صـ ٧٩ – ٨٠.

(٥) راجع أيضا يشوع ١١٢: ٢٣ فأخذ يشوع كل الأرض حسب كل ما كلم به الرب موسي وأعطاها يشوع ملكا لإسرائيل حسب فرقهم وأسباطهم واستراحت الأرض من الحرب.

التناقض، فهذه الصورة من الغزو العريض التي يرسمها السفر يوجد بين إصحاحاته ما يقضي على صحتها[١].

بالإضافة إلي ما ورد في الأسفار لتالية وخاصة سفر القضاة[٢] الذي يستدل منه على أن الإسرائيليين لم يسيطروا على أرض كنعان وأنهم لم يبيدوا الكنعانيين كما زعم كاتب سفر يشوع[٣].

ويرجع الدكتور نجيب ميخائيل الخلط الذي وقع فيه هذا الكاتب إلي أن السفر كتب خلال الأسر البابلي، وأن ما يرويه على أنه تم في خمس سنوات قد استغرق قرنين ونصف من الزمان ليكتمل حدوثه فعلا، ذلك أن الإخضاع الكامل لكنعان لم يحدث إلا في عهد سليمان[٤].

ولعل في بعد الشقة ما بين الأحداث وتسجيلها ما يشفع في هذا الخلط بل ما يشفع في المغالاة والتفاخر بما ارتكب من مجازر لم يكن لها من أساس إلا في أذهان مؤلفيها الذين شهدوها في بربرية الأشوريين والبابليين فخيل إليهم أن أسلافهم مارسوا نفس – اللون من القهر والإذلال[٥] ولذلك فإن المؤرخين يؤيدون ما ورد

---

(١) على سبيل المثال ورد في الإصحاح الثالث عشر "وشاخ يشوع فقال له الرب أنت قد شخت ..... وقد بقيت أرض كثيرة جدا للامتلاك هذه هي الأرض الباقية راجع ١٣ : ١ – ٤، راجع أيضا ١٣: ١٣. ١٥ : ١٦/٦٣ : ١٠/١٧ : ١١ – ١٣ مما يثبت أن سكان أرض كنعان من الكنعانيين ظلوا في أماكنهم، وأن الإسرائيليين أقاموا في وسطهم، وأن أورشليم مثلا لم يتم الإستيلاء عليها إلا في عهد داود عليه السلام – (أخبار الأيام الأول ١١ : ٤ – ٨).

(٢) ورد في الإصحاح الأول من سفر القضاة أن بني إسرائيل سألوا الرب من يصعد إلي الكنعانيين لمحاربتهم (١ : ١ – ٧) وأن سبط بنيامين لم يطرد اليبوسيين سكان – أورشليم وأقاموا بينهم (١ : ٢١)، وأن سبط افرايم لم يطرد الكناعنيين الساكنين في جازر فسكن الكنعانيون في وسطهم (١: ٢٩) وسكن الكنعانيون في وسط سبط زبولون (١ : ٣١) وكذلك الأشيريون (سبط أشير) سكنوا في وسط الكنعانيين سكان الأرض لأنهم لم يطردوهم وسبط نفتالي سكن أيضا في وسط الكنعانيين وغيرهم من الشعوب واتخذوا بناتهم لأنفسهم نساء وأعطوا بناتهم لبنيهم وعبدوا آلهتهم (٣ : ٥ – ٦).

(٣) يشوع ٣ : ١٠/ ٦ : ٢١– ٢٤/ ٨ : ٢٦/ ١٠ : ٢٦ – ٣٣/ ١١ : ٦ – ٢٣.

(٤) د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق جـ ٣ صـ ٢٨٣ – ٢٨٤.

(٥) المصدر السابق صـ ٢٨٤، ويتضح من مضمون سفر يشوع أن المعلومات التاريخية الواردة فيه من تخيلات أمة تضفي على شخصية من الشخصيات بطولة لم يحلم هوبها مقلدة في ذلك الشعوب التي عاشت بينها، فلم يكن لدى بني إسرائيل بعد فترة التيه الاستعداد النفسي ولا العتاد الحربي لمحاربة مدن محصنة تحصينا كاملا.

في سفر القضاة، ويذكرون أن الإسرائيليين حينما دخلوا أرض فلسطين وجدوا الكنعانيين يقيمون في مدن محصنة تطوقها الأسواق الضخمة فلم يستطيعوا أن يفتتحوا منها إلا المدن الضعيفة[١] وأن أسباطهم لم يسيطروا إلا على الجبال والتلال والأراضي الفقيرة، وأن الكنعانيين بقوا في السهول الغنية يقفون لهم بالمرصاد ويحولون دون تقدمهم[٢].

وأن القبائل الإسرائيلية بدأت في التسرب بين الكنعانيين والإقامة في وسطهم نتيجة حروب قبلية قامت بينهم وانتهت إلي مخالطتهم والامتزاج بهم كما ورد في سفر القضاة[٣].

إذ أنهم لم يعتمدوا على جيش منظم، بل كانت كل قبيلة تسير وفقا لهواها تمارس ألوانا من السلب والنهب[٤].

فلم يكن هناك إذن غزو أو فتح بالمعنى الصحيح والمفهوم لأرض كنعان أعقبه احتلال لها على الرغم من أقاصيص مؤرخيهم المملوءة انتفاخا[٥].

بل إن الإسرائيليين حاولوا الاستقرار في كنعان عن طريق التسلل التدريجي الذي أخذ صورة تغلغل سلمي بطيئ فأدى إلي اندماجهم في السكان الأصليين، بجانب بعض الغارات القبلية التي كانت أشبه بحرب العصابات[٦].

(د/ محمد بحر عبد المجيد: اليهودية صـ ٧٠ مكتبة سعيد رأفت القاهرة ١٩٧٨م).

(١) بريستيد: العصور القديمة صـ ٢٢٢ أولبرايت : آثار فلسطين صـ ١١٥.

(٢) كاترين هنري: التاريخ في الكتاب صـ ٣٣، د: جمال حمدان: اليهود انثروبولوجيا صـ ١١.

(٣) راجع الإصحاحات الأولى من السفر.

(٤) د/ ثروت أنيس الأسيوطي: نظام الأسرة بين الاقتصاد والدين بنو إسرائيل صـ ١٣١، د/ نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى جـ ٣ صـ ٢٨٤. وكان يوجد بجانب مقاومة الكنعانيين للإسرائيليين التنافس الشديد بين الأسباط والتنازع على الإقامة في مكان بعينه واستتبع هذا التنافس طبعا لفرق الأسباط وتشتتهم وقد أدى ذلك إلي أن الاستيطان لم يكن جماعيا بل كان فرديا (د/ فؤاد حسنين على: إسرائيل عبر التاريخ صـ ٥٩.

(٥) غوستاف لوبون: اليهود في تاريخ الحضارات الأولى صـ ٣٤.

(٦) د/ فيليب حتى: تاريخ سورية الجزء الأول صـ ١٩٥ موسكاتي: الحضارات السامية القديمة صـ ١٤٠. د/ فؤاد حسنين على: إسرائيل صـ ٦٨ - ٦٩.

obeikandl.com

وعلى أي حال فقد اختلفت ألوان الصلات بين الكنعانيين والإسرائيليين باختلاف المواضع والنواحي التي التقوا فيها كذلك باختلاف الوضع القائم بينهما، وقد سجلت الأسفار أشكالا مختلفة وأطوارا سريعة متلاحقة من الصراع بينهما[١].

بين الإسرائيليين والفينيقيين:

وإذا كان قد قدر لكنعان أن تلعب دورها في التاريخ بعيدا عن فينيقيا فإنه ما أن تمت السيطرة الكاملة على أرض كنعان بالكامل في عصر سليمان حتى بدأت صلات جديدة بين الإسرائيليين وبين الفينيقيين[٢].

إذ ظلت المدن الفينيقية مستقلة في الجوهر واتبع الإسرائيليون نحوها سياسة قوامها العلاقات الودية، وكان ذلك يرجع إلي الموقف السلمي الذي وقفته تلك المدن، التي كانت منهمكة كل الإنهماك في التجارة ولم تكن لها مطامع سياسية[٣].

وكان من أشهر هذه المدن مدينتا صيدا[٤] وصور[٥] وكانت صيدا في الأزمنة

---

(١) راجع د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق جـ ٢٨٩، وفي الفصل الخاص بخضوع الإسرائيليين للشعوب الوثنية سأتعرض لامتزاج الكنعانيين بالإسرائيليين وتأثرهم بهم.

(٢) راجع المصدر السابق جـ ٣ صـ ٥٤، أولبرايت: آثار فلسطين صـ ١١٠.

(٣) موسكاتي: الحضارات السامية القديمة صـ ١٢٤ – ١٢٥، وقد أسس الفينيقيون سلسلة من المستعمرات التجارية ومن أهمها مستعمرة قرطاجنة التي أسستها حكومة صور قرب نهاية القرن التاسع عشر ق. م (المصدر السابق صـ ١٢٥، دي بورج: تراث العالم القديم جـ ١ صـ ٤٧.

(٤) ورد في سفر التكوين أن بكر كنعان بن حام – كان يسمي صيدون (١٠ : ٥) وذكر كونتو أن صيدون يمثل فينيقية كلها في شخص واحد ولذلك فقد كان اليهود يطلقون على الفينيقيين بأنهم أهل صيدا (الحضارة الفينيقية صـ ٣٨٥ – ٣٨٦) ويرجع ذلك إلي شهرة مدينة صيدا وكثرة معابدها (ولفنسون: تاريخ اللغات السامية صـ ٥٧ – ٥٨، وقد اتصل بها اليهود وعبدوا آلهتها، ويمتد موقعها من ساحل عرضه نحو ميلين بين جبال لبنان والبحر المتوسط على بعد ٢٢ ميلا شمالي صور – (قاموس الكتاب المقدس صـ ٥٦٥ – ٥٦٦).

(٥) صور: مدينة فينيقية شهيرة وهي قديمة جدا ولكنها أسست أو بلغت أهميتها بعد مدينة صيدا، وقد أقيمت صور وفق الشهادة القديمة على البرومع تقادم الزمن نقلت إلي الجزيرة الصخرية المجاورة فاشتق منها اسمها، وكثيرا ما ذكر الكتاب القدماء أنها قائمة في البحر (راجع اشعياء ٢٣ : ٧، ١٢ (حزقيال ٢٦ : ١٧/ ٢٧ : ٣٢). ول ديورانت: قصة الحضارة مجلد ١ جـ ٢ صـ ٣١٤، قاموس الكتاب المقدس صـ ٥٥٩.

الأولى المدينةالفينيقية الهامة إلا أنها حوالي القرن الثاني عشر ق. م تخلت عن مركزها لمدينة صور[١]، التي فاقتها في الشهرة والعظمة وكانت أقرب منها إلي بني إسرائيل[٢].

ومن أشهر ملوك صور الملك حيرام (٩٨٠ – ٩٣٦ ق. م) [٣] الذي كان – حسب قول التوراة – على علاقة طيبة بالملك داود[٤].

وتطورت العلاقة إلي صداقة قوية بينه وبين الملك سليمان وتوجت تلك الصداقة بتوقيع تحالف تجارى بين المملكتين[٥].

وصار هذا التحالف خطا سياسيا تقليديا التزمه من أتى بعد هذين الملكين[٦].

فقد ظلت العلاقات قائمة بين الفينيقيين والإسرائيليين وازدادت مع مضي الزمن قوة حتى العصور المتأخرة وبخاصة أيام المملكة الشمالية[٧].

---

(١) دي بورج: تراث العالم القديم جـ ١ صـ ٤٧.

(٢) قاموس الكتاب المقدس صـ ٥٥٩.

(٣) الحضارة الفينيقية – كونتنتو صـ ٧١.

(٤) ملوك أول ٥ : ١، أخبار الأيام الثاني ٢ : ٣.

(٥) ملوك أول ٥ : ٥ – ١٨، وكانت أورشليم قد أصبحت في عهد سليمان من أنشط الأسواق – التجارية في الشرق الأدنى، إذ أنشأ أسطولا تجاريا في البحر الأحمر وأغرى حيرام ملك صور على أن يستخدم هذا الطريق الجديد بدلاً من طريق مصر في تجارته مع العرب وإفريقية، وكانت الصداقة بين صور وإسرائيل مبنية على المنفعة المتبادلة فصور كانت فقيرة بالمحاصيل الزراعية بينما كانت إسرائيل بحاجة إلي المواد التي تنقلها التجارة البحرية (راجع ول ديورانت: قصة الحضارة مجلد ١ جـ ٢ صـ ٣٣٢، بريستيد: العصور القديمة صـ ٢٢٤، ويلز: معالم تاريخ الإنسانية مجلد ٢ : ٤ صـ ٢٩٢، راجع أيضا تفاصيل العلاقات التجارية بين الفينيقيين والإسرائيليين في عصر سليمان في قاموس – الكتاب المقدس صـ ٢١٢، ٣٣٠، كونتنتو: الحضارة الفينيقية صـ ٧١ – ٧٣، موسكاتي: الحضارات السامية صـ ١٤٣ – ١٤٤، د/ فيليب حتى: تاريخ سورية صـ ٢٠٤ ومنها يتبين كما ذكرت الأسفار أن سليمان قد استعان بالصوريين في بناء الهيكل.

(٦) د/ حسن ظاظا: الساميون ولغاتهم صـ ٦٤، والحقيقة الجديرة بالملاحظة أن البطون الإسرائيلية الشمالية مثل ياسكر وزبولون ونفتالي كانت أكثر اتصالاً بالفينيقيين منها بالقبائل الأخرى (تكوين ٤٩ : ١٣)، د/ فؤاد حسنين على: إسرائيل عبر التاريخ صـ ٧٠.

(٧) د/ فؤاد حسنين على: إسرائيل عبر التاريخ صـ ٧٠.

إذ أن عمري[١] قد أقام علاقات ودية مع اثبعل[٢] انتهت بزواج اخآب[٣] من ايزابل ابنة اثبعل[٤].

وبهذا الزواج توطدت الصلة بين اخآب والفينيقيين، ولكن إذا كان هذا الزواج قد أفاد الدولة الإسرائيلية من الناحيتين السياسية والتجارية[٥]، فإنه كان له أسوأ الآثار وأخطرها من الناحيتين الاجتماعية والدينية[٦].

وكان لهذا الزواج أيضا دور كبير في إقامة علاقات فينيقية مع دولة يهوذا، إذ أن يهورام ملك يهوذا قد تزوج عثليا[٧] التي ساهمت في إدخال عبادة البعل إلي المملكة الجنوبية.

هذا وقد اتصل باليهود في فلسطين أيضاً عدة قبائل أو مجموعة من الطوائف تنسب إلي الكنعانيين[٨] وهم:

---

(١) سادس ملوك مملكة إسرائيل ومؤسس الأسرة الرابعة.

(٢) اثبعل ملك الفينيقيين وكان له إلي جانب لقب الملك كهانة عشتروت (الحضارة الفينيقية صـ ٧٤).

(٣) اخآب بن عمري سابع ملوك إسرائيل.

(٤) ايزابل زوجة آخاب وكان لها دور كبير في نشر عبادة البعل بين الإسرائيليين وسيتضح ذلك عند حديثنا في الباب الثالث عن مظاهر تأثر اليهود في عبادة البعل.

(٥) فيما يرى كل من صموئيل شولتز: العهد القديم يتكلم صـ ٢٣٤، وكاترين هنري: التاريخ في الكتاب صـ ٧٢، وإن كان الدكتور فؤاد حسنين يرى أن هذا الزواج يشير إلي مدى التبعية القائمة بين إسرائيل وفينيقيا (إسرائيل عبر التاريخ صـ ٧٠، ويبدو أن المؤلفين يقصدون بالفائدة السياسية التي عادت على مملكة إسرائيل أن الزواج كان منقذاً لإسرائيل من خطر الآراميين، كما يقول د/ نجيب ميخائيل إن فينيقيا كانت في الكفة المقابلة لدمشق الآرامية ولكي يتحاشي الإسرائيليون خطر الآراميين كان هذا الزواج (مصر والشرق الأدنى القديم جـ ٣ صـ ٣٥٨).

(٦) وسنفصل تلك الآثار عند ذكر مظاهر تأثر اليهودية بعبادة البعل (راجع حول ذلك التاريخ في الكتاب صـ ٧٢ – ٧٣، صموئيل شولتز: العهد القديم يتكلم صـ ٢٣٤ – ٢٣٩ د/ حسن ظاظا: الساميون صـ ٦٤).

(٧) عثليا بنت آخاب من ايزابل وقد تولت الملك في يهوذا فترة من الزمن كما سبق.

(٨) ذكرت هذه القبائل ضمن أولاد كنعان في قائمة انساب التوراة وعقب عليها الكتاب بقوله: "وبعد ذلك تفرقت قبائل الكنعاني" وهو قول يفيد أن هذه القبائل تجمعها الجامعة الكنعانية، ومما يسوغ تصويب أرومتها الكنعانية أنها كانت تنزل في أرض كنعان ومن المحتمل أن تكون قد تميزت بميزة ما جعلتهم يذكرون منفردين أو أن تكون نسبتهم آتية من أسماء مدنهم (تكوين ١٠ : ١٥ – ١٨، محمد عزة دروزة: تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم صـ ٤٧).

obeikandl.com

الفرزيون[١]، واليبوسيون[٢]، والجرجاشيون[٣]، والحويون[٤].

٢ـ اتصال اليهود بالأموريون:

لقد سبق أن ذكرت أن الأموريين أسسوا عدة دول في كل من بلاد الرافدين وبلاد سورية[٥].

ويهمنا هنا الإشارة إلي وجودهم ضمن شعوب فلسطين حينما دخل الإسرائيليون أرض فلسطين فاحتكوا بهم وحدث صراع بينهم.

وكان الأموريون قد بلغوا من الأهمية والخطورة في فلسطين إلي الحد الذي كان يطلق اسمهم في بعض الأحيان على كل شعوب فلسطين ويطلق على أرض فلسطين أرض الأموريين[٦].

---

(١) الفرزيون هم طائفة مهمة من الكنعانيين أحصيت مرارا مع قبائل فلسطين (تكوين ١٥ : ٢٠ خروج ٣ : ٨، يشوع ٩ : ١ وكانوا من سكان منطقة شكيم (يشوع ١١ : ٣) وفي بقعة أعطيت بعدئذ لافرايم ومنسي (يشوع ١٧ : ١٥) ويهوذا (قضاة ١٥ : ٤ – ٥) وقد سمح لهم بالتزاوج مع الإسرائيليين فجروهم إلي عبادة الأوثان (قضاة ٣ : ٥) راجع (قاموس الكتاب المقدس صـ ٦٧٥، زكي شنودة : اليهود صـ ٥٠، محمد عزة دروزة: تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم صـ ٤٦).

(٢) اليبوسيون: اسم قبيلة كنعانية سكنت يبوس (الاسم القديم لأورشليم) والجبال التي حولها في أيام يشوع، تثنية ٧ : ١/ ٢٠ : ١٧] وقد سكنوا مع بني يهوذا وبنيامين (يوشع ١٥ : ٦٣) قضاة ١ : ٢١]، وعندما استولى داود على أورشليم ظلوا مقيمين بها حتى أخضعهم سليمان وبقوا في اليهودية إلي ما بعد الرجوع من السبي البابلي (عزرا ٩ : ١ – ٢)، راجع قاموس الكتاب المقدس صـ ١٠٥٢ – ١٠٥٣، د/ عبد الحميد زايد: القدس الخالدة صـ ٣٩ – ١٠.

(٣) الجرجاشيون: جمع جرجاش وقد وردت في صيغة المفرد (تكوين ١٠: ١٦) وبصيغ الجمع كاحدى قبائل كنعان (تكوين ١٥ : ٢١)، تثنية ٧: ١، يشوع ٣: ١٠/ ٢٣ : ١١ نحميا ٩: ٨ (راجع قاموس الكتاب المقدس صـ ٢٥٥).

(٤) الحويون: هم أحد أجناس كنعان قبل غزو الإسرائيليين لها، قد شتتوا إلي عدة – جماعات، وكان مقرهم الرئيسي في سطح جبل لبنان من جبل حرمون إلي مدخل حماة – (تكوين ١٠ : ١٧، خروج ٣ : ١٧، يشوع ٩٤ : ١٠/ ١١ : ٣ قضاة ٣ : ٣ راجع الحديث عنهم بالتفصيل (قاموس الكتاب المقدس صـ ٣٢٩).

(٥) في الفصل الأول من هذا الباب عند الحديث عن ديانتهم ضمن الديانات الوثنية القديمة المصاحبة لنشأة اليهود على مدى تاريخهم القديم.

(٦) تكوين ١٥ : ١٦، عدد ١٣ : ٢٩، يشوع ٧ : ٧/ ٢٤ : ٨، قضاة ٦ : ١ عاموس ٢ : ١٠ راجع أيضا قاموس الكتاب المقدس صـ ١٢٠، د/ فيليب حتى تاريخ سورية جـ ١ صـ ٨١.

بل أنه قد بلغ من انتشارهم وقوة تأثيرهم في أرض كنعان أن حزقيال[١] حينما خاطب مدينة أورشليم على لسان الرب قال تلك الكلمة المشهورة "مخرجك ومولدك من أرض كنعان أبوك أموري وأمك حيثية"[٢].

إذ كان الأموريون في عصر إبراهيم أهم قبيلة في الأرض الجبلية في جنوب فلسطين[٣].

ثم افتتحوا قبل خروج بني إسرائيل من مصر ما وراء الأردن من نهر أرنون في الجنوب إلى جبل حرمون في الشمال[٤].

ويرى المؤرخون أن الأموريين كانوا في القرن الثالث عشر ق. م يسيطرون على المواقف الاستراتيجية ورؤوس التلال في سورية الجنوبية وأنهم أسسوا بعض المراكز التي تطورت فيما بعد فأصبحت تلك المدن الكنعانية الهائلة التي توقف عند أسوارها وأبراجها القادمون الإسرائيليون[٥].

وكانوا قد أقاموا مملكتين في شرق الأردن هما: مملكة سيحون، ومملكة باشان[٦]، فهزم الإسرائيليون هاتين المملكتين واحتلوا أرضهما[٧].

---

(١) حزقيال: اسم عبري معناه "الله يقوي" وهو أحد الأنبياء الكبار ولد ونشأ في فلسطين وربما في أورشليم في بيئة الهيكل اثناء خدمة النبي أرميا ثم حمل مع المسبيين إلي بابل وعاش معهم وتنبأ هناك (راجع بالتفصيل قاموس الكتاب المقدس صـ ٣٠١ – ٣٠٢).

(٢) حزقيال ١٦ : ٣ راجع أيضا كونتنتو: الحضارة الفينيقية صـ ٣٩٩، والحثيون سنتحدث عنهم ضمن العناصر غير السامية التي أقامت في بلاد فلسطين.

(٣) تكوين ١٤ : ٧، ١٣ (قاموس الكتاب المقدس صـ ١١٩).

(٤) عدد ٢١ : ٣٦ – ٣٠، تثنية ٣ : ٨/ ٤، يشوع ٢ : ١٠/ ٩، قضاة ١١ : ٢٢، راجع زكي شنودة اليهود صـ ٤٨.

(٥) د/ فيليب حتى تاريخ سورية جـ ١ صـ ٨١.

(٦) كان سيحون ملكاً للأرض الواقعة بين ارنون واليبوق، وكان الإسرائيليون قد طلبوا منه أن يمروا من أرضه وهم في طريقهم إلي كنعان إلا أنه رفض فاندلعت الحرب بينه وبينهم – وأما مملكة باشان فكان على رأسها ملك يسمي عوج راجع عدد ٢١ : ٢١ – ٣٤، قاموس – الكتاب المقدس صـ ١١٩، د/ محمد مهران: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم جـ ٨ صـ ٥١٤.

(٧) قاموس الكتاب المقدس صـ ١١٩.

وفى عصر يشوع تم غزو الأموريين الذين كانوا يقطنون الأرض الجبلية في غرب فلسطين[١].

ولكن الأموريين ظلوا أقوياء في أرض فلسطين حتى إن الإسرائيليين قد عقدوا معهم صلحا في زمن صموئيل[٢]، حيث يفيد هذا أن الأموريين كانوا بدورهم محتفظين بكيانهم وسيادتهم في البلاد التي كانت في حوزتهم في شرق الأردن وغربه[٣]، واستمر وجود الأموريين قائماً حتى عصر الملك سليمان[٤]، وظل الإسرائيليون يذكرونهم ويتحدثون عن قوتهم في عصر عاموس[٥].

٣ـ اتصال اليهود بالآراميين:

ينسب كتاب التوراة الآراميين إلي آرام[٦]، ويذكرون عنه في موضع أنه أحد أبناء سام[٧]، وفي موضع آخر أنه حفيد ناحور أخي إبراهيم الخليل[٨].

ولذلك فإن العلماء يرجحون وجود صلة قرابة بين العبريين والآراميين[٩]، هذا

---

(١) يشوع ١٠ : ٥ – ١٢.

(٢) صموئيل الأول ٧ : ١٤.

(٣) تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم صـ ١٣٥.

(٤) ملوك أول ٩: ٢٠ – ٢١، أخبار ثان ٨ : ٧.

(٥) ورد في سفر عاموس أن "قامة العموريين مثل قامة الأرز وهو كالبلوط" فكان الأموريون أمة قوية شبهوا بأرز لبنان – وهو شجر يبلغ ارتفاع الواحدة منها أكثر من ثلاثين مترا وسمكها أكثر من متر، وكانوا أقوياء كشجرة البلوط أو السنديان، وتبدو قامات الأموريين في المباني الأثرية طويلة عسكرية – راجع سفر عاموس ٢ : ٩ القس عاموس عبد المسيح: دراسة في عاموس ترجمة: القس حارث قريضة الطبعة الثانية ١٩٧٩ صـ ٨٩ – ٩٠، د/ فيليب حتى: تاريخ سورية جـ ١ صـ ٨٢.

(٦) قاموس الكتاب المقدس صـ ٤٢.

(٧) تكوين ١٠ : ٢٢، أخبار الأيام الأول ١ : ١٧.

(٨) تكوين ٢٢ : ٢٠ – ٢١.

(٩) ورد في العهد القديم ما يفيد وجود قرابة أكيدة بين الآراميين والعبرانيين، وأصل الاسمين اللذين يطلقان على ذلك الشعب قد اشتقا من (آرام وعبر) وقد كتب كل من الاسمين متجاورين في القوائم الخاصة بأبناء سام، د/ عبد الحميد زايد: الشرق الخالد صـ ٤٣٢ – ٣٤٤، وجاء في سفر التثنية ٢٦ : ٥ أن يعقوب لقب مرة ب "الآرامى التائه" راجع تفصيل الحديث عن صلة القرابة بينهما، د/ فيليب حتى: موجز تاريخ الشرق الأدنى صـ ٨٢، دايرنكر في كتاب "الأبجدية مفتاح تاريخ الإنسان نقلا عن عباس العقاد: الثقافة العربية أسبق من ثقافة اليونانيين والعبريين صـ ١٦، د/ أحمد سوسة: مفصل العرب واليهود في التاريخ صـ ١٦١، د/ حسن أحمد محمود: العبرانيون من بحث (الساميون القدماء) ضمن كتاب حضارة مصر والشرق القديم صـ ٣٤٩ – ٣٥٠.

بالإضافة إلي مصاهرة كل من إسحاق ويعقوب للآراميين في فدان آرام[١] وفدان آرام أو (آرام النهرين) تعتبر أقدم الدويلات الآرامية التي ظهرت على مسرح التاريخ[٢].

ومن أشهر الدويلات الآرامية[٣] التي عاصرها اليهود واتصلوا بأهلها:

آرام صوبا وآرام دمشق، إذ كان بينهما وبين الإسرائيليين صراع مرير أدى إلي حروب كثيرة ومناوشات مستمرة.

فقد كان الآراميون يمثلون تحديا سافراً للإسرائيليين نتيجة العداوة التي استحكمت بينهم.

يقول ولفنسون "كان بنو إسرائيل من ألد أعداء الآراميين فقد ذكرت الأسفار كثيراً من أخبار الحروب التي نشبت بين بني إسرائيل وبني آرام، ومنها يتبين أن الحرب بينهما كانت سجالا فطورا يكون الفوز لآل يعقوب وتارة يكون لطوائف الآراميين[٤].

---

(١) راجع زواج إسحاق (تكوين ٢٤ : ١٠ – ٦١، زواج يعقوب تكوين ٢٨ : ٢ – ٤، ٢٩ : ١ – ٢٠، وفدان آرام اسم سامي معناه سهل آرام ويقع في رام النهرين والنهران هما دجلة والفرات وإن كان هناك من يرجح أنهما الفرات ورافده خابور، وليس هناك – اختلاف يذكر بين آرام النهرين وفدان أرام (راجع تكون ٢٤ : ١٠/ ٢٨ : ١ – ٢، راجع قاموس الكتاب المقدس صـ ٤٣، ٦٧٢، د/ محمد مهران: الجزء الثامن صـ ٥٢٩.

(٢) د/ بولس عياد: الآراميون في مصر صـ ٩، وفي نظر كريلنج أن اصطلاح آرام النهرين نشأ في القرن الثالث عشر، ولكن يرد على ذلك بأن هذا الاصطلاح ظهر في عصر مبكر منذ أيام إبراهيم وإسحاق ويعقوب كما أن هذا الاصطلاح ظهر في ألواح العمارنة : (المصدر السابق صـ ٩).

(٣) ظهرت عدة دويلات آرامية في نفس الوقت الذي نشأت فيه مملكة في أرض إسرائيل وهذه الدويلات هي : ١ – آرام النهرين. ٢- إمارة طوب (راجع قاموس الكتاب المقدس صـ ٤٣، د/ محمد بيومي مهران الجزء الثامن ثـ ٥٣٥ – ٥٤٢، راجع بتوسع د/ بولس عياد: الآراميون في مصر صـ ٩ – ٢٤، ويذكر موسكاتي أن الآراميين قد بلغوا أقصى أهميتهم السياسية في القرنين الحادي عشر والعاشر ق. م وتوسعوا في فتوحاتهم ولكنهم لم ينظموا هذه الفتوحات ولم ينشئوا وحدة سياسية فعالة، وكان العامل الرئيسي في ضعفهم وانقسامهم إلي ممالك محلية صغيرة مع كثرة الأجناس المتباينة التي اختلطوا بها (الحضارات السامية القديمة صـ ١٧٨).

(٤) تاريخ اللغات السامية صـ ١١٧، ويرى المؤرخون أن الآراميين هم الذين كسروا شوكة إسرائيل.

فأما آرام صوبا[1] فيظهر أن العداوة كانت على أشدها بين حكومتها وبين الإسرائيليين في عصر شاول[2].

وفي عهد داود كان الصراع شديداً بينه وبين حدد عزر ملك صوبة حتى إن الحرب كانت على ثلاث مراحل، وقد ساهم فيها معظم الدويلات الآرامية التابعة لصوبة وانتهت الحرب – بانتصار داود[3].

وعاد الصراع من جديد في عهد الملك سليمان، فقد كان رزون الآرامي أحد الناقمين على حكم سليمان وقام بالتمرد عليه وسبب إزعاجا للإسرائيليين[4].

ومن الملاحظ أن صوبا بعد هذه الأحداث قلت أهميتها كثيرا واحتلت مكانتها آرام – دمشق أو مملكة دمشق[5] التي زاد من نفوذها انقسام مملكة العبرانيين إلي مملكتين بعد موت سليمان[6].

---

(١) صوبا أو صوبة كانت في أيام شاول وداود وسليمان مملكة عظيمة من أقوى ممالك آرام إلي غربي الفرات. صموئيل الأول ١٤: ٤٧/ صموئيل الثاني ٨ : ٣ أخبار الأيام الثاني ٨ : ٣، وسماها الكتبة العبرانيون آرام صوبا (صموئيل الثاني ١٠ : ٦) وقد امتدت سلطتها يوما حتى حدود حماة إلي الشمال الغربي (أخبار الأيام الثاني ١٨ : ٢، صموئيل الثاني ٨ : ١٠ ويرجح كربلنج أن مكانها الآن بلدة عنجر في البقاع جنوبي زحلة (راجع: قاموس – الكتاب المقدس صـ ٥٥٨، شولتز: العهد الديم يتكلم صـ ١٥٥، كاترين هنري: التاريخ في الكتاب صـ ٦٣، آرام وإسرائيل صـ ٤٠ نقلا عن د/ أحمد فخري: دراسات في تاريخ الشرق القديم صـ ١٠٣.

(٢) راجع شولتز: العهد القديم يتكلم صـ ١٧٨ – ١٧٩، كاترين هنري: التاريخ في الكتاب صـ ٦٣، د/ عبد الحميد زايد: الشرق الخالد صـ ٣٤٩ – ٣٥١، راجع أخبار الأيام الأول ١٨ : ٣ – ٨/ ١٩ : ٦/ ٢٠ : ١. صموئيل الثاني ٨ : ٣/ ١٠ : ٦ – ١٨.

(٣) ملوك أول ١١ : ٢٣ – ٢٥.

(٤) راجع شولتز: العهد القديم يتكلم صـ ٢٠٤، محمد عزةدروزة: تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم صـ ١٧٠.

(٥) كان داود قد أخضع مدينة دمشق، فلما ثار رزون على سليمان تمكن من السيطرة عليها وأسس المملكة السورية التي سميت بآرام دمشق، وقد حازت هذه المملكة على شهرة واسعة ونفوذ هائل خلال قرنين تقريبا على حساب إسرائيل، وكان من ملوكها حزيون طبريمون وبنهدد وحزائيل ورحين (راجع قاموس الكتاب المقدس صـ ٣٧٥ – ٣٧٦ – ٤٩٢، صموئيل شولتز: الهد القديم يتكلم صـ ٢٢١ – ٢٢٢.

(٦) بلغت دولة دمشق ذروتها في العظمة والمنعة حوالي منتصف القرن الحادي عشر ق. م، وحالفها الحظ بانقسام مملكة العبرانيين إلي مملكتين حيث أخذت تؤلب إحداهما ضد الأخرى (راجع د/ فيليب حتى: موجب الشرق الأدنى صـ ٨٢، بولس عياد: الآراميون في مصر صـ ١٠، محمد أبو المحاسن عصفور: معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم صـ ٢٨٢ – ٢٨٣.

وقد دارت بينهما وبين الإسرائيليين حروب طاحنة استمرت آمادا طويلة وأدت إلي خضوع مملكة إسرائيل للآراميين فترة من الزمان.

ورد في سفر الملوك الأول أن (آسا) ملك يهوذا لما علم بأن ملك إسرائيل (بعشا) يتهيأ لغزوه لم يجد من يلجأ إليه ويستنجد به سوى بنهدد ملك آرام، فجمع له كل ما في خزائن بيت الرب وبيت الملك وأرسلها إليه حتى يتدخل لحمايته، وفعلا بعد أن وصلت إليه تلك الرشوة أرسل جيوشه إلي ملك إسرائيل وقام بتأديبه حتى كف عن ملك يهوذا[1].

وفي هذا دليل كاف على مدى ضعف المملكتين ومدى سيطرة دمشق الآرامية عليهما، وتمكنها منهما.

وفي عهد الملك عمري صارت إسرائيل ايالة تدفع الجزية لدمشق[2]، بل كانت سياسته العامة نابعة من وحي دمشق التي كان يهمها تأمين اتصالها بالبحر الغربي، ولعل هذا يوضح أمر صراعها الدائم مع إسرائيل – وقد سلم عمري بتأثير هذا الضغط بضع مدائن إلي دمشق كما خصص أحياء معينة في السامرة نفسها للتجار الآراميين[3].

فيرى أن ابنه أخاب رفض دفع الجزية، وأراد أن يتحرر من ضغط دمشق فهاجمه ملكها وحاربه في عاصمته السامرة[4].

---

(١) راجع ملوك أول ١٥ : ١٧ – ٢٢، يذكر شولتز: أن هذا الإجراء رغم أنه حقق أغراض آسا إلا أنه في الواقع ساعد على – تصاعد نفوذ سوريا حتى أصبحت تهدد المملكتين وتتحكم فيهما (العهد القديم يتكلم صـ ٢٢).

(٢) د/ فيليب حتى: موجز تاريخ الشرق الأدنى صـ ٨٢.

(٣) د/ نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى جـ ٣ صـ ٨٥٣، ملوك أول ٢: ٣٤.

(٤) ويذكر سفر الملوك الأول أن بنهد ملك آرام أرسل إلي آخاب يقول له "لي فضتك وذهبك ولي نساؤك وبنوك الحسان، فأجاب ملك إسرائيل وقال حسب قولك يا سيدي الملك أنا وجميع مالي لك (ملوك أول ٢٠ : ١ – ٤) راجع تفاصيل هجوم ملك آرام على السامرة في : ملوك أول ٢٠: ١ – ٢١، د/ فيليب حتى: موجز تاريخ الشرق صـ ٨٢.

obeikandl.com

وظلت الحرب قائمة بينهما حتى قتل أخآب على أيدي الآراميين[١] واستمر الآراميون في الإغارة على مملكة إسرائيل، وإعلان حالة الحرب بينهما[٢] ثم قاموا بحصار السامرة وتجويع أهلها، حتى اضطروا إلي أن يأكلوا جيفة الحمار وزبل الحمام، بل إن الجوع قد اشتد بهم حتى أكلوا أطفالهم[٣].

وحينما تولى حزائيل[٤] حكم آرام دمشق أخذ يناوش مملكتي اليهود معا فخرج إليه اخزيا ملك يهوذا ويهورام ملك إسرائيل، ولكنه هزمهما وانتهت المعركة بأن اصيب ملك إسرائيل بجرح تسبب بعد ذلك في مصرعه[٥].

وفي أخريات أيام يا هو ملك إسرائيل هاجم حزائيل مملكته من جميع تخومها واقتطع منها مساحات كبيرة[٦].

وفي عهد يهواحاز بن يا هو أخذ حزائيل أيضا يتحكم في الإسرائيليين ويضايقهم حتى أذلهم إذلالا شديداً[٧].

وامتد بسلطانه إلي مملكة يهوذا فاقتطع منها إحدى مدنها[٨]، ولما توجه إلي غزو عاصمتها أورشليم، جمع ملكها يوآش كل كنوز الهيكل وأرسلها إليه حتى رجع عنها[٩].

---

(١) ملوك أول ٢٢ : ٣١ – ٢٨.

(٢) ملوك ثان ٥ : ٢.

(٣) ملوك ثان ٦ : ٨ – ٩.

(٤) حزائيل: اغتصب الملك من بنهدد بعد أن قتله وأصبح من أقوى الملوك الذين عرفهم التاريخ حتى إن السيادة الآرامية امتدت حتى وصلت إلي فلسطين.
(راجع قاموس صـ ٣٠١، صموئيل شولتز: العهد القديم يتكلم صـ ٢٢٣، كاترين هنري: التاريخ في الكتاب صـ ٧٤).

(٥) ملوك ثان ٨ : ٢٨ – ٢٩/ ٩ : ٢٢ – ٢٤.

(٦) ملوك ثان ١٠ : ٣٢ – ٣٣.

(٧) ملوك ثان ١٣ : ٣، ٢٢.
راجع قاموس الكتاب المقدس صـ ٣٠١ (ومن صور هذا الإذلال أنه أطلق النار في حصونهم وقتل بالسيف شبانهم، وشق بطون حواملهم) (ملوك ثان ١٢ : ١٧ – ١٨).

(٨) هي مدينة جت وهي إحدى مدن الفلسطينيين الخمس وكانت مملكة يهوذا قد ضمتها إلي نفسها (راجع قاموس صـ ٢٤٨).

(٩) ملوك ثان ١٢ : ١٧ – ١٨.

واستمر في فرض الجزية على يهوذا، ولكن يبدو أنهم تأخروا في دفعها فأرسل إليهم جيشه فهاجم أورشليم وقتل رؤساءها وأصاب ملكها وعاد قواده ظافرين بغنيمتهم إلي حزائيل[١].

وبذلك يكون حزائيل قد تمكن من إخضاع المملكتين وإذلال سكانهما، وهذا يعني بسط سلطان الآراميين على اليهود مدة حكمة.

ولما تولى بنهدد بن حزائيل ظل مسيطرا على مملكة إسرائيل كل أيامه[٢]، فأفنى منهم الكثير وداسهم كالتراب[٣].

وفي عهد رصين[٤] الذي تولى بعده – تحالف معه فقح بن رمليا ملك إسرائيل ضد آحاز ملك يهوذا، فسار إليه، وحاصراه في أورشليم[٥]، حتى تمكنا منه، وضرباه ضربة شديدة، وسبيا منه سبيا عظيماً وقُتِلَ من يهوذا في يوم واحد مائة وعشرون ألفاً[٦].

٤ـ اتصال اليهود بدول شرق الأردن:

ومن العناصر السامية التي تكونت منها شعوب فلسطين اتصل اليهود بالقبائل أو الممالك الثلاث الصغيرة: الأدوميون، المؤابيون، العمونيون، والتي كانت تعرف بدول شرق الأردن.

الأدوميون:

ينسب كتاب التوراة الأدوميين إلي أدوم (عيسو) أخي يعقوب[٧] فهم إذن أبناء عمومة بالنسبة للإسرائيليين.

---

(١) أخبار الأيام الثاني ٢٤ : ٢٣ – ٢٤، صموئيل شولتز: العهد القديم يتكلم صـ ٢٧١ – ٢٧٢.

(٢) ملوك ثان ٣١ : ٣.

(٣) جاء في سفر الملوك الثاني "لأنه لم يبق ليهوا حاز شعباً إلا خمسين فارسا وعشر مركبات، وعشرة آلاف رجل لأن ملك يرام أفناهم ووضعهم كالتراب للدوس" (ملك ثان ١٣ : ٧).

(٤) رصين: اسم آرامي معناه جدول ماء صغير تولى حكم آرام حوالي ٧٢٨ ق. م (قاموس الكتاب المقدس صـ ٤٠٥).

(٥) ملوك ثان ١٦ : ٥.

(٦) أخبار الأيام الثاني ٢ : ٥ – ٦.

(٧) عيسو أو أدوم هو توأم يعقوب كما روت الأسفار، وكما ذكرت في الفصل الخاص بتاريخ اليهود، وكان بينهما – فيما تذكر الأسفار – تنازع دائم وهما في بطن أمهما، وعلى بركة إسحاق، وعلى البكورية.

obeikandl.com

ومن أجل ذلك فإنهم يعدون من أقرب العناصر دماء ولغة إلي بني إسرائيل لأنه لم يكن بينهم أقل فرق قبل أن يعتنق بنو إسرائيل ديانة موسى عليه السلام[١].

واستوطن الأدوميون "أرض سعير" وقد اشتهرت بهم حتى أطلق عليها "أرض أدوم"[٢] وكان حكام أدوم في البداية أمراء يشبهون رؤساء القبائل ولكنهم أصبحوا فيما بعد وقبل قيام مملكة إسرائيل يلقبون بالملوك[٣].

وعلى ذلك فقد كانت للأدوميين مملكة مستقلة ضمن ممالك فلسطين قبل قدوم الإسرائيليين إليها.

ويذكر سفر العدد أن شعب إسرائيل بقيادة موسي قد طلب من ملك أدوم أن يأذن لهم في المرور في أرضه – وهم في طريقهم إلي كنعان – ولكن ملك أدوم رفض ذلك وخرج إليهم بجيش كثيف فتولوا عنه هاربين[٤].

ومن ثم فقد تجددت العداوة بين الإسرائيليين والأدوميين[٥].

---

(١) ولفنسون: تاريخ اللغات السامية صـ ١٠٤.

(٢) أرض أدوم هو الإقليم الذي كان يسكنه الأدوميون وكان يسمى أرض سعير ويقع ضمن جبال – شبه جزيرة سيناء في منطقة شايعة الأطراف تمتد شمالاً إلي تخوم فلسطين وجنوبا إلي البحر الأحمر، فكان بذلك في أقصى جنوب بلاد شرق الأردن، والجزء الشرق الآن من أدوم يقع في المملكة الأردنية الهاشمية (راجع تكوين ٣٢ : ٣ قاموس الكتاب المقدس صـ ٣٩ نوث نقلا عن د/ مهران جـ ٨ صـ ٥٤٧، إسرائيل ولفنسون: تاريخ اللغات السامية ١٠٥.

(٣) يذكر صموئيل شولتز أن للأدوميين في الواقع تاريخاً لامعا وشهيرا ولكن المعلوم عنهم لا يتعدى البيان الموجز المذكور في سفر التكوين ٣٦ : ١ – ٤٣ والذي يتضمن الإشارة إلي ملوك متعددين حكموا أدوم – قبل أن يحكم ملك في إسرائيل (راجع شولتز: العهد القديم يتكلم صـ ٥٠ قاموس الكتاب المقدس صـ ٣٩ الشيخ نسيب وهيبه الخازن: من الساميين إلي العرب صـ ٧٠ منشورات مكتبة الحياة بيروت.

(٤) عدد ٢٠: ١٤ – ٢١.

(٥) ذكرت التوراة أن عيسو حقد على يعقوب حينما اغتصب منه بركة إسحاق وعزم على قتله فهرب منه يعقوب إلي فدان أرام، ولما عاد أرسل أدوم في أرض سعير فجاء إليه ومعه أربعمائة رجل فخاف منه يعقوب (تكوين ٢٧ : ٤١ – ٤٢ / ٣٢ : ٢ – ٨، ويذكر إبراهيم خليل أحمد أن التنافر المزعوم بين الأخوين قد أورث أبناءهما العداوة والكراهية "اسرائيل فتنة الأجيال: العصور القديمة صـ ١١٠ مكتبة الوعي العربي القاهرة ١٩٦٩.

يقول إسرائيل ولفنسون: كان الاسرائيليون يعدون الأدوميين من ألد أعدائهم مع أنهم أقرب العناصر إليهم واستمرت المنازعات السياسة بينهم عدة قرون إلي أن انتهي النضال بفناء أهل أدوم أو اندماجهم في اليهود[١].

إذ كان الأدوميون ممن يهددون المملكة الإسرائيلية في عصر شاول فقام بمحاربتهم[٢] وأما داود فقد قام قائد جيشه (يؤاب) بغزوهم[٣]، وبعد موت داود كان هدد الأدومي أحد المتمردين على سليمان[٤]، واشترك الأدوميون مع العمونيين والمؤابيين في غزوهم لمملكة يهوذا في عهد يهو شافاط[٥]، وقاموا بإعلان التمرد عليها والثورة على ملكها يهورام، – فتحرروا من سلطانه واستقلوا بمملكتهم[٦].

وفي عهد أحاز قام الأدوميون بمهاجمة مملكة يهوذ وسبوا منها سبيا عظيماً، ولما عجز آحاز عن مقاومتهم استغاث بالأشوريين ليصدوهم عنه[٧].

وبالرغم من مهاجمة أمصيا لهم في مملكتهم، وانتصاره عليهم، إلا أنه ضعف أمام آلهتهم فقد حملهامعه وعاد بها إلي أورشليم، وأخذ يتعبد لها[٨].

ولم يستطع أمصيا إخضاعهم لحكم يهوذا، بل ظلوا مستقلين حتى تم تخريب أورشليم فأظهروا الشماتة فى أهل يهوذا واشتركوا في نهب المدينة[٩] وقاموا بالإستيلاء على ديار يهوذا الجنوبية[١٠] وانتهت حياة الأدوميين القومية عام ١٣٠ ق.

---

(١) تاريخ اللغات السامية صـ ١٠٥ ويُرْجعُ ذلك إلي النفسية السامية التي قد تبغض الأقارب أكثر مما تبغض الأباعد ؟؟؟.

(٢) صموئيل الأول ١٤ : ٤٧.

(٣) صموئيل الثاني ٨ : ١٤، ملوك أول ١١ : ١٦.

(٤) ملوك أول ١١ : ١٤ – ٢٢.

(٥) أخبار الأيام الثاني ٢٠ : ١، ٢٢، ٢٣، قاموس الكتاب المقدس صـ ٤٠.

(٦) ملوك ثان ٨: ٢٠ – ٢٢، أخبار ثان – ٢١ : ٨ – ١٠.

(٧) أخبار الأيام الثاني ٢٨ : ١٦ – ١٧.

(٨) أخبار الأيام الثاني ٢٥ : ١١ – ١٤ ، ١٩ – ٢٠، ملوك ثان ١٤ : ٧.

(٩) مزمور ١٣٧ : ٧ وقد تنبأ الأنبياء بتدمير أدوم وأعلنوا غضب الرب على الأدوميين من أجل اشتراكهم في نهب أورشليم (راجع أشعياء ٣٤ : ٥ – ١٥ أرميا ٤٩ : ٧ – ٢٢، راجع أيضاً عوبيد يا وهو عبارة عن إصحاح واحد كله تنديد بالأدوميين).

(١٠) د/ أحمد سوسة: مفصل العرب واليهود في التاريخ صـ ٦٠٧.

م حين أراد الملك – اليهودي يوحنا هر كانوس[١] أن يزيل ما بينهم وبين اليهود من الفوارق الدينية فأرغمهم على الدخول في اليهودية[٢] ولكنهم برزوا وتحكموا في اليهود بعد أن تولى هيرودوس حكم اليهودية من قبل الرومان، إذ كان من الأدوميين الذين دخلوا في اليهودية[٣].

المؤابيون:

يرجع المؤابيون – في نظر كتبة التوراة[٤] – إلي مؤاب بكر لوط عليه السلام[٥] فهم بناء على ذلك من أقارب بني إسرائيل حيث كان لوط ابنا لأخي الخليل إبراهيم عليهما السلام[٦].

وأما موطنهم فإنهم قد أقاموا في منطقة أطلق عليها أرض مؤاب[٧].

---

(١) من ملوك المكابيين.

(٢) إسرائيل ولفنسون: تاريخ اللغات السامية: صـ ١٠٥ الشيخ نسيب الخازن: من الساميين إلي العرب صـ ٧٣.

(٣) سيتبين دور هيرودوس الأدومي وأثره في تأثر اليهودية بالرومانية في الفصل الخاص بالاضطهادات التي تعرض لها اليهود ومنها الاضطهاد الروماني.

(٤) أورد سفر التكوين زورا وبهتانا – ضمن تشنيعاته على الأنبياء – أن ابنتي لوط قد سقتا أباهما خمرا واضطجعتا معه فأنجبتا منه ولدين وسمي ابن الكبرى مؤاب وابن الصغرى بن عمي (راجع تكوين ١٩ : ٣٠ – ٣٨) ومع ما في هذا الادعاء الكاذب من الإساءة إلي النبي لوط عليه السلام والحط من قدره إلا أن بيت القصيد – فيما يذكر عصام الدين حفني ناصف – أن المؤابيين والعمونيين طالت مقاومتهما لبني إسرائيل ولبثا إلي زمن إدراج هذه القصة المخترعة في التوراة يناصبانهم العداء ويكيلان لهم الضربة تلو الضربة، فلم يجد اليهود مثلبة ينتقصون بها من مروءتهما أعظم من رميهما ووصمهما بأنها أولاد زني (الأسطورة والوعي) صـ ٦٤، ١٥٦، وقد بينا بطلان القصة من أساسها في كتابنا عن داود عليه السلام.

(٥) مؤاب اسم سامي ربما كان معناه من أبوه؟ ويطلق لفظ مؤاب أيضا على الشعب المؤابي، وعلى أرض المؤابيين (قاموس الكتاب المقدس صـ ٩٢٧).

(٦) تكوين ١١ : ٢٧ (لوط بن هاران بن تارح – أخي إبراهيم).

(٧) أرض مؤاب يقابلها اليوم القسم الشرقي من البحر الميت لمملكة الأردن، وكان يحدها في الأصل أرنون شمالا ثم امتدت إلي الشمال في أرض الأموريين، وكانت منقسمة إلي قسمين (أ) أرض مؤاب أي ما وقع شرقي البحر الميت ويسمي أيضا بلاد مؤاب وهي سهل مرتفع يحده غربا سلسلة من الجبال (ب) عربات مؤاب وهي ما كان في وادي الأردن مقابل أريحا بين مصب يبوق والبحر الميت (قاموس الكتاب القدس صـ ٩٢٧ – ٩٢٨).

obeikandl.com

وقد مر بهم الإسرائيليون بعد خروجهم من مصر، وهم في طريقهم إلي كنعان[١] فأقاموا في شطيم[٢]، وهناك كما قال السفر "وابتدأ الشعب يزنون مع بنات مؤاب، فدعون الشعب إلي ذبائح آلهتهن، فأكل الشعب وسجدوا لآلهتهن"[٣].

وكانت أرض مؤاب ضمن نصيب سبط رأوبين بعد أن سيطر عليها الإسرائيليون فأقام الراؤبيون مع المؤابيين وظلوا وراء عباداتهم الفاسدة[٤].

وفي عصر القضاة رجحت كفة المؤابيين فأخضعوا بني إسرائيل وأذلوهم وفرضوا عليهم الجزية مدة ثمانية عشر عاماً[٥].

وفي عهد شاول احتمى داود بمؤآب فرارا منه، وعهد إلي ملك المؤابيين بحماية أبية وأمه وتركهما أمانة لديه[٦].

ولكن يذكر السفر أن داود بعد أن تولى الملك ضرب المؤابيين ضربة شديدة وصاروا له عبيداً[٧]، هذا على الرغم من أن جدة داود كانت مؤابية[٨].

وفي عصر الانقسام صارت مؤاب تابعة للمملكة الشمالية، واستمر ذلك حتى عهد اخآب، ولما علم المؤآبيون بموت اخآب سارعوا بخلع نير الإسرائيليين عن

---

(١) راجع عدد ٢١ : ١١ – ١٣ وراجع محاولة ملك المؤابيين للوقوف في وجه الإسرائيليين سفر العدد أيضا الإصحاحات ٢٢، ٢٣، ٢٤.

(٢) شطيم: مخيم هام لبني إسرائيل أقيم في سهول مؤاب في شرق الأردن مقابل أريحا (قاموس الكتاب المقدس صـ٥٠٩).

(٣) عدد ٢٥ : ١ – ٢.

(٤) راجع قاموس الكتاب المقدس صـ٩٢٨.

(٥) قضاة ٣ : ١٢ – ١٤.

(٦) صموئيل الأول ٢٢ : ٣ – ٤.

(٧) صموئيل الثاني ٨ : ٢.

(٨) وكانت تسمي راعوث راجع قصتها في سفر راعوث (أربعة إصحاحات) فقد أنجبت من بوعز عوبيد، وهو أبو يسي والد داود (راعوث ٤ : ١٣ – ١٧).

رقابهم، وأعلنوا التمرد عليهم والعصيان لهم، وأدى ذلك إلي نشوب معركة كبيرة بينهم انتهت بانهزام إسرائيل[١].

وبعد ذلك كانت مؤاب تارة خاضعة وأخرى مستقلة[٢].

وفي عهد يهويا قيم[٣] شارك المؤابيون في غزو يهوذا مع الكلدانيين والآراميين والعمونيين[٤].

هذا وقد ظل المؤآبيون حتى عصر السبي، إذ أظهروا شماتتهم، وأعلنوا مسرتهم بعد أن لحقت المذلة باليهود وتم تخرب أورشليم[٥].

العمونيون:

ينسب العمونيون – كالمؤابيين – إلي لوط عليه السلام على أنهم نسل ابنه الثاني – في زعم كتبة التوراة – بني عمي[٦].

وبناء على هذا الزعم يكون العمونيون كالمؤابيين أقارب بني إسرائيل من جهة الخليل عليه السلام.

---

(١) روى هذا الحادث في الإصحاح الثالث من سفر الملوك الثاني، وتم العثور على نقش يرجع إلي عام ٨٥٠ ق. م سجل فيه هذا الحدث ولكنه يغاير ما أورده سفر الملوك في بعض النقاط، وأشار إلي أن الحرب كانت بين ميشع ملك مؤاب وبين اخآب، وليس بعد اخآب كما ذكرت التوراة، وإن كان المؤرخون يرجحون ما ورد في النقش حيث إنه وثيقة تاريخية معاصرة للحدث، وأما الأسفار فقد كتبت في عصر السبي وعموما فإن النصين قد اتفقا على أن الحملة قد انتهت بهزيمة إسرائيل وحلفائها، ولكنهما يختلفان في أن النص التوراتي قد أطنب فيما أحرزته إسرائيل من نجاح بادئ ذي بدء بينما يمر النص المؤابي على ذلك مر الكرام، وأن التوراة تشير إلي النتيجة النهائية باختصار، راجع سفر الملوك الثاني: الاصحاح الثاني راجع تفصيل ذلك وترجمة النقش في إسرائيل ولفنسون تاريخ اللغات السامية صـ ١٠٥ – ١١١. د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى جـ ٣ صـ ٣٥٩ – ٣٦١ د/ محمد بيومي مهران جـ ٨ صـ ٩١٩ – ٩٢٤، محمد عزة دروزة تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم صـ ١٩٧.

(٢) قاموس الكتاب المقدس صـ ٩٢٨.

(٣) ملك يهوذا السابع عشر.

(٤) ملوك ثان ٢٤ : ٢.

(٥) حزقيال ٢٥ : ٨ – ١١ صفنيا ٢ : ١١، ارميا : ٤٨.

(٦) راجع بداية الحديث عن المؤابيين.

وبالرغم من ذلك فلم تكن العلاقة بينهم علاقة سلم ومودة، وإنما كانت علاقة عداء وبغضاء[١] فقد استقر العمونيون في أرضهم[٢] حتى استولى الإسرائيليون على جزء منها، بعد أن خرجوا من مصر وفي طريقهم إلي كنعان[٣].

وفي عصر القضاة حاول ملك بني عمون أن يسترد أرضهم المغتصبة فقام بغزو الإسرائيليين وتمكن من استعبادهم حتى صرخوا إلي الرب واستنجدوا بيفتاح حتى ينقذهم ودارت بينهم معركة كبيرة[٤].

واستمرت حالة العداء والحرب قائمة بين العمونيين والإسرائيليين في عصر المملكة الموحدة فقد قام كل من شاول[٥] وداود[٦] بمحاربتهم.

وفي عصر الانقسام انتهز العمونيون فرصة ضعف يهو شافاط واشتركوا مع المؤابيين والأدوميين في هجومهم على مملكة يهوذا وحاولوا طرد اليهود منها[٧].

وكرروا هذا الهجوم أيضا في عهد يهويا قيم[٨].

---

(١) ورد في سفر التثنية أن الرب قد غضب على العمونيين لتحالفهم مع المؤابيين ولأنهم لم يلاقوا بني إسرائيل بالخبز والماء في الطريق عند خروجهم من مصر (تثنية ٢٣ : ٣ – ٦) وقد تحالف العمونيون أيضا مع المؤابيين في ضرب إسرائيل في عصر القضاة (قضاة ٣ : ١٣) وجاء في سفر الأنبياء أن الرب قد غضب عليهم وأنزل عليهم لعناته لما قاموا به ضد الإسرائيليين راجع حزقيال ٢٥ : ٣ – ٧ ارميا ٤٩ : ١ – ٦ صفنيا ٢ : ٨ – ١١ عاموس ١ : ١١ – ١٥.

(٢) كانت أرض العمونيين منطقة جبلية شرقي الأردن، وتمتد من نهر أرنون إلي يبوق وهي الآن في أواسط المملكة الأردنية الهاشمية،بل إن مدينة عمان عاصمتها قد أقيمت على بقايا عاصمة العمونيين ربة عمون (راجع قاموس الكتاب المقدس صـ ٦٤٠ نوث نقلا عن د/ مهران : صـ ٥٥٧ .

(٣) قضاة ١١ : ١٣.

(٤) قضاة ١٠ : ٩، ١٧ / ١١ : ٤ – ٣٣.

(٥) راجع صموئيل أول ١١ : ١ – ١١. وفيه أن ناحاش ملك العمونيين قد أغار على يابيش جلعاد فاستنجدوا بشاول فخرج بجيش من بني إسرائيل وحارب ملك بني عمون.

(٦) تذكر الأسفار أن داود قد تصالح مع ناحاش ولما مات أرسل وفدا للتعزية فيه وتهنئة ابنة حانون – الذي تولى الملك بعده – ولكن حانون أساء معاملة الوفد بعد ما أوعز إليه معاونوه بأن داود قد أرسله للتجسس على أرض عمون، وعلى أثر ذلك اندلعت الحرب بينه وبين داود (قاموس الكتاب المقدس صـ ٢٨٤، ٦٤٣، ٩٤٣، صموئيل الثاني ١٠، ١١).

(٧) أخبار الأيام الثاني ٢٠ : ١ – ١٣.

(٨) اريا ٤٩ : ١ – ٦.

obeikandl.com

وأما في عهد عزيا فقد اتصل بهم وتقبل منهم الهدايا[١] ولكن ابنه يوثام حاربهم وأخذ منهم الجزية[٢].

وتذكر الأسفار أن العمونيين قد احتلوا أرض بني إسرائيل بعد سبيهم إلي أشور[٣] وتهكموا على اليهود بعد سبيهم إلي بابل[٤] ولما عاد اليهود من سبيهم وقف العمونيون في وجههم وعارضوا إعادة بناء أسوار أورشليم[٥] وظل العمونيون معاصرين لليهود حتى عصر المكابيين[٦].

وهكذا وجدنا أن ممالك شرق الأردن الثلاث ظلت محتفظة بكيانها واستقلالها في أغلب مراحل التاريخ القديم، فاتصل اليهود بشعوبهم، ودار بينهم صراع وصيال.

ثانيا: العناصر غير السامية:

بجانب العناصر السامية التي تحدثت عنها كانت هناك عناصر غير سامية سكنت بلاد فلسطين قبل نزوح الإسرائيليين إليها، وظلت موجودة بها حتى عاصرهم اليهودواختلطوا بهم وتزاوجوا معهم، وكان من أبرز هذه العناصر: الحثيون، والفلسطينيون[٧].

---

(١) أخبار الأيام الثاني ٢٦ : ٨.
(٢) المصدر السابق ٢٧ : ٥.
(٣) ارميا ٤٩ : ١ – ٦.
(٤) حزقيال ٢٥ : ١ – ٧، ١٠.
(٥) نحميا ٤ : ١ – ٧.
(٦) راجع قاموس الكتاب المقدس صـ ٦٤٠.
(٧) هناك شعوب أخرى ضمن العناصر غير السامية مثل الحوريين والثيكر ولكنهما ليسا على درجة كبيرة من الأهمية ولأن القول بأنهم غير ساميين لم يتأكد حتى الآن فقد قيل عن الحوريين أنهم هم الحويون وأنهم ساميون، وتفرعوا عن الكنعانيين.
أما الحثيون والفلسطينيون فهما غير ساميين بتحقيق العلماء والمؤرخين، يقول الدكتور فؤاد حسنين "إذ استثنينا الفلسطينيين والحثين فسكان البلاد (فلسطين) قبل نزوح الإسرائيليين إليها كانوا من الساميين "إسرائيل عبر التاريخ صـ ٦٨ راجع أيضا د/ نجيب ميخائيل جـ ٣ صـ ١٤٦ – ١٤٧. =

١ـ اتصال اليهود بالحثيين:

لا يعرف على وجه التحقيق الأصل الذي ينتمي إليه الحثيون، وإن كان العلماء يرجحون أنهم آريون وأنهم فرع من فروع الشعوب الهند وأوربية[١].

ومهما يكن من أمر فإن ما يعنينا هنا بالدرجة الأولى أن هناك إجماعا على أنهم قدموا إلي بلاد فلسطين، وقطنوا بها، وعرفوا ضمن شعوبها، التي عاصرها اليهود واختلطوا بها[٢]، والحثيون من الشعوب الهامة في تاريخ اليهود.

جاء في قاموس الكتاب المقدس أن كلمة حثي وحثيين (مفرد وجمع) وردت ٤٧ مرةفي العهد القديم، بينما وردت كلمة حث ١٤ مرة أخرى[٣].

بل إن سفر التكوين قد أطلق اسم الحثيين بوجه عام على جميع سكان فلسطين من غير الساميين قبل مجيء الإسرائيليين، وذكر أن الحثيين أقاموا بفلسطين منذ

= وإذا كان قد ورد في سفر التكوين (١٠ : ١٥) أن ابن كنعان كان يسمي "حث" ويرى بعض شراح العهد القديم أن الحثيين يرجعون إليه فإن العلماء والمؤرخين قد استقر رأيهم على أن الكنعانيين ساميون وأن الحثيين غير ساميين وأصبحوا لا يعيرون اهتماما لهذا الفهم (راجع قاموس الكتاب المقدس صـ ٢٨٩، دي بورج: تراث العالم القديم جـ ١ صـ ٤٦، د/ محمد مهران : دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم جـ٨ صـ ٥٨٦

(١) لمعرفة مزيد من التفاصيل عن أصل الحثيين وتاريخهم راجع د/ حتى : موجز تاريخ الشرق الأدنى صـ ٤٦ – ٤٧، تاريخ سورية جـ ١ صـ ١٦٦، بريستيد: العصور القديمة صـ ١٠١ – ١٠٢، كونتنو: الحضارة الفينيقية صـ ٣٩٨ – ٣٩٩. دي بورج: تراث العالم القديم جـ ١ صـ ٤٦ وما بعدها، د/ كاترين هنري: التاريخ في الكتاب صـ ٢٣ – ٢٤، د/ أحمد فخري: دراسات في تاريخ الشرق صـ ٨٧ – ٨٩، د/ عبد الحميد زايد: الشرق الخالد صـ ٤٤٦ وما بعدها.

(٢) راجع في ذلك كونتنو: الحضارة الفينيقية صـ ٣٩٩ (يذكر كونتنتو أن الحثيين نزلوا بلاد سورية حتى بلغوا قلب فلسطين وحتى كان أحد ملوك بيت المقدس في آخر الآلف الثاني ق. م. يجمع اسما حيثيا هو عيدي – هيبا – وامتزج بهؤلاء الحثيين من غير شك عناصر هندية – أوربية أو على كل حال عناصر غير سامية) يراجع أيضاً د/ حتى: موجز تاريخ الشرق صـ ٤٧، د/ فؤاد حسنين على: إسرائيل عبر التاريخ صـ ٦٨، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق جـ ٣ صـ ١٤٦ – ١٤٧، د/ محمد بيومي مهران: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم جـ ٨ صـ ٥٨٦، زكي شنودة: اليهود صـ ٤٨، د/ محمد أبو المحاسن عصفور: معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم صـ ٣٢٧ وما بعدها.

(٣) قاموس الكتاب المقدس صـ ٢٩٠.

عصر الخليل إبراهيم، وكانوا يسكنون بمدينة حبرون (الخليل)[١] وورد فيه أيضاً أن عيسو قد اتخذ منهم زوجتين[٢].

هذا وقد ذكر الحثيون أكثر من مرة ضمن الأمم المقيمة في فلسطين قبل دخول الإسرائيليين[٣].

وحينما عاد الرجال الذين أرسلهم موسي ليتجسسوا أرض فلسطين أخذوا يعدون شعوبها ويصفون موقع إقامتهم، فذكروا أن الحثيين يقطنون الجبال بجانب اليبوسيين والأموريين[٤]، وبعد أن دخل الإسرائيليون أرض كنعان أو فلسطين اعتبروا الحثيين شعبا قويا معروفا واعترفوا لهم بأرضهم[٥].

وفي عصر القضاة اتصل الإسرائيليون بالحثيين فسكنوا في وسطهم، واختلطوا بهم وتزاوجوا معهم، فاتخذوا بناتهم لأنفسهم نساء، وأعطوا بناتهم لبنيهم وعبدوا آلهتهم[٦].

وفي عصر المملكة الموحدة ازداد اختلاط الإسرائيليين بالحثيين حتى اتخذ داود منهم رفقاء له[٧]، وجعل منهم من يحارب في جيشه[٨].

وظل الحثيون يقيمون في فلسطين في عهد سليمان، فهم يذكرون ضمن الشعوب التي فرض عليهم السخرة[٩].

---

(١) راجع تكوين ١٥ : ١٨ – ٢١ / ٣٢ : ٢ – ٢٠ راجع أيضاً د/ فيليب حتى تاريخ سورية جـ ١ صـ ١٦٩، د/ عبد الحميد زايد: الشرق الخالد صـ ٤٤٦.

(٢) كان اسم الزوجة الأولى "يهوديت بنت بيري الحثي" واسم الثانية "بسمة بنت ايلون الحثي" راجع تكوين ٢٦ : ٣٤.

(٣) راجع تكوين ١٥ : ٢٠ / ٣ : ٨، تثنية ٧ : ١ / ٢٠ : ١٧، ٣ : ١٠ / ١١ : ١٣ ٢٤ : ١١.

(٤) عدد ١٣ : ٢٦ – ٢٩.

(٥) يشوع ١ : ٤ راجع قاموس الكتاب المقدس صـ ٢٩٠.

(٦) قضاة ٣ : ٥ – ٦.

(٧) صموئيل الأول ٢٦ : ٦ وكان من بين رفقائه أخيما لك الحثي الذي اختبأ معه حينما هربوا من شاول.

(٨) صموئيل الثاني : ١١ : ٦ – ٢١، ومن أبرز هؤلاء كان أوريا الحثي الذي حارب في جيش داود ضد العمونيين.

(٩) ملوك أول ٩ : ٢٠ – ٢١، أخبار ثان ٨ : ٧ – ٨.

obeikandi.com

بل إن سفر الملوك يذهب إلي أن سليمان قد تزوج بنساء حثيات[١].

وقد بلغ من أهمية الحثيين وخطورتهم في فلسطين أن الأسفار تذكر ملوكهم في جملة واحدة مع ملوك أرام[٢]، وتضعهم في مرتبة واحدة مع المصريين كدليل على عظمتهم[٣].

بل إن حزقيال حينما خاطب مدينة أورشليم على لسان الرب مبينا أصل فسادها وسبب انحرافها قال "أبوك أموري، وأمك حثية"[٤].

٢ـ اتصال اليهود بالفلسطينيين:

اختلف في أصل الفلسطينيين، ومن المرجح أنهم ينتمون إلي شعوب البحر الأبيض المتوسط الذين هاجروا إلي كنعان في أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الثاني عشر ق. م[٥].

وبناء على هذا الترجيح، واعتمادا على ما سبق من عرض لهجرات الشعوب

---

(١) ملوك أول ١١ : ١.

(٢) ملوك أول ١٠ : ٢٩، أخبار ثان ١ : ١٧.

(٣) ملوك ثان ٧ : ٦ – ٧ وقد وردت على لسان أفراد جيش الآرامي حينما سمعوا جلبة جيش إسرائيل "فإن الرب أسمع جيش الآراميين صوت مركبات وصوت خيل صوت جيش عظيم فقال الواحد لأخيه هوذا ملك إسرائيل قد استأجر ضدنا ملوك الحثيين وملوك المصريين ليأتوا عليها" (راجع أيضاً قاموس الكتاب المقدس صـ ٢٩٠).

(٤) حزقيال ١٦ : ١ – ٣.

(٥) يذكر المؤرخون أنه في أواخر القرن الثالث عشر وأوائل القرن الثاني عشر ق. م غمر سواحل فلسطين أو كنعان فيض من شعوب البحر المشهورين في التاريخ القديم، من جزر شمال البحر المتوسط وشواطئه وخاصة من بحر ايجه وجزيرة كريت، وهذه الشعوب تنتمي إلي العرق الهندو أوربي، ويبدو أنها شغلت كل السهل الساحلي لفلسطين، وأشهر هذه الشعوب هم الفلسطينيون الذي قطنوا المنطقة الساحلية في بلاد كنعان جنوبي الكرمل وكانت تمتد من غزة إلي يافا ولكنهم أخذوا يتوسعون بعد ذلك على حساب الكنعانيين راجع في ذلك أولبرايت: آثار فلسطين صـ ١١٥ – ١٧٦، بريستيد: العصور القديمة صـ ٢٢٣، د/ حتى: موجز تاريخ الشرق الأدنى صـ ٧، تاريخ لبنان من أقدم العصور إلي وقتنا الحاضر صـ ١١١، ماسون أورسيل الفلسفة في الشرق صـ ٣٤ – ٣٥.

الأخرى وتاريخ استيطانهم بأرض كنعان، فإن الفلسطينيين يكونون آخر الشعوب التي نزحت إلي بلاد كنعان وأحدث العناصر التي أقامت بها قبل الإسرائيليين.

ولعل ذلك قد ساهم في أن تعرف أرض كنعان بأرض فلسطين نسبة إليهم واشتقاقاً من اسمهم[١].

وعلى الرغم من أن الفلسطينيين قد انتصروا على الكنعانيين، وهزموهم حينما نزلوا أرض كنعان إلا أنهم سرعان ما اندمجوا فيهم وامتزجوا بهم فتعودوا عاداتهم وتحدثوا لغتهم واقتبسوا من ثقافتهم[٢].

---

(١) سميت فلسطين بهذا الاسم نسبة إلي الفلسطينيين وقد وردت في العهد القديم بلفظ "فلاشت" وفي المصادر الأشورية والمصرية باسم "بيلشتي أو بالاستو أو برنست" وقد عرب لفظ فلسطين من لفظ فلستيا اليوناني الذي أصبح بالستيا، وكان يطلق أولاً على المناطق التي سكنها الفلسطينيون ثم أخذت المصادر اليونانية الرومانية تطلقه على جميع فلسطين الحالية وحتى شرقي نهر الأردن، وكان المؤرخ اليوناني هيرودوت هو أول من ذكر اسم فلسطين (راجع خروج ١٥ : ١٤، اشعيا ١٤ : ٢٩، د/ فؤاد حسنين على: إسرائيل عبد التاريخ صـ ٦٠، ظفر الإسلام خان: تاريخ فلسطين القديم صـ ١٨، د/ أحمد سوسة: مفصل العرب واليهود في التاريخ صـ ٢٢٢، عبد الحكيم ذا النون: تاريخ فلسطين القديم والخلفية الزائفة للصهيونية صـ ٤٥ – ٤٧ دار الكتاب العربي سورية ١٩٨٤م، ويقول الدكتور محمد بيومي مهران "وقد احتفظ التاريخ باسمهم على فلسطين وإن كان ذلك لا يرجع إلي أنهم قد أصبحوا غالبية السكان فيها أو أنهم قد بسطوا نفوذهم عليها جميعاً ولكن ربما لأنهم آخر من نزل بها، ولكثرة ترديد التوراة لاسمهم (دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم الجزء الثامن: إسرائيل صـ ٥٩٤ – ٥٩٥ .

(٢) راجع أولبرايت: آثار فلسطين صـ ١١٥، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق جـ ٣ صـ ٢١٢ د/ أحمد سوسة: مفصل العرب واليهود في التاريخ صـ ٢٢٥، ولعل اندماج الفلسطينيين في الكنعانيين جعل بعض الباحثين يميلون إلي أنهم ينتمون إلي الأصل الكنعاني، وأن هجرتهم من كريت كانت هجرة سامية راجعة مرتدة حيث عادوا إلي بلاد أجدادهم ثانية ليقفوا مع أشقائهم الكنعانيين (د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى جـ ٣ صـ ٣١٠ – ٣١١، د/ محمد بديع شريف: مدخل لدراسة مطامع اليهود في فلسطين قديما وحديثاً صـ ٤٦) معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٣م.

ولكن د/ نجيب ميخائيل يعود فيذكر أن الإسرائيليين يشيرون إلي الفلسطينيين كقوم لا يختتنون (صموئيل الأول ١٨ : ٢٥) وهو اصطلاح ينأى بهم عن الساميين والمصريين معا (المصدر السابق صـ ٣١١) هذا بالإضافة إلي أن جمهرة العلماء والمؤرخين يرجحون أصل الفلسطينيين غير السامي مما يجعل القول بأنهم ساميون أمراً مستبعدا

ولا يعني هذا أن الفلسطينيين قد ذابت شخصيتهم، وضاعت هويتهم تماما في المجتمع الكنعاني، وإنما هم على العكس من ذلك قد احتفظوا باستقلالهم واستمسكوا بأرضهم واشتهروا بشجاعتهم وقوتهم، حتى إذا ما دخل الإسرائيليون أرض كنعان وجودهم أهل شدة وبأس، واعتبروهم عدوهم الأول ومنافسهم الأكبر ودار بينهم صراع طويل كانت الغلبة فيه ولمدة قرنين من الزمان للفلسطينيين[١].

وقد كانت البداية حينما تحاشي الإسرائيليون الاحتكاك بالفلسطينيين وعدلوا عن الطريق التي تمر بهم وهم في طريقهم إلى كنعان خوفاً من بطشهم وجبروتهم:

ورد في سفر الخروج "وكان لما أطلق فرعون الشعب أن الله لم يهدهم في طريق الفلسطينيين مع أنها قريبة لأن الله قال لئلا يندم الشعب إذا رأوا حربا ويرجعوا إلي مصر.

وفي عصر يشوع وبالرغم من أنه هاجم مناطق متعددة من أرض كنعان إلا أنه لم يتجاسر على غزو الفلسطينين ومات دون المساس بأرضهم[٢].

وبعد أن مات يشوع هاجم سبط يهوذا أرض الفلسطينيين وسيطروا على بعض مدنهم[٣]، إلا أن الفلسطينيين سرعان ما استردوا هذه المدن، فتحالفوا مع العمونيين وسقط الإسرائيليون في قبضتهم[٤].

---

(١) كانت أرض كنعان موطن الصراع بين الفلسطينيين والإسرائيليين وقدترك مصيرها للفريق الغالب، ويرجح العلماء تفوق الفلسطينيين إلي عدة مزايا: منها أنهم قد استوطنوا أغنى قطاع من أرض فلسطين إذ كانوا على السهل بجانب البحر على طريق التجارة بين مصر وما بين النهرين ومنها أنهم قاموا بتحصين مدنهم الخمسة: غزة وأشقلون (عسقلان) وجت وأشدود وعقرون.
بالإضافة إلي أنهم بجانب تطبعهم على الشجاعة والقوة قد أحضروا معهم عند استقرارهم في كنعان عرباتهم الثقيلة التي تجرها الثيران، واحتفظوا بأسرار صهر الحديد ولم يطلعوا الإسرائيليين عليها (إلا حينما علم الله داود صناعتها كما ورد في القرآن الكريم) وعلى ذلك استطاع الفلسطينيون أن يؤكدوا وجودهم ضد الإسرائيليين الذين لم يكونوا قد عرفوا الوحدة على أية حال (راجع كاترين هنري: التاريخ في الكتاب صـ ١٣٨ – ١٣٩، صموئيل شولتز: العهد القديم يتكلم صـ ١٥٤، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق جـ ٣ صـ ٣١٤ د/ محمد مهران: الجزء الثامن صـ ٥٨٥.

(٢) يشوع ١٣ : ١ – ٣.

(٣) قضاة ١ : ١٧ – ١٨.

(٤) المصدر السابق ١٠ : ٧ – ٨ راجع قاموس الكتاب المقدس صـ ٦٩٣.

ويبدو أن الفلسطينيين قد سلموا الإسرائيليين للعمونيين وتركوهم بعد أن خلصوا مدنهم[١]، ثم حدث أن هاجم الفلسطينيون الإسرائيليين مرة أخرى وتمكنوا من إخضاعهم واستذلالهم مدة أربعين عاماً[٢].

ثم حاول الإسرائيليون أن يتخلصوا من نير الفلسطينيين فخرجوا إليهم للحرب أواخر عصر القضاة وفي عهد عالي الكاهن، ولكنهم ما إن بدأ القتال حتى بدأ ضعف الإسرائيليين وانكسارهم فقتل منهم أربعة آلاف رجل[٣].

فاجتمع شيوخ إسرائيل ليبحثوا سبب هذا الانكسار المروع، وانتهوا إلي أن يصطحبوا معهم تابوت عهد الرب حتى يكون في وسطهم ويخلصهم من يد أعدائهم[٤].

وعاودوا الهجوم وهم يهتفون خلف التابوت فخاف الفلسطينيون من هذا الهتاف ولكنهم تواصوا قائلين بعضهم لبعض "تشددوا وكونوا رجالاً أيها الفلسطينيون لئلا تستعبدو للعبرانيين كما استعبدوا هم لكم"[٥].

فحارب الفلسطينيون بكل شجاعة، وانكسرت إسرائيل مرة أخرى، وأخذ الفلسطينيون التابوت ثم أعادوه إلي الإسرائيليين بعد أن ظل في بلادهم سبعة شهور[٦].

وحينما تولى صموئيل القضاء في إسرائيل جمع الشعب وأخذ يعظهم وينصحهم

---

(١) وقد ذكر سفر القضاة أن الإسرائيليين ظلوا تحت قبضة العمونيين ثمانية عشر عاما حتى خلصهم يفتاح ولم يشر السفر هنا إلي الفلسطينيين (قضاة ١٠ : ٦ – ١٨ / ١١ : ١ – ٣٣).

(٢) قضاة ١٣ : ١.

(٣) صموئيل الأول: ٤ : ١ – ٢.

(٤) المصدر السابق ٤ : ٣.

(٥) المصدر السابق ٤ : ٤ – ٩.

(٦) صموئيل الأول ٤ : ١٠ – ٢٢ / ٥ / ٦ : ٦ : ١ – ١٦ ولمزيد من معرفة تفاصيل هذه المعركة راجع د/ مايز: حياة صموئيل النبي صـ ٣٦ – ٤٥، د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى جـ ٣ سورية صـ ٣١٤ – ٣١٦.

obeikandl.com

بالعودة إلي الرب، وفي أثناء ذلك هجم عليهم الفلسطينيون واندلعت بين الفريقين معركة جديدة[١].

وفي عصر المملكة الموحدة بدأ شاول حكمه بمهاجمة الفلسطينيين ولعل هذا الهجوم هو الذي جعل منه ملكا[٢].

ولكن الفلسطينيين عادوا فتسلطوا على الإسرائيليين وتمكنوا من إضعافهم، وذلك باحتكارهم صناعة الآلات والأسلحة الحديدية، فجردوا بني إسرائيل من أسلحتهم وكما ورد في السفر "ولم يوجد صانع في كل أرض إسرائيل، لأن الفلسطينيين قالوا لئلا يعمل العبرانيون سيفاً أو رمحاً" "وكان في يوم الحرب أنه لم يوجد سيف ولا رمح بيد جميع الشعب الذي مع شاول"[٣].

فكان هذا كفيلا بترجيح كفة الفلسطينيين في الحروب التي خاضها شاول ضدهم[٤].

وفي أخريات أيام شاول هجم الفلسطينيون على الإسرائيليين بجيش كثيف، لما رآه شاول خاف واضطرب قلبه جداً[٥]، ودارت بينهما معركة ساخنة انتهت كما قال السفر بموت شاول وأبنائه الثلاثة وحامل سلاحه وجميع رجاله معا[٦] وهرب الإسرائيليون من مدنهم وقام الفلسطينيون باحتلالها[٧].

---

(١) صموئيل الأول ٧ : ٣ – ١٤، ويشير السفر إلي أن الإسرائيليين بقيادة صموئيل قد هزموا الفلسطينيين وأذلوهم ولم يعودوا بعد للدخول في تخم إسرائيل وهذا مخالف لما سنعرض له من الصراع بين شاول والفلسطينيين ومن الأسفار نفسها.

(٢) أولبرايت: آثار فلسطين صـ ١١٦، غوستاف لوبون: اليهود في تاريخ الحضارات صـ ٣٦، د/ نجيب ميخائيل المصدر السابق جـ٣ صـ ٣٢٤، ٣٢٢ ومما يذكر أن ضغط الفلسطينيين على الإسرائيليين كان من أقوى العوامل لتجميع قواهم وإنشاء مملكة وتنصيب ملك عليهم.

(٣) راجع صموئيل الأول : ١٣ : ١٩ – ٢٢.

(٤) راجع صموئيل الأول ١٤ : ١ – ٤٦ / ١٧ : ١ – ١١.

(٥) راجع المصدر السابق ٢٨ : ١ – ٢ – ٤ – ٥ وقد لجأ شاول إلي الرب فلم يستجب له فلجأ إلي صاحبة الجان (صموئيل الأول ٢٨ : ٦ – ٢٤).

(٦) صموئيل الأول ٣٢ : ١ – ٦ ويقصد حرسه الخاص وأهل بيته.

(٧) المصدر السابق ٣١ : ٥.

وأما علاقة الملك داود بالفلسطينيين كما تصورها الأسفار فقد كانت متقلبة، فهو الذي قتل بطلهم جليات[١]، وحينما طلب منه شاول أن يقدم له صداق ابنته مائة غلفة من الفلسطينيين سارع داود وقتل مائتين منهم وأتى شاول بغلفهم[٢].

وخرج بعد ذلك لحربهم على رأس جيش حتى هربوا من أمامه[٣]، ولكنه يلجأ إليهم ويحتمي عندهم ويقيم عندهم هو ورجاله وأهله مدة سنة وأربعة أشهر[٤].

وليت الأمر يقف عند هذا الحد وإنما تنشب معركة بين الفلسطينيين والإسرائيليين فيقاتل داود ورجاله في صفوف الفلسطينيين، وحينما يرجوه ملكهم أن يرجع – بعد أن اعترض رؤساء الفلسطينيين على مشاركته لهم يصر داود على الوقوف معهم، ويعلن للملك أنه لا يليق به أن يتخلف عن مقاتلة أعداء سيده الملك[٥].

وبعد أن تولى داود الملك ضاق الفلسطينيون بذلك، وأخذوا يغيرون على مملكته ويغزون أرضه وهو يرد غاراتهم ويصد غزواتهم، وانتهي الأمر بأن حاربهم في أرضهم، وتمكن من إخضاعهم[٦].

ولكن على الرغم من انتصارات داود المتكررة على الفلسطينيين والتي حدثتنا عنها التوراة في سفر صموئيل الثاني – والتي إن لم تجعل الفلسطينيين تابعين لداود سياسيا فقد أجبرتهم على الاعتراف بسيادته على الجزء الأكبر من البلاد – على

---

(١) المصدر السابق ١٧ : ٣٢ – ٤٥، ولعل جليات هذا هو جالوت المذكور في القرآن الكريم، ﴿**وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ**﴾ البقرة: ٢٥١.

(٢) صموئيل الأول ١٨ : ٢٥ – ٢٧.

(٣) المصدر السابق ١٩ : ٨.

(٤) المصدر السابق ٢٧ : ١ – ٧.

(٥) المصدر السابق ٢٨ : ١ – ٢ / ٢٩ : ٢ – ١١.

وقد روى الإصحاح (٢١) من نفس السفر أن داود ذهب إلي الفلسطينيين قبل ذلك ولما عرفوه تظاهر بالجنون حتى طردوه (٢١ : ١٠ – ١٥).

(٦) صموئيل الثاني ٥ : ١٧ – ٢٥ / ٨ : ١ / ٢١ : ١٥ – ٢٢ / ٢٣ : ٩ – ١٧.

obeikandl.com

الرغم من ذلك فقد بقي الفلسطينيون في إقليمهم الصغير القوة الوحيدة التي لم يقدر لداود أن يخضعها إن عاجلاً أو آجلا[١] .

وإذا كان لا يرد ذكر الفلسطينيين في الأسفار كثيراً – بعد موت داود[٢] – فليس يعني هذا أن صراعهم مع الإسرائيليين قد انتهي، وإنما استمر إلي عصر الانقسام.

ففي هذا العصر أخذوا يتحرشون ببني إسرائيل بعد سليمان في وقت مبكر فقام ناداب بن يربعام الأول ملك إسرائيل لمحاصرتهم[٣].

وفي عهد يهوشافاط ملك يهوذا اتصل به الفلسطينيون وقدموا له هدايا[٤].

ولكننا نجدهم في عهد ابنه يهورام قد قاموا بغزو يهوذا ونهبوا ما فيها من الأموال والخزائن وسبوا كل أبنائه ونسائه ولم يتركوا إلا آحاز أصغر أبنائه[٥].

ويبدو أنهم أخذوا يناوشون عزيا فخرج لمحاربتهم وتمكن من غلبتهم[٦].

ولكنهم في عهد أحاز عاودوا هجومهم عل يهوذا وقاموا بغزوها واقتحموا عددا من مدنها[٧].

وفي عهد حزقيال اندلعت الحرب بينه وبينهم ولكنه تمكن من ضربهم[٨].

وهذا وقد عبر أنبياء بني إسرائيل عن العداوة المستحكمة بين الإسرائيليين والفلسطينيين فأخذوا يشنعون عليهم ويتنبأون بهلاكهم وتخريب أرضهم[٩].

---

(١) نوث نقلا عن د/ مهران: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى جـ٨ صـ ٧١٢.
(٢) قاموس الكتاب المقدس صـ ٦٩٤.
(٣) ملوك أول ١٥ : ٢٧، راجع محمد عزة دروزة: تاريخ بني إسرائيل صـ ١٩٣.
(٤) أخبار الأيام الثاني ١٧ : ١١.
(٥) المصدر السابق ٢١ : ١٦ – ١٧ وقد ورد في نفس الإصحاح أن إحدى المدن الفلسطينية قد تمردت على يهورام ٢١ : ١٠.
(٦) أخبار ثان ٢٦ : ٦ – ٧.
(٧) المصدر السابق ٢٨ – ١٨.
(٨) ملوك ثان ١٨ : ٨.
(٩) راجع أشعيا ١١ : ١٤، ارميا ٢٥ : ٢٠ / ٤٧ : ١ – ٧، صفنيا ٢ : ٤ – ٧، زكريا ٩ : ٥ – ٧.

obeikandl.com

وظل وجود الفلسطينيين قائما وبقي عداؤهم للإسرائيليين مستمراً حتى عصر المكابيين حيث إننا نراهم يخرجون مع انطيوخوس السلوقي في حملته على يهوذا[1].

(١) راجع المكابيين الأول ٣ : ٤١، قاموس الكتاب المقدس صـ ٦٩٤.
راجع أيضاً سفر المكابيين الأول ٥ : ٦٨ / ١٠ : ٨٣ – ٨٩، ١١ : ٦٠ – ٦١

obeikandl.com

المبحث الثالث: اتصال اليهود بالفرس

سبق أن أشرت إلي أن مملكة إسرائيل قد زالت من الوجود بعد حدوث السبي الأشوري (٧٢٢ ق. م) وإلي أن مملكة يهوذا قد انتهت إلي الأبد بعد تدمير أورشليم ووقوع السبي البابلي (٥٨٦ ق. م)[١].

وكان البابليون قد تغلبوا على الأشوريين، فورثوا عنهم إمبراطوريتهم ومنها بلاد فلسطين التي يسكنها اليهود، وحينما ضعف البابليون وانهارت دولتهم (٥٣٩ ق. م) برزت إلي الوجود إمبراطورية الفرس فأطاحت بالبابليين، وتولت قيادة العالم في الشرق الأدنى القديم.

وكان يتزعم هذه الإمبراطورية الملك كورش الثاني (٥٥٨ – ٥٣٠ ق. م)، وحين دخل بابل في (٥٣٩ – ٥٣٨ ق. م) وجد فيها جالية يهودية يعود أصلها إلي السبي على يد نبوخذ نصر في عامي (٥٩٧ – ٥٨٦ ق. م)، فسارع أي كورش إلي إصدار مرسوم ملكي يخول الذين يودون الرجوع إلي أرضهم الرجوع إلي أرض آبائهم (أورشليم) وإعادة بناء معبدهم حق العودة[٢].

---

(١) لقد رأيت أن أفرد فصلا خاصاً في الباب الثاني بفترات السبي والاضطهادات التي تعرض لها اليهود في تاريخهم القديم، على أنها أحداث خطيرة، وتتمثل خطورتها في أنها كانت من عوامل تأثر اليهود بالأديان الوثنية، ومن تلك الفترات: فترة السبي الاشوري، وفترة السبي البابلي.

(٢) راجع أخبار الأيام الثاني ٣٦ : ٢٢ – ٢٣، عزرا ١ : ١ – ٤ / ٦ : ٣ : ٥، د/ فيليب حتى: تاريخ سورية ولبنان وفلسطين جـ ١ صـ ٢٤٢، شاهين بك مكاريوس: تاريخ الإسرائيليين صـ ٣١، صموئيل شولتز: العهد القديم يتكلم صـ ٣٤٣.

ولم يكتف كورش بإصدار ذلك المرسوم فقط، وإنما مهد لهم سبل العودة وأمدهم بما يعينهم من مال وأمتعة[1].

ومن الواضح أن كورش قد أظهر عطفاً على اليهود، ولا ندري هل فعل هذا من منطلق سياسة التسامح التي اتبعها تجاه الشعوب التي كانت في حوزته، أو أن ذلك كان اعترافاً بفضل اليهود الذين ساعدوه في احتلال بابل[2].

وأياً ما كان الأمر فإنه رغم سماح كورش لليهود بالعودة إلي أورشليم إلا أن أكثرهم من الأثرياء والشباب لم يتحمسوا – على حد تعبير ول ديورانت – لهذا التحرير، لأنهم كانوا قد تأقلموا في التربة البابلية وامتدت أصولهم فيها، فترددوا

---

(١) لقد قام كورش برد ما تبقى من خزائن البابليين من الذهب والفضة اللذين اغتصبهما بنوخذ نصر من الهيكل، وأمر الجماعات التي كان اليهود المنفيون يعيشون بينها أن تعينهم بالمال الذي يحتاجونه في أثناء رحلتهم الطويلة إلي أورشليم (راجع عزرا ١ : ٥ – ١١، ول ديورانت: قصة الحضارة مجلد ١ جـ ٢ صـ ٣٦٤.

(٢) يميل أكثر الباحثين إلي أن اليهود قد ساهموا في احتلال الفارسيين لمدينة بابل وأنهم استقبلوا كورش بالترحيب، واعتقدوا أنه هو المخلص المنقذ لهم على يد الرب الذي تنبأ به الأنبياء حتى أطلقوا عليه مسيح الرب، وأنه تأثر بذلك وتحرك بروح الرب (راجع اشعيا ٤٤ : ٢٨ / ٤٥ : ١، برستيد: العصور القديمة صـ ٣٣٢، د/ فيليب حتى: تاريخ سورية جـ ١ صـ ٢٤٢، ل. توماس هولد كروفت: الأسفار التاريخية صـ ٣٢٣ – ٣٢٤ أندري بارو: بلاد أشور صـ ٢٠٦ د/ عبد الحميد زايد الشرق الخالد صـ ٦٠٤، وهناك من يرى أن كورش قد فعل ذلك من منطلق المصلحة الخاصة لشعبه وإمبراطوريته متصوراً أن وجود طائفة يهودية في فلسطين تدين بوجودها لإحسانه سيشكل توازناً فعالاً تجاه الحزب الموالي للمصريين (راجع د/ حتى تاريخ سورية جـ ١ صـ ٢٤٢ ويلز: معالم تاريخ الإنسانية مجلد ٢ ك ٣ صـ ٢١٥، وإن كان هناك من يذهب إلي أن فعل كورش كان من منطلق سياسة التسامح التي كانت طابع الحكومة الفارسية إذ كانوا يراعون عادات وأديان الشعوب الخاضعة لهم ويعملون على انعاشها (تج. هـ . ايليف: فارس والعالم القديم صـ ٣٢ من كتاب تراث فارس نشر أربري)، ويذهب كل من اندريه إيمار وجانين أبوابه إلي أن فعل كورش لم يكن تعبيرًا عن كياسة سياسية وإنما كان اقتبالاً لديانة اعتبرت على غير مستوى (الشرق واليونان القديمة صـ ٢٢٤)، ويرى بعض النقاد المحدثين أن كورش قد أبدى تعاطفاً خاصاً مع الديانة اليهودية لما بينها وبين ديانة الفرس من تشابه (لودرز صـ ٨٨٥ نقلاً عن عبد الرحمن على عوف (عزير وعزرا في القرآن الكريم والعهد القديم صـ ٤٤، رسالة ماجستير بكلية دار العلوم جامعة القاهرة ١٩٧٤م).

طويلاً في ترك حقولهم الخصبة وتجارتهم الرائجة ليعودوا إلي القفار الخربة في المدينة المقدسة[١].

وبعد هذا التردد استقر رأيهم – وهم الأغلبية الساحقة – على البقاء في بابل[٢] وفضلوها على أورشليم[٣]، وشكلوا أفراد ما عرف بالفلسطينيين "الدياسبورا" أي اليهود المقيمين خارج فلسطين أو يهود الشتات[٤].

وأما الذين عادوا إلي أورشليم فكانوا من الكهنة المتحمسين، والفقراء المتدينين من سبطي يهوذا وبنيامين[٥].

وكانت عودتهم تتم تدريجياً وفي فترات متباعدة على شكل أفواج متتالية.

فوج زَرُبَّابل:

فأما الفوج الأول[٦] فكان في عام ٥٣٨ ق. م بقيادة زربابل[٧]، ولأنه كان

---

(١) قصة الحضارة مجلد ١ جـ ٢ صـ ٣٦٥، راجع أيضاً بريستيد: العصور القديمة صـ ٢٣٣.

(٢) د/ فيليب حتى/ تاريخ سوريا جـ ١ صـ ٢٤٣، رينان: تاريخ شعب إسرائيل نقلاً عن ثروت الأسيوطي: نظام الأسرة بين الاقتصاد والدين صـ ١٣٤، ويك نقلا عن د/ أحمد شلبي: اليهودية صـ ٩٢.

(٣) هناك من الباحثين من يذهب إلي أن زعماء المنفيين إنما كانوا يضعون بابل في مرتبة تفوق مرتبة أورشليم نفسها (راجع قول بارون نقلا عن د/ محمد مهران: دراسات في تاريخ الشرق ج٨ صـ ١٠٣٥).

(٤) د/ فيليب حتى: تاريخ سورية جـ ١ صـ ٢٤٣ – ٢٤٤، ويذكر د/ حتى أن أغنياء المسبيين قد فضلوا البقاء حيث هم بدليل ورود أسماء عبرانية بصورة متكررة في الوثائق التجارية لذلك العهد، وكان بعض هذه الأسماء مركبة من أسماء آلهة بابلية، وكانت أهم مراكز إقامتهم على قناة خابور التي تتفرع عن الفرات إلي الجنوب الشرقي من بابل.

(٥) رينان نقلا عن ثروت الأسيوطي: المصدر السابق صـ ١٣٤، زكي شنودة : اليهود صـ ١٤٤.

(٦) ذكرت الأسفار أن الذين عادوا إلي أورشليم في الفوج الأول تحت قيادة زربابل كان عددهم اثنين وأربعين ألفاً وثلاث مائة وستين عزرا ٢ : ٦٤ – ٦٧، نحميا ٧ : ٦٦ – ٦٩، ويرى د/ فيليب حتى: أن هذا الرقم مبالغ فيه إذا ما قورن بمجموع المسبيين (٥٨.٠٠٠)، كما أنه لا ينطبق مع ما جاء في القوائم المفصلة التي تسبق الجمع النهائي (راجع عزرا ٢ / ٦٤ : ٦٧، نحميا: ٦٦ – ٦٩، د/ حتى تاريخ سورية جـ ١ صـ ٢٤٣.

(٧) زربابل: اسم أكادي معناه "زرع بابل" أو "المولود في بابل" وهو ابن شالتئيل (عزرا ٣١ : ٢، ٨، نحميا ١٢ : ١) راجع الحديث عنه بالتفصيل (قاموس الكتاب المقدس صـ ٢٤٥).

من بيت داود فقد تسلم من كورش الآنية المقدسة التي ردت إلي أورشليم وقام بتعيينه والياً على اليهود[١]، وصارت اليهودية بذلك ولاية من ولايات فارس[٢].

ولكن أفراد هذا الفوج – والأفواج التي تليه – لم يلقوا ترحيباً كبيراً في وطنهم القديم ذلك أن أقواماً آخرين من الساميين قد استقروا في تلك البلاد، وتملكوا الأرض بحق احتلالها والعمل فيها، وأخذت هذه القبائل تنظر بعين المقت إلي أولئك الذي خالوهم مغيرين على بلادهم وحقولهم، ولولا تلك الدولة القوية (دولة الفرس) التي كانت تحمي اليهود العائدين لما استطاعوا أن يستقروا في فلسطين[٣]. فإن عودة اليهود ونشاطهم في سبيل استئناف حياتهم وإقامة هيكلهم في أورشليم جعلت شعوب البلاد القدماء يتحركون ويتألبون ويبذلون جهودهم في إحباط حركتهم والقيام بإزعاجهم[٤].

وكان على رأس من وقف ضدهم وحال دون إقامتهم للهيكل: السامريون[٥].

---

(١) المصدر السابق صـ ٢٥، شولتز العهد القديم يتكلم صـ ٣٤٤.

(٢) شاهين مكاريوس: تاريخ الإسرائيليين صـ ٣١ – ٣٢،وأطلق اسم اليهودية على القسم الجنوبي من فلسطين الذي سكنه العائدون من سبي بابل وسميت في العهد القديم ببلاد يهوذا وكانت حدودها الشمالية تمتد من يافا على ساحل البحر المتوسط إلي نفطة الأردن التي تبعد ١٠ أميال إلي الشمال من البحر الميت، وحدودها الجنوبية من وادي غزة إلي الجنوب الغربي من غزة فإلي بئر سبع فإلي القسم الجنوبي من البحر الميت (قاموس الكتاب المقدس صـ ١٠٨٥).

(٣) راجع ول ديورانت: قصة الحضارة مجلد ١ جـ ٢ صـ ٣٦٥.

(٤) محمد عزة دروزة: تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم صـ ٢٧١.

(٥) السامريون هم إحدى الفرق اليهودية، وترجع نشأتهم إلى النفرة التي أعقبت السبي الأشوري حيث أتي الاشوريون بقبائل من بلاد بابل وعيلام وسورية وبلاد العرب لتحل محل الإسرائيليين المسبيين وأسكنوها في السامرة ومنطقتها فاختلطت هذه القبائل مع اليهود الباقين وامتزجت بهم وشكلوا تلك الطائفة والتي تسمي السامرة أيضاً، وقد حدث الإنشقاق النهائي بين السامريين واليهود العائدين إلي أورشليم في العصر الفارسي حينما أراد زربابل أن يضم المعبد فعرض عليه السامريون الاشتراك معه في بنائه، ولكن اليهود العائدين رأوا أن الهيكل خاص بهم وأن هؤلاء السامريين وثنيون ورفضوا مشاركتهم فأخذ السامريون يناوئونهم وأرسلوا شكاوي إلي ملك الفرس حتى تعطل بناء الهيكل ولم يتم إعادة بنائه إلا في عام ٥١٥ ق. م كما سنري. =

ورد في سفر عزرا "أن أعداء يهوذا أو بنيامين لما سمعوا أن بني السبي يبنون هيكلا للرب اله إسرائيل تقدموا إلي زربابل ورؤوس الآباء وقالوا لهم نبني معكم لأننا نظيركم نطلب إلهكم ... فقال لهم زربابل ويشوع[1] وبقية رؤساء إسرائيل: ليس لكم ولنا نبني بيتا لإلهنا ولكننا وحدنا نبني للرب إله إسرائيل كما أمرنا الملك كورش ملك فارس، وكان شعب الأرض يرخون أيدي شعب يهوذا ويذعرونهم عن البناء، واستأجروا ضدهم مشيرين ليبطلوا مشورتهم كل أيام كورش ملك فارس وحتى ملك داريوس ملك فارس[2].

فوج حجي وزكريا:

وحوالي سنة ٥٢٠ ق. م عادت جماعة من اليهود واستوطنوا أورشليم وما حولها تحت زعامة النبيين: حجي[3]، وزكريا[4] اللذين استنهضا همم الشعب ليحاولوا بناء

= وازداد العداء بين الفريقين على مر الزمن، وحرم بينهم التزاوج والاختلاط ويختلف السامريون عن بقية اليهود في اعتقادهم بالأسفار الخمسة فقط وتختلف التوراة لديهم عن التوراة العبرانية، وهم يقدسون جبل جرزيم بدلاً من أورشليم

راجع الحديث عن تاريخهم وعقائدهم وتوراتهم بالتفصيل في د/ فيليب حتى / تاريخ سورة جـ ١ صـ ٢١٤ – ٢١٥، قاموس الكتاب المقدس صـ ٤٤٨ – ٤٥٢، د/ عبد المنعم الحفني: الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية صـ ١٥٥، وقد نشر د/ أحمد حجازي السقا نص التوراة السامرية وقام بتحقيقه وبيان الفروق بينها وبين التوراة العبرانية وقد تحدثنا عنها عند الحديث عن نسخ التوراة المتعددة (دار الأنصار القاهرة ١٩٧٨).

(١) يشوع هذا من أبرز معاوني زربابل وكان مشرفاً على أعمال الكهانة والنواحي الدينية ويسمي يشوع بن يهو صاداق (قاموس الكتاب المقدس صـ ١٠٧١).

(٢) عزرا ٤ : ١ – ٥ والملك داريوس هو الملك دارا الأول (٥٢٢ – ٤٨٦ ق. م) (د/ أحمد فخري: دراسات في تاريخ الشرق صـ ٢١٩) .

(٣) حجي: اسم عبري معناه "عيد" اي مولود في يوم عيد وهو نبي معاصر لزكريا وتنبأ بعد الرجوع من بابل، وساهم في إنهاض الشعب للشروع في إعادة بناء الهيكل (قاموس الكتاب المقدس صـ ٢٩١).

(٤) زكريا: اسم عبري معناه "يهوه قد ذكر" وتسمى بهذا الاسم اثنان وثلاثون شخصاً في الكتاب المقدس.

وزكريا المقصود عنا هو زكريا بن برخيا بن عدو، ويجئ ترتيبه الحادي عشربين الأنبياء الصغار، ويظهر أنه كان من نسل لاوي ولذلك كان مستحقاً وظيفة كاهن ونبي وقد تنبأ زكريا في عصر داريوس وساهم في تقوية عزائم الشعب الضعيفة وإنهاض همه الساقطة وخاصة في إعادة بناء الهيكل الفارسي (قاموس الكتاب المقدس صـ ٤٢٨)، ومن الأهمية أن أذكر أن زكريا هذا ليس هو سيدنا زكريا عليه السلام الذي جاء ذكره في القرآن الكريم.

obeikandl.com

الهيكل من حديد بسبب استمرار معاكسة جيرانهم، إلي أن أرسلوا إلي داريوس يرجونه في إعادة بناء الهيكل معتمدين على مرسوم كورش، فاهتم داريوس بالأمر، ولما عثر على هذا المرسوم ضمن وثائق الدولة، أصدر مرسوماً جديداً بإعادة البناء، ومد لهم يد العون والمساعدة، وأزال كل ما يقف في طريقهم من عقبات وعثرات فتم بناء الهيكل من جديد عام ٥١٥ ق. م[١].

عودة نحميا وعزرا إلي أورشليم:

ساد الغموض الفترة التي تلت إعادة بناء الهيكل (٥١٥ ق. م): فبجانب أن الأسفار قد التزمت الصمت إلي درجة أنه لا يعرف حتى الآن مصير زربابل[٢] نجد أنها ذكرت بعد ذلك أن عزرا الكاتب رجع على رأس فوج إلي أورشليم في السنة السابعة من حكم أرتحشستا ملك فارس[٣].

---

(١) راجع عزرا ٥ : ١ – ١٧/٦ : ١ – ١٥، حجي ١، ٢ صموئيل شولتر: العهد القديم يتكلم صـ ٣٤٦ – ٣٤٧، كاترين هنري: التاريخ في الكتاب صـ ٩٧، و. أ. ل. المسلي: سقوط أورشليم وأهميته العالمية صـ ٦٤٤ ترجمة فؤاد أندراوس المجلد الثالث من كتاب تاريخ العالم: نشر جون هامرتون ،وجاء في القاموس أن هذا الهيكل سمي بهيكل زربابل أو الهيكل الثاني، وبالرغم من أنه كان أضخم من الهيكل الأول (سليمان) إلا أنه كان أقل منه في الفخامة وفي التكلفة، وأن قدس الأقداس كان خالياً لأن تابوت العهد قد اختفى، وأن هذا الهيكل قد بقى خمسة قرون (صـ ١٠١٤).

(٢) لا يعرف حتى الآن المصير الذي انتهي إليه زربابل حيث اختفى فجأة من مسرح الأحداث بسبب لا يزال موضع خلاف بين الباحثين فالدكتور المسلي يرجح أن اختفاءه يرجع إلي ازدياد الخصومة وتفاقم الصراع بينه وبين الكهنة وانتهي الأمر لصالح الكهنة (سقوط أورشليم وأهميتة العالمية صـ ٦٤٤ مجلد ٣ تاريخ العالم).

وقيل أن حاكم السامرة المعاصر له قد وشى به لدى ملك الفرس فتم عزله، إلي غير ذلك من وجوه الحدس والتخمين (راجع د/ مهران جـ ٨ صـ ١٠٤٧ – ١٠٤٨).

(٣) عزرا ٧ : ٨ يرجع نسب عزرا حسب ما ورد في سفره إلي هارون (٧ : ١ – ٥) ولأنه كان مقرباً من الملك ويعمل مستشاراً له في شئون الطائفة اليهودية، فقد طلب منه أن يسمح بعودة فوج ثالث إلي أورشليم، فوافق الملك وأمده بكل ما يلزمه من مال ومعونة وفي الإصحاح الثامن من سفره إحصاء للعائدين معه إلي أورشليم، وقد بلغ مجموع ذكورهم ألفاً وثمانمائة، ويفيد الإصحاح أنه ظل كثير من سبي إسرائيل ويهوذا حيث هم في المنفى ولم يعودوا مع عزرا إلي أورشليم والأغلب أنهم اندمجوا في حياة العراق الدينية والسياسية والاجتماعية. =

وأن نحميا الحاكم عاد أيضاً إلي أورشليم في السنة العشرين من حكم أرتحشستا وقام ببناء أسوار أورشليم[١].

دون أن تحدد لنا هل هو نفس الملك أو غيره[٢]، ففهم العلماء القدامي من المفسرين والمؤرخين أنه هو نفسه، وحينما تبين أن سنوات حكمة تمتد من (٤٦٥ – ٤٢٤ ق. م)[٣] وأن عودة نحميا تخت في (٤٤٥ ق. م)[٤]، وعلى ذلك يكون عزرا قد وصل إلي أورشليم قبل نحميا اعتماداً على هذه الاستنتاجات.

= ولقد لقب عزرا بالكاتب، وعرف لدى اليهود بإخلاصه ونشاطه في سبيلهم فحاز ثقتهم وإعجابهم، ويعرف لدى الكثيرين بأنه مؤسس اليهودية حيث يرجع إليه الفضل في جمع الأسفار وإعادة ترتيب الشريعة وتفصيل ذلك في الفصل الخاص بفقدان التوراة المنزلة على سيدنا موسي وهو الفصل الثاني من الباب الثاني.

راجع عزرا ٧، ٨ قاموس الكتاب المقدس صـ ٦٢١، صموئيل شولتز: العهد القديم يتكلم صـ ٣٥٥ – ٣٥٧، كاترين هنري: التاريخ في الكتاب ثـ ٩٧ – ٩٨، ل. توماس هولد كروفت: الأسفار التاريخية صـ ٣٣٦ – ٣٣٧، محمد عزةدروزة: تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم صـ ٢٧٤ .

(١) نحميا ٢ : ١/ ٥ : ١٤.

ويسمي نحميا بن حلكيا، وتذكر الأسفار أنه كان من اليهود المسبيين في بابل واشتغل في بلاط الملك الفارسي ساقياً، وشاهده الملك ذات يوم حزيناً، ولما سأله أخبره بأنه حزين للحالة التي وصل إليها أورشليم من الدمار والتخريب وأن أهله هناك يعيشون في شر عظيم، ورجا الملك أن يسمح له بالعودة إليها وبناء أسوارها، وإعادة الحياة إلي بيوتها وأحيائها الراكدة فوافق الملك وأرسل معه حامية عسكرية لحراسته ومعاونته وعينه حاكماً علي ولاية اليهودية.

وحين ويصل إلي أورشليم أخذ يفحص الأسوار المتهدمة سراً في الليل، ثم دعا اليهود للقيام بعمل سريع، فاستجابوا له لقوة شخصيته وللتفويض الملكي الذي يحمله، وعارضه السامريون وغيرهم من الشعوب المقيمة في فلسطين، ولكنه تغلب عليهم وتم بناء الأسوار في اثنين وخمسين يوماً، وظل نحميا بحكم اليهودية حتى عام ٤٣٣ أو ٤٣٢ حيث عاد إلي شوشن عاصمة الفرن ولكنه ما لبث أن رجع إلي أورشليم مرة أخرى، ويذكر المسلي أن نحميا قد أثبت طول باعه في ميدان السياسة والحكم.

راجع سفر نحميا ١، ٢، ٣، ٤، ٦، ١٥ قاموس الكتاب المقدس صـ ٩٦٢، شولتز: العهد القديم يتكلم صـ ٣٥٩ – ٣٧١، سقوط أورشليم وأهميته العالمية صـ ٦٤٥ – ٦٤٦.

(٢) سمي بهذا الاسم ثلاثة من ملوك الفرس في هذه الفترة (أرتحشستا الأول (٤٦٥ – ٤٢٤ ق. م) (أرتحشستا الثاني ٤٠٤ – ٣٥٩ ق. م) (أرتحشستا الثالث ٣٥٩ – ٣٣٨ ق. م) د/ مخري: دراسات في تاريخ الشرق صـ ٢٢٢ – ٢٢٥).

(٣) المصدر السابق صـ ٢٢٢ – ٢٢٣.

(٤) راجع منهم على سبيل المثال: كاترين هنري التاريخ في الكتاب صـ ٩٨، صموئيل شولتز: العهد القديم يتكلم صـ ٣٥٥ – ٣٥٩ : قاموس الكتاب المقدس صـ ٦٢١، ٩٦٢، زكي شنودة: اليهود صـ ١٤٧، ١٤٨، شاهين مكاريوس : تاريخ الإسرائيليين صـ ٣٢.

يقول د/ فيليب حتى ذكرت مرويات التوراة التي قبلها عدد متزايد من العلماء أن عزرا الكاهن والكاتب قد رجع إلي أورشليم قبل نحميا ليصلح ديانة الشعب برخصة من الملك وكما كان يهدف إلي إيجاد عقيدة دينية نقية فإنه كان يهدف أيضاً لإيجاد نقاوة العنصر[١].

إلا أن كثيراً من العلماء المعاصرين والنقاد المحدثين[٢] قد اتفقوا على أن عودة عزرا إلي أورشليم كانت بعد عودة نحميا، وإن اختلفوا في تعيين الملك الذي عاصره كل منهما.

فبينما ذهب فريق إلى أنهما قد اجتمعا معاً في عصر أرتحشستا الأول (٤٦٥ – ٤٢٤ ق. م) يرى فريق آخر أن مهمة نحميا تمت في عصر أرتحشستا الأول وأن مهمة عزرا تمت في عصر أرتحشستا الثاني (٤٠٤ – ٣٥٩ ق. م).

فمن الفريق الأول يؤكد كل من سيسيل روث ودانيال رويس ويونج أن مهمة عزرا جاءت بعد مهمة نحميا وأن أحداث نحميا تسبق بالضرورة أحداث عزرا إلا أنهم لا يمانعون أن يكون الاثنان قد عاشا في عصر واحد فربما ذهب عزرا أثناء تأدية نحميا لمهمته[٣].

ويتفق معهم شيني ويرجح قيام عزرا بمهمته بين رحلتي نحميا لأورشليم[٤].

---

(١) د/ فيليب حتى/ تاريخ سورية صـ ٢٤٥.

(٢) ومن هؤلاء: سيسل روث، ودانيال روبس، وابالبين، وبونج، وفايفر، وشيتي (راجع عزيز وعزرا في القرآن الكريم والعهد القديم صـ ١٦٦ – ١٦٩، ومارتن نوث وستانلي كوك ووليم أولبرايت وجاك فنجان، وورولي وغيرهم (د/ مهران: دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم جـ ٨ صـ ١٦٠).

ود/ و. ا. ل. المسلي (دكتور في اللاهوت وأستاذ العبرية وأدب العهد القديم بكلية وسنمتستر في مقاله "سقوط أورشليم وأهميته العالمية" من المجلد الثالث من كتاب تاريخ العالم نشر جون هامرتون، والدكتور نجيب ميخائيل (مصر والشرق الأدنى القديم جـ٣).

(٣) نقلا عن رسالة الماجستير (عزيز وعزرا صـ ١٦٧ – ١٦٨).

(٤) المصدر السابق صـ ١٦٨، وقد ورد في سفر نحميا أن نحميا قد غادر أورشليم ثم عاد إليها مرة أخرى في السنة الاثنين والثلاثين من حكم الملك ارتحشستا فحددت بعام ٤٣٢ أو ٤٣٣ ق. م (نحميا ١٣ : ٦ – ٧).

openkandil.com

ومن الفريق الثاني أبا ايبن، والدكتور نجيب ميخائيل ومعهما آخرون[١] الذين رأوا أن نحميا وصل إلي أورشليم في عام ٤٤٥ أو ٤٤٤ ق. م وأن وصول عزرا قد تم في عام ٣٩٧ ق. م[٢].

ويدلل أبا ايبن على ذلك بقوله أنه لا يحتمل أن يكون نحميا وجد عدد السكان قليلا عندما وصل إلي يهوذا في حين وجد عزرا هذا العدد كبيراً وهذا دليل على أن نحميا وصل قبل عزرا وباشر نشاطه السياسي والإداري قبله في حين قام عزرا بإصلاحات دينية وروحانية فقط[٣].

وأما الدكتور نجيب ميخائيل فيذكر أن أخبار التوراة تروى لنا أن عزرا يسبق نحميا من الناحية التاريخية ولكن هناك أكثر من سبب يدفعنا إلي رفض ذلك:

فإن ما كتبه كل منهما على حدة يشير إلي أن عمل كل منهما مستقل عن الآخر وليس هناك ذكر لاسم واحد ممن عادوا مع عزرا[٤] يشير إلي أنه عاون نحميا في بناء الأسوار[٥].

هذا إلى أن عزرا يتنبأ بعمل نحميا فهو لا يذكر بناء المعبد وحده بل يشير كذلك إلي الأسوار[٦].

يضاف إلي ذلك أننا نرى نحميا يحرم الزواج بالأجنبيات مستقبلا ولا يفرض إلغاء الزيجات القائمة فعلاً[٧]، بينما يطلب عزرا إلي اليهود تطليق

---

(١) ذكر فايفر منهم ياتين، وكسترزوفان هوناكير ودي ساولسي وأولبرايت ولودز وغيرهم (نقلاً عن عزيز وعزرا في القرآن الكريم والعهد القديم صـ ١٦٣).

(٢) د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم جـ ٣ صـ ٤٣٢ وطبعًا هم حددوا هذا التاريخ على أساس أن هذا الملك تولى (٤٠٤ ق. م) وعزرا راجع إلى أورشليم في السنة السابعة من حكمه.

(٣) نقلاً عن عزيز وعزرا في القرآن الكريم والعهد القديم صـ ١٦٧

(٤) عزرا ٧ : ٧.

(٥) نحميا: ٣.

(٦) عزرا ١٠ : ٦.

(٧) نحميا ١٣ : ٢٣ – ٢٨.

الأجنبيات[1] وهو أمر لا حق للأمر السابق حينرؤي أنه غير كفيل بمعالجة الأمر[2].

ولعل ما شجع القائلين بعودة عزرا بعد نحميا إلي مخالفة السابقين هو أن كلا من سفري عزرا ونحميا (وهما المصدران الرئيسيان لأحداث عزرا ونحميا) تنقصهما الدقة، ويبدو فيهما التناقض فقد كانا في الأصل سفراً واحداً، ثم تم انفصالهما، فأدى ذلك إلي تقديم وتأخير في الأحداث، فهما يحتاجان إلي إعادة ترتيب لإصحاحاتهما[3].

بالإضافة إلي أن الفترة الفارسية عموماً يسودها الغموض من الناحية التاريخية وإن كانت أحداث نحميا تعتبر أوضح من أحداث عزرا إلي حد ما.

يقول المسلي: لقد كان من حظنا أن احتفظ بالكاتب في ثنايا روايته المشوشة عن هذه الفترة بمذكرات دقيقة مفصلة كتبها نحميا نفسه وهي تمدنا بقصة من هذه القصص الشخصية النابضة بالحياة، والتي تلقي أضواء بين الحين والحين فتنير ظلمة العصور الغابرة، وبعد أن يلخص حياة نحميا ويبين وضوحها تاريخيا يعود فيقول:

"ويقرن كاتب الأخبار جهود عزرا – وهو كاتب من بابل – بالجيل الذي عاش فيه نحميا ولكن لما كانت روايته عن عزرا لا يمكن الاعتماد عليها بحال، فقد حمل هذا البعض على الزعم بأن عزرا ليس إلا شخصية وهمية لقديس اتخذته طوائف الكتبة والكهنة حامياً لهم.

---

(١) عزرا ١٠ : ٣ – ١٧ وسنتحدث عن زواج اليهود بالأجنبيات ودوره في تأثر اليهودية بالوثنيات في الفصل الخاص بخضوع اليهود للشعوب الوثنية وسرعة الإمتزاج بهم من الباب الثاني.

(٢) مصر والشرق الأدنى القديم الجزء الثالث سورية صـ ٤٣١، (ويضيف الدكتور ميخائيل إلي ذلك أيضاً أن بردية "الفنتين" الآرامية والتي أشرت إليها في بداية هذا الفصل تشير إلي أن كبير كهنة يدعي يوحانان كان معاصراً لعزرا (٤٠٨ ق. م) عزرا ٩ : ٩ ويوحانان هذا هو حفيد الياشيب المعاصر لنحميا الذي كان يرتبط به طوبيا العموني برابطه النسب (المصدر السابق).

(٣) سيتضح ذلك بشكل أكثر عند الحديث عن مدى المصداقية التاريخية لأسفار العهد القديم ومدى وجود التناقض في سردها للأحداث.

ولكنه لا يوافق على ذلك ويرى أن من الجائز أن نتصور أن الجهود الجبارة التي بذلها نحميا قد استنهضت همم يهود بابل، وأنه بعد قيام نحميا بإصلاحاته (لا قبله) عاد فريق من المسبيين يتزعمهم عزرا إلي أورشليم وهم مشوقون لإكمال عمل نحميا من ناحيته الدينية ولإقناع أهل صهيون بالملائمة بين ما يمارسون من ناموس وبين الشرائع الكاملة التي جمعت مفصلة في بابل[1].

فمهمة عزرا إذن كانت مختلفة عن مهمة نحميا وإن كانت كل منهما تكمل الأخرى يقول جيمس باركس:

في عام ٥١٥ ق. م جدد الهيكل وأعيدافتتاحه ولكن يبدو أن الكهنة والعشب قد انغمسوا سريعاً في عاداتهم القديمة حتى كان القرن الخامس ق. م حين عاد الرجلان نحميا وعزرا واللذان كان عملهما متميزاً، وإن كنا لا نعرف من الذي رجع أولاً، بيد أنه من المرجح أن يكون نحميا.

لقد كان نحميا موظفاً في البلاط الفارسي، فجدد أسوار أورشليم ومبانيها، ثم تبعه عزرا الذي تركزت مهمته في تحقيق أهداف محددة[2].

وبعد، فهذه هي الأفكار المختلفة والمتنوعة حول أحداث نحميا وعزرا وهي تدو حول تنازع اتجاهين في تاريخ مهمة كل منهما، وأيهما سبق الآخر في الرجوع إلي أورشليم عام ٤٥٨ ق. م وحاول مباشرة مهمته التي ذهب من أجلها، ولكنه فشل فرجع إلي بابل، وأثناء وجوده بها وجد نحميا أنه لابد من إعادة بناء أسوار أورشليم والقيام بالإعداد السياسي والتمهيد الإداري لعزرا حتى يؤدي مهمته الدينية والكهنوتية في جو ملائم، وبذلك يكون عزرا قد باشر مهمته الدينية بعد وصول

---

(١) سقوط أورشليم وأهميته العالمية صـ ٦٤٥ – ٦٤٦.

(٢) جيمس باركس: تاريخ الشعب اليهودي صـ ١٣ – ١٥ نقلاً عن أحمد عبد الوهاب: فلسطين بين الحقائق والأباطيل صـ ١١٥ – ١١٦،ويلخص تلك الأهداف في أنه كان يريد أن يطهر الشعب من خطاياه التي كانت سبباً في عقابه وسبيه، وتطهير الهيكل وطقوس العبادة مما علق بها، إذ كانت إباحة الزواج بالوثنيات تعني السماح بالدعارة بين كلا الجنسين ووأد البنين وممارسة كل طقوس الإخصاب التي تخصصت فيها الشعوب المجاورة.

نحميا قبله إلي أورشليم، لكن ليس بين يدي ما يؤيد هذا الاحتمال لذا فإنني أرجح الاتجاه الثاني الذي يجمع أصحابه على رجوع عزرا بعد نحميا وخاصة الفريق الذي يجعل وصول نحميا عام ٤٤٥ ق. م ووصول عزرا عام ٣٩٧ ق. م.

وعلى أي حال فإن اليهود الذين سبوا في العصر البابلي سواء منهم من عاد إلي أورشليم أو من بقي في بابل، ظلوا خاضعين للسيادة الفارسية منذ عام ٥٣٩ ق. م حتى غزو الاسكندر عام ٣٣٢ ق. م[١].

وإن كان العائدون إلي أورشليم قد تمتعوا بالحكم الذاتى في عهدي: زربابل ونحميا: ولكن اللغة العبرية في عهدهما لم تعد تستعمل كلغة دارجة وذلك ليس في بلاد سبيهم فحسب وإنما في بلاد يهوذا أيضاً وقد حلت محلها اللغة الآرامية، وظلت العبرية تستخدم كلغة دينية، واستعمل اليهود الآرامية في مراسلاتهم الرسمية[٢].

ولم يعرف على وجه اليقين متى انتهت فترة حكم نحميا، وإن كان شاهين مكاريوس يرى أنه ظل والياً حتى عام ٤٢٠ ق. م[٣].

ولا يعرف أيضاً نظام الحكم الذي ساد عقب انتهاء حكم نحميا وحتى غزو الإسكندر (٤٢٠ – ٣٢٢ ق. م) وإن كان من المرجح أن طبقة من الكهنة قد باشرت الحكم الديني من قبل الفرس، وعلى سبيل المثال فقد أرسل الفرس عزرا كاهناً دينياً وليس حاكماً عسكرياً.

هذا وتعتبر فترة الحكم الفارسي من أهم الفترات في تاريخ اليهود القديم ففيها تم كتابة كثير من الأسفار وتجميعها، وفيها أيضاً تم إعلان الشريعة التي ألفها أو أعاد ترتيبها عزرا.

بالإضافة إلي ما حدث أثناءها من اتصال واختلاط بين اليهود والفرس فتأثروا بهم في كثير من العادات واقتبسوا منهم كثيراً من الأفكار والمعتقدات.

---

(١) راجع دي بورج: تراث العالم القديم جـ ١ صـ ١٠٥.

(٢) نحميا ١٣ : ٢٤/ عزرا ٤ : ٧، د/ فيليب حتى: تاريخ سورية جـ ١ صـ ٢٤٥.

(٣) تاريخ الإسرائيليين ص ٣٢، ويرى زكي شنودة أن نحميا مات في عام ٤١٥ ق. م – اليهود ص ١٤٨.

obeikandl.com